تأليف
محمد علوان
المحامى

تأملات في الرسالات السماوية

الناشر
دار ابن لقمان للعلوم النافعة



الطبعة الأولي

١٩٩٩م- ١٤١٩هـ

دار ابن لقمان للعلوم النافعة

طبع • نشر • توزيع

١ شارع السعادة - خالد بن الوليد - الوفاء والأمل - مشعل - الهرم

ت : ٣٨٢٧٣٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم(١)اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(٢)نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ(٣)

[آل عمران]

صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

شرفني أخي الأستاذ محمد علوان المحامي بأن طلب مني تقديم هذا الكتاب، وهو كتاب في موضوع يشترك في الاهتمام به المؤمنون بالأديان جميعا، ويهتم بـه معهم الملحدون الكافرون بكل دين.

فموضوعه هو التوحيد. وهو الأساس الذي يقوم الإيمان عليه، وإنكـاره أو جحده أو الشك فيه هو الذي يوقع صاحبه في وهد الشرك أو الكفر الصراح.

والأستاذ علوان يجعل هذا الكتاب جزء من ثلاثة أجزاء ثانيهما مخصـص للشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وثالثـهما مخصـص للمفـاهيم المغلوطة (أو الخاطئة) التي يتداولها بعض الكاتبين والمتحدثين عن الإسلام.

فأما الجزء الذي بين يدي القارئ اليوم فهو كالأصل للجزئين التاليين لــه، وأما الجزءان الآخران ففرعان باسقان يحملان من الثمار ما يتطلع إليه كل بـاحث عن الحق، طالب لكلمة الفصل. وهو يكون أسعد الناس حين يتجرد في هذا البحـث والطلب عن الهوى، وحين يطمئن قلبي إلي اتباع الهدى، والله تبارك وتعالي يقول: "أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(١١)" .[التغابن] .

"وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِـلٍّ أَلَيْـسَ اللَّـهُ بِعَزِيـزٍ ذِي انْتِقَامٍ(٣٧)" .[الزمر] .

يوضح الأستاذ محمد علوان في أول فصول هذا الكتاب علي سبيل التمـهيد له فكرة الدين نفسها، فيحدث قارئه عن نزول الدين وحاجة الإنسان إليه، ويذهـب إلي أن الرسالات نزلت بحثاً عن الهدي وتنظيماً لعلاقة الإنسان بخالقـه ولسـلوكه

الذاتي، ولعلاقته بغيره من الناس؛ وبحقيقة الوحي ختم الأستاذ علوان مقدمته، وهي الحقيقة التي يدل عليها نص القرآن الكريم ويؤمن بها المؤمنون به.

وكان انطلاق الكاتب بعد ذلك لمقارنة الأديان الكتابية من حقيقة كونها جميعا تقوم على التوحيد الذي كان رسالة إبراهيم عليه وعلي نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم، ولحكمة يعلمها ربنا تبارك وتعالي كان اصطفاء الله لرسل هذه الديانات الكتابية من ولد إبراهيم ونسله قال تعالي: "**وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ(١٢٤)**". [الأنعام].

"**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(٧٥)**". [الحج].

ويتحدث الكتاب حديثًا ممتعًا عن اليهودية وعلاقتها بفكرة السامية، وعن مصادر الديانة اليهودية، وعن الشريعة الموسوية، وعن أنبياء بني إسرائيل في القرآن الكريم، ثم ينتقل إلي المسيحية وعلاقتها بشريعة اليهود، وعن بشرية المسيح والبشارات التي يراها الباحثون في بعض نصوص الإنجيل التي بين أيدينا ببعثة النبيّ محمد ﷺ ثم يعقد فصلاً مهمًا عن المسيح-عليه السلام- في القرآن الكريم.

وفي الكتاب قراءة مهمة لعلاقة الغرب المسيحي بالإسلام، ولعلاقة المسيحيين الشرقيين بالإسلام.

وانتقل الكتاب بعد ذلك إلي الإسلام، فتناول ظهوره وشرائعه ومكارم الأخلاق التي أمر بها، وحرية العقيدة في ظله وحقوق المواطنة، ووضع الأقليات الدينية في ديار الإسلام ووضع الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية، وعلاقة الإسلام بالأديان الأخرى، وذلك كلة بصورة سهلة قريبة المأخذ، يمضي القارئ

معها مستمتعا بالتنقل من موضوع إلي الذي يليه دون أن يشعر بغربة ولا يحتاج إلي وقفة.

والكتاب بهذه الصورة يفيد المثقف ثقافة عصرية الذي لم تتح له فرصة التخصص أو التعمق في الثقافة الإسلامية، ويفيد المتخصص في الثقافة الإسلامية إذ يكون بالنسبة إليه مرجعاً قريب التناول للمراجعة السريعة التي قد يحتاج إليها من حين إلي حين.

بقي أن أقول إن الأستاذ محمد علوان - مؤلف الكتاب- هو أحد كبار المحامين في مصر، وأحد النقابيين المشهود لهم بالصدق والإخلاص والكفاءة، والعمل علي تحقيق مصلحة المهنة، دون سعي لكسب شخصي أو مأرب ذاتي، وهو - كذلك - سياسي محنك، تربي في مدرسة الوفد العريقة ولا يزال علي وفائه لها وإخلاصه لقيادتها؛ وهذه كلها أسباب تقرب القارئ من هذا الكتاب وتدعوه إلي الإقبال عليه والإفادة منه.

وأنا أرجو في ختام هذا التقديم الوجيز أن يتوفر للأستاذ محمد علوان قريبًا علي إخراج الجزئيين الآخرين من هذا الكتاب، وأن يوفق فيها توفيقه في هذا الجزء بإذن الله.

د.محمد سليم العوّا

القاهرة : ١٦ من رمضان ١٤١٩ هـ
١٩٩٩/١/٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله كِفاء نعمه، ولا كفاء لها إلا بالغ شكره، وأعوذ بالله من شطط الفكر، وجموح العقل، وقولة الباطل، وأستغفره حيد القلم عن مهيع[1] الحق، وزلل اللسان عن شرعة الصدق، وأستخلصه نيتي فيما إليه قصدت، له العتبى ربنا وله الحمد.

وبعد:

فقد حثنى التفكير فى موضوع هذا الكتاب، ما وجدته من تغريب شاع بيننا، وسلوكيات بعدت عن التدين، وقيم جديدة غريبة انغمسنا فيها؛ واستورد مثقفينا مصطلحات نبتت فى بيئة وثقافة غريبة، وأطلقوها بقصد أو غير قصد فى مجتمعنا الإسلامى؛ مصطلحات مغلوطة أُطْلقَت على الفكر الإسلامى مع الاختلاف البيّن فى النبت والتطور والأصول الإسلامية.

فالإسلام دين علم وحياة، و كانت أولى سور القرآن "اقرأ" كلمة تعبر عن مضمون الرسالة المحمدية، رسالة العلم واحترام العقل لا الخرافات والشعوذة، وقد ابتلى الإسلام بالإعلام الغربى الطاغى، الذى لا يألوا جهدًا أو وقتًا فى أن يشوه صورة الإسلام، ويشيع ما يشاء بيننا حتى لو تصدى لعقيدتنا، وضاق الصدر واشتد الانفعال من أن أجد من المسلمين من تغرَّب وامتشق سلاح الاستشراق، فاخترقنا الغرب من داخلنا بأفكار دينية خاطئة عن الإسلام، ولم يكن اختراقه لثقافتنا وحياتنا فحسب بل إن الأمر قد استشرى واتسع نطاقه، ويكاد المتمسك بدينه يستشعر الغربة فى وطنه، ولن ينقذ مجتمعنا الإسلامي إلا التصدى للطرح المشوه للإسلام فى الغرب وأمريكا.

فدفعنى ذلك إلى أن أكتب فى ميدان صعب المراسى، عزيز المنال، بدأته بالبحث فى ميدان الشريعة الإسلامية وصلاحيتها للتطبيق، ومسايرتها لعوامل

---

(١) **المهيع:** الطريق البين.

الزمان والمكان، وهو ما يتفق ودراستى القانونية، فعشت مع مراجع إسلامية، وآمنت أن فى الفكر الإسلامى ما لو نقل للغرب بأمانة لتغير حالنا مع الإعلام الغربى، ويعلم الكائدون أن الإسلام دين شامل لكافة مناحى الحياة، وأن تطبيق الشريعة يستلزم البحث فى مكونات هذا الكون، آخذًا بمنهج الإسلام باستقراء الكون وصولًا إلى معرفة الله، قال تعالي: "**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(٥٣)**" .[فصلت].

فكان لابد أن يكون البدء دراسة فى الشرائع السماوية، وهى معاشرة شخصية فى معرفة العقيدة التى نزلت من السماء، وأساسها التوحيد بأن لا إله إلا الله وهى اللبنة الأولى للإيمان، وهذا ما بدأت به فى هذا الكتاب وهو يمثل الجزء الأول و يليه جزءان مكملان وإن رأيت نشرهما منفصلين.

وقد هالنى فى هذه الدراسة ما امتلأت به كتب الاستشراق من افتراء وتشويه للإسلام، وخيانة الأمانة العلمية لأية دراسة موضوعية، وهذا موضوع الجزء الثانى من الكتاب، وآمل أن يلحق هذا الكتاب إن شاء الله، وقد أتممته وأعددته للنشر، أما الجزء الأخير فيتعرض للمفاهيم المغلوطة حول الإسلام "العلمانية – السلطة الدينية – الديمقراطية وحقوق الإنسان .... الخ".

وهذا هو العنوان الرئيسى للأجزاء الثلاثة، "تأملات في الرسالات السماوية". وأسأله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يتقبل منى هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

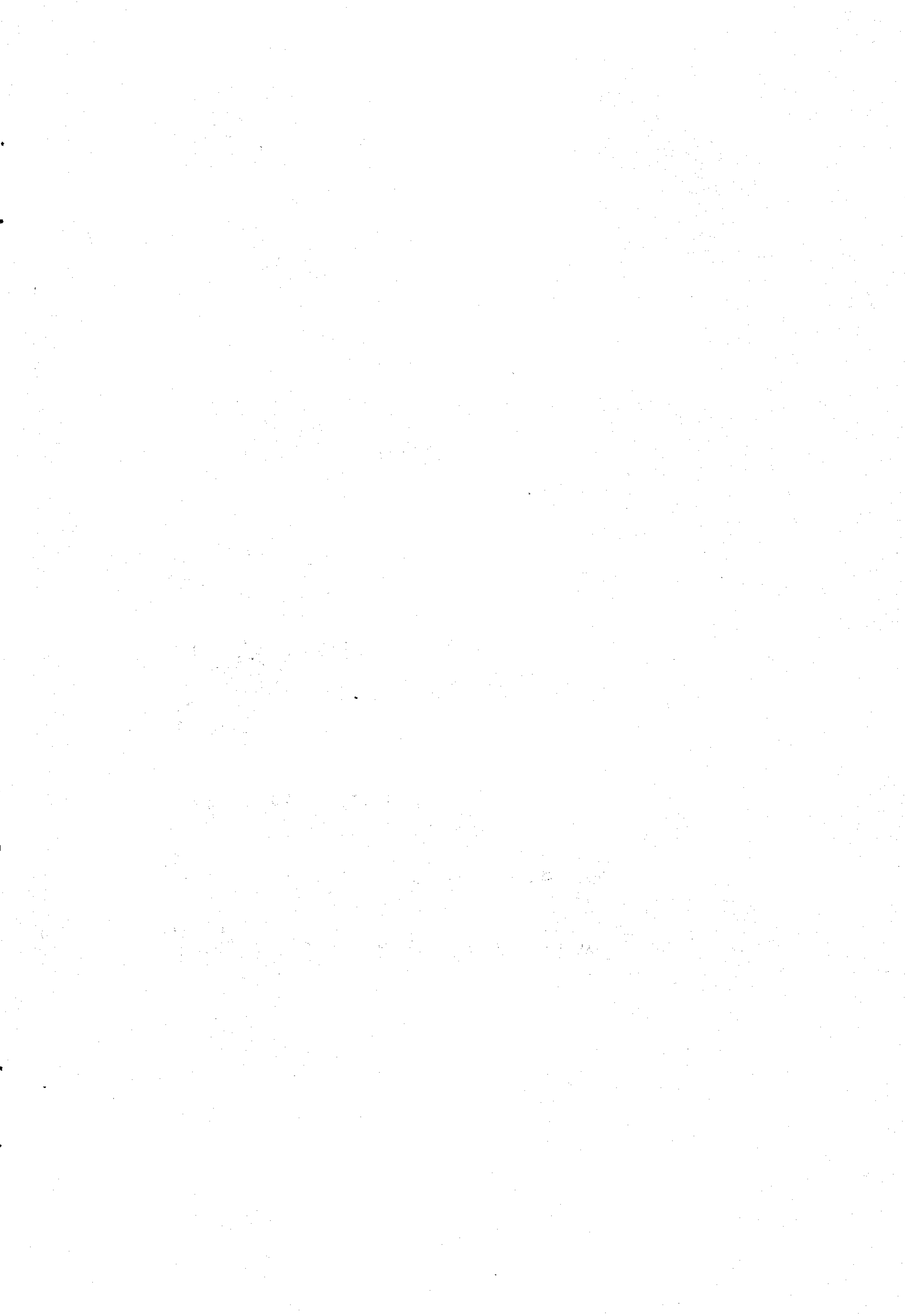
المؤلف

محمد علوان

المحامي

الفصل الأول
نزول الدين

- حاجة الإنسان إلي الدين
- الشرائع السماوية
- الأنبياء
- الأنبياء في القرآن
- الدين الحق والرسالات السماوية
- الإيمان بالغيب والبعث والقيامة



نـزول الدين : (حاجة الإنسان إلى الديـن)

الكون هو معجزة الخالق التى يعجز العقل البشرى دوما عن سبر أغوارها، وهكذا الفطرة الإنسانية التى تقبل الكون دون محاولة للسؤال عما يجاوز قدرتها، وذلك منذ وجدت الحياة على الأرض بكل ظواهرها الطبيعية ومخلوقاتها والكائنات الحية؛ وهذا الكيان إذا تدبر الإنسان فى حقيقة وجوده أو خلقه منذ بدء الخليقة، فيتأكد أنه ليس وليد صدفة أو ظروف لا يعلمها، إنما لابد وأن يستشعر أن هذا الكون وما فيه وما عليه لابد أن يكون له خالقاً أيًا كان كنهه، ولهذا كان الإنسان الأول يبحث عن القوة التى أنشأت الكون ويدين لها بالولاء، لذلك عجز العلماء عن تحديد بداية الكون والحياة ومهما اكتشف العلماء من قوانين ونظم الطبيعة فإنهم يظلون عاجزين عن معرفة كنه الوجود، مما يدل على القدرة الإلهية اللامتناهية، ومن هنا أنزلت الرسالات السماوية، علي الأنبياء والمرسلين للبحث عن القوة الربانية منذ آدم أبو الخلق إلي محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، ليهتدى الخلق إلى وجود خالق واحد هو الله الفرد الصمد الواحد الأحد . فالإنسان فى حياته آياً كانت مقومات الدين يحتاج إلى قواعد تنظم علاقته بالإله أى بالقوة الخفية آياً كان معتقده وعلاقته بنفسه وعلاقته بغيره من الناس .

فالقضية هى وجود الإنسان فى هذا الكون ومصيره، فهذه القواعد يستمدها من الدين أو من أوامر الحكام والعرف والعادات أو الآداب والشرائع وتضمنت قواعد عامة، وقواعد تفصيلية للسلوك الإنساني هي:-

(١) حرية العقيدة.

(٢) ممارسة الشعائر.

(٣) أحوالهم الشخصية.

(٤) العقوبات وحدودها.

وهذه كلها أمور تدخل فى نطاق الدين وإن اختلفت منابعه وروافده، فقد أصبح للدين قوة يعمل لها حساب، ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين، وكما قالت بحق السيدة **كارين ارمسترنج**[1]:

"إننا نشهد صحوة واسعة الانتشار، ولم يكن يدور بخلد الكثيرين فى الخمسينات أو الستينات عندما كان العلمانيون يفترضون أن الدين خرافة بدائية تجاوزها الإنسان العقلانى المتحضر وتخطاها، بل إن البعض كان يتنبأ بنبوءات واثقة بأن الدين فى النزع الأخير، وكان الكثيرون يعتقدون أن الدين لا يزيد على أحسن الفروض عن كونه نشاطًا فرديًا لم يعد قادرًا على التأثير على الأحداث العالمية، ونحن ندرك الآن أن تلك النبوءة كانت كاذبة، ففى البلدان التى كانت تنتمى إلى الاتحاد السوفيتى، والتى عاشت عقودًا طويلة فى ظل سياسة الإلحاد الرسمية، عاد الرجال والنساء للمطالبة بحقوقهم فى ممارسة شعائرهم الدينية" ٠أ٠هـ.

أما فى الغرب فقد رأينا إن لم يكونوا يبدون اهتماماً كبيرًا بالعقيدة المذهبية التقليدية ومؤسسات الكنيسة، أصبحوا يظهرون وعيًا جديدًا بالحياة الروحية وحياة النفس المطمئنة، ومن أشد المظاهر إثارة اليوم، ما نشهده من تفجر نزعات الدين الجذرية، التى يطلق عليها عادة صفة (الأصولية) فى معظم الشرائع الرئيسية. وتعتبر النزعة صورة من صور الإيمان الذى اكتسب طابعاً سياسيًا حاداً.

ولا تملك الحكومات أن تتجاهلها وإلا تعرضت لأخطارها، وهكذا على نحو ما شهدناه كثيرًا فى الماضى، أعقبت عصر التشكك والاستمرارية فترة من الحماس الدينى الملتهب، والواقع أن الدين حاجة إنسانية ذات جذور عميقة لا يمكن التغاضى عنها أو إقصاءها إلى الهوامش والحواش، مهما تكن العقلانية ومهما يكن مستوى التقدم الذى وصل إليه مجتمعنا، وقد يرحب البعض بعصر الإيمان الجديد الذى نشهده، وقد

(١) **كتاب محمد** ﷺ ترجمة د٠ فاطمة نصر ود٠ محمد عناني ص ١٥ وما بعدها ٠

يأسف البعض الآخر، ولكن من المحال أن يزعم أحد أن الدين لا علاقة له بالمشاغل الرئيسية فى هذا القرن، فالغريزة الدينية ذات قوة عارمة يمكن تسخيرها للخير والشر، ومن ثَّم يجب علينا أن نفهمها ونفحص مظاهرها فحصاً دقيقاً، لا في مجتمعنا فحسب بل فى الثقافات الأخرى أيضاً.

فقضية علاقة الإنسان بخالق هذا الكون المجهول له والذى يشكل غيباً لا يدرى كنهه إلا من خلال الإيمان المطلق بوجود خالق واحد للكون كله وما يحيط بالإنسان، **وقال الفريد كاستلر** الحائز على جائزة نوبل لأبحاثه فى تفاعل الضوء والمادة: "كلما ازددنا تعمقاً فى دراسة تركيب المادة يتضاءل اقتناعنا بأننا عرفناها، فإن جزءًا منها يظل وسوف يظل إلى الأبد بعيدًا عن تعليلنا، لأنه مخفى عنا مخفى بمن؟ مخفى بالمبدأ الأوحد، بالنظام الكونى الله ربما... إن كل ما نعرفه عن العالم المحسوس لا قيمة له فى فهم العالم غير المحسوس. أيمكن أن يكون فى علم الطبيعة علمان لا علم واحد: علم حقيقى بالنسبة إلى العالم المرئى وعلم أخر حقيقى بالنسبة إلى العالم الخفى؟"٠أ٠هـ٠

فما سر هذا الوجود وهذا الخالق ؟ منذ بدء الخلق على هذه الأرض فكان طوفان نوح ووجد الوحى الإلهى بدين السماء ثم تفرقت السبل بالخلق، وأصدق ما يصور ذلك ما عاشه سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء كما صوره القرآن حيث قال تعالي:

"وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(٧٥)فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(٧٦)فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(٧٧)فَلَمَّا رَأَى

الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(٧٨)" . [الأنعام].

فالشرائع السماوية الثلاثة مصدرها الوحى وهى ملة إبراهيم - عليه السلام - وكلها تسلم به وقد عبر عن ذلك قوله تعالى: "وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ(١٣٠)إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(١٣١)وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(١٣٢)" .[البقرة].

"وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ(١٣٥)" .[البقرة].

الشرائع السماوية:

التوحيد هو الأساس فى الشرائع السماوية كلها، فإبراهيم أبو الأنبياء قامت رسالته على التوحيد، كذلك نوح وهود وشعيب ولوط ويعقوب وإسحاق والأسباط ويوسف فكلهم دعوا إلى التوحيد، ثم توالت الرسالات الإلهية إلى أن وصلت إلى موسى وعيسى وختمت بمحمد ﷺ.

وكان مصدرها الوحى وأساسها التوحيد، بخلاف الأديان الوثنية أو الصابئة، فالإسلام هو دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها فلا توجد أديان سماوية متعددة وإنما هو دين واحد سماوى، والشرائع هى التى تتعدد يكمل اللاحق منها السابق عليها حتى يتكامل شرع الله بالتدرج الذى يتفق وطبائع البشر، وقد ينسخ اللاحق

بعض أحكام السابق ما لم يؤيده أو يضيف عليه، فشريعة من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ما يخالفه، وتنحصر الشرائع السماوية فى ثلاث حسب ترتيب النزول:

١ - اليهودية　　　２ - النصرانية　　　٣ - الإسلام

والشرائع السماوية الثلاثة التى انحصرت فيها ديانة التوحيد السماوية أنبياؤها من ولد إبراهيم فموسى وعيسى من ذرية إسحاق بن يعقوب بن إبراهيم وهم بنو إسرائيل ومحمد ﷺ من ذرية إسماعيل بن إبراهيم بن هاجر المصرية وهم من ولد سام بن نوح.

وقد اغلق اليهود وبنو إسرائيل الدعوة عليهم، فاليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار أما النصرانية والإسلام فهما من الملل التى تدعو إلى الإيمان بالضمير الإنسانى واستعداد الإنسان فى مختلف البلدان والأجناس للإيمان بالتوحيد، أما اليهودية فهى من الملل المقفلة، أى المحصورة فى بيئة معينة وهذه الملل السابقة وحدها هي التى تشكل مثلث الشرائع السماوية.

وقد نزلت هذه الشرائع على موسى وعيسى ومحمد ﷺ وسلم وكلهم من نسل إبراهيم أبو الأنبياء، وكانت رسالة الإسلام هى ملة إبراهيم، وهى التسليم المطلق لله. وقد عبر الكاتبان الأمريكيان **جراهام اى فوللر وايان اوليسر** فى كتابيهما بما يلي[1]: "إن الإسلام يعتبر نفسه - تاريخياً - ذروة تاريخ الرسالات السماوية على الأرض، ويعترف الإسلام بكل من موسى وعيسى نبيين ويحيطهما بالإجلال، ولكن موسى، حسب رأى الإسلام أخطأ فى فهم رسالة الله حيث اعتقد إنها لليهود وحدهم[2].

(١) كتاب الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة ترجمة الأستاذ شوقي جلال ص ٤٠.

(٢) **تعليق** : إن موسى لم يخطأ في فهم ما نزل عليه من الله ولكن اليهود هم الذين فهموا هذا بعدما حرفوا التوراة التي بأيديهم، وهذا هو رأي الإسلام.

وفى حين رأى يسوع أن رسالة العهد القديم هى لشعوب الأرض قاطبة، يرى المسلمون أن المسيحيين انطلقوا فى الخلط بين الرب ويسوع، ومن ثم فبدلا من القول أن عيسى نبى عظيم، وقد كان كذلك حقًا، اعتبروه ابن الإله بكل ما تعنيه الكلمة حرفيًا، وفى رأى الإسلام أن الله ذات واحدة، وقد كان محمد خاتم الأنبياء وأعظم المرسلين الذين أوحى إليهم بعقيدة محورها وحدانية الله، وهى خاتم الرسالات. وهكذا كان الإسلام "عالميًا، وجاءت رسالة محمد كأوضح رسالة فى التاريخ. وجرى تسجيلها على نحو دقيق بحيث لا يأتيها الشك أبدًا فى أى جزء من تفصيلاتها" ٠أ،هـ٠

وقد عبر الرسول فى حديثه الشريف عن الإيمان بقوله: "**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**[1]"٠

الأنبياء:

إن صراع النبوة مع الأرباب، الذين يحاولون دائما انتزاع سلطان الله فى الأرض، ونصب أنفسهم آلهة، تتحكم بالعباد، هى قصة التاريخ الحقيقة، بل هى قصة صراع الخير والشر، الصراع بين الله و شرعه، الذى يسوى بين الناس، و الطاغوت الذى يريد تعبيد الناس له٠

فالمشكلة كانت ولا تزال في اتخاذ هؤلاء الأرباب، و لو أن الناس استجابوا لدعوة الأنبياء، التى أعلنوها منذ فجر البشرية، لعاشوا جميعا فى حرية و كرامة ومساواة وسعادة، قال تعالى: "**قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(٦٤)**" ٠ [آل عمران]٠

---

(١) **حديث**: متفق عليه٠

وقال تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٥٩)" ٠[الأعراف]٠

و قد اصطفى الله من بين الناس أفرادًا أوحى إليهم كما يشاء بالخطاب المباشر أو عن طريق الملائكة، وكانوا هؤلاء هم الأنبياء، والنبوة فى حقيقتها، حركة تحرير، ودعوة رحمة وبنيان خلاص، وإن الذين يحاولون إلغاء النبوة وتحريف النص الدينى، والتعسف فى تطبيقه، فمحاولتهم فى الحقيقة هى اعتداء على حقوق الإنسان٠

فالنبوة تعنى التحرير، وتعنى المساواة التى هى روح الحقوق الإنسانية، ومنطلق الحضارات، وعمارة الأرض، فالحرية هى التى تجعل الإنسان كريمًا، يأخذ امتداده الطبيعى بخصائصه الذاتية، على أوسع مدى، موَجَهاً بضوابط الشرع، والأرباب يحاولون دائما إلغاء النبوة، وإبعاد رسالتها عن الحياة، لأن النبوة أقل ما يقال فيها أنها تسويهم بغيرهم، وهم يريدون أن يكونوا آلهة العصر[١]٠

والنبى هو المبشر بالهدى، والمنذر بعقاب الله، فهو ليس بالمنجم الذى يكشف الطوالع والأسرار ولا يصاحب الخوارق والأعاجيب التى تشل العقول وتهول الضمائر وتخاطب الناس من حيث يخافون[٢] ويعجزون، ولا تخاطبهم من حيث يعقلون ويتأملون ويقدرون على التميز، يقول تعالى: "فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ(٤٨)" ٠[الشورى]٠

---

(١) مقدمة الأستاذ عمر عبيد حسنى كتاب **(النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية)** للدكتور محمد أحمد عبد الغني ود٠ سامي صالح الوكيل ص ١٢ **(كتاب الأمية)**٠

(٢) عباس العقاد **(ما يقال عن الإسلام)** دار الهلال٠

ويقول: "وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا(٥٦)" .[الكهف].

وقد جعل الله آدم خليفته فى الأرض، وبعد ذلك أرسل الرسول بعد الآخر لكل أمم الأرض وعلى هذا، فجميع الشرائع هى في الحقيقة لديانة واحدة، وقد أرسل كل نبى لقومه عدا محمد ﷺ خاتم النبيين فقد أرسل للناس كافة ليتمم ويكمل رسالات الرسل السابقين عليه، بخلاف سائر الرسل وهذا ما أثبتته آيات القرآن، وهو آخر الكتب السماوية، والذى أثبت البحث وأوضحت الدراسات المحايدة فى الغرب أو الشرق أنه منزل من السماء بإعجازه الشامل "وإنه الكتاب الوحيد الذى ظل خمسة عشر قرنًا ولم يتغير ولم يتبدل منذ أن نزل به الوحى، فقد كتب فور نزوله، أما التوراة والأناجيل فقد كتبوا بيد الحواريين، واختلفوا فيهم اختلافًا كبيراً، فأدخلوا فيهما ما ليس منهما، فاعتراهما التحريف بالمجمعات، أو من بعض كتاب الأناجيل أو التوراة بطول الزمن بين نزول الرسالة وكتابة التوراة والإنجيل ولتدخل الأحبار والرهبان[1]"، وقد جاء ذكر ذلك في القرآن بقوله تعالى: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(٣١)" .[التوبة].

"فقد كانوا يأخذون دينهم من الأحبار والرهبان من غير رجوع إلى أصل الكتاب، ويعتبرون كلامهم حجة من غير أن يتبينوا سنده وأصله، وبذلك كانوا أربابًا من دون الله، وبذلك أشركوا غير الله في طريق عبادته، وقد انفتح بذلك ما كان يعرفه التاريخ وطواه فيه طى السجل للكتب[2].

---

(١) من كتاب (محمد) للسيدة كارين ارمسترونج ص ١٣٤ .

(٢) كتاب (العقيدة الإسلامية) للشيخ محمد أبو زهرة، سلسلة البحوث الإسلامية ص ٦٧.

أما القرآن فما أصدق قول الله تعالى فى كتابه: "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(٩)** " ٠[الحجر]٠

وقد مضت الأيام والقرون والقرآن كما هو منذ أن بدأ نزوله فى مكة ولم يعتريه تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقص دليل قاطع على صدق الرسالة والرسول أمام كل مكابر جاحد، وقد جاء الإسلام للناس بعد أن بلغوا من التطور فى فهم الدين مرحلة واسعة، فعرفوا أن الحق الإلهى محصول روحانى وليس بالمحصول الأرضى الذى يرتبط بالتربة كما ترتبط محاصيل الزروع والضروع، فالله فى الإسلام وفى اليهودية والمسيحية هو رب العالمين، يتساوى عنده الناس ولا يتفاضلون عنده بغير العمل الصالح(١).

ويختلف المجتهدون في الإسلام عن الأحبار والرهبان فى اليهودية والنصرانية، لأن فقهاء الإسلام ليست أقوالهم حجة بذاتها، إنما الحجة فيما يعتمدون عليه فى القرآن والسنة وهما المصدران الوحيدان في الإسلام فهم مفسرون مستنبطون قد يخطئوا أو يصيبوا في الفهم وليسوا محتكرين للتفسير فكل من تتوافر فيه شروط الاجتهاد و يصلح للممارسة فله أجر صوابه وعليه وزر خطئه٠

ومن أقوال فقهاء الأمة فى ذلك:

قال الإمام مالك:" **أنا بشر أخطئ و أصيبُ فاعرضوا قولي على كتاب الله وسنة رسوله**"٠ وعندما أراد الخليفة المنصور فرض كتابه **(الموطأ)** على مختلف البلدان الإسلامية، رفض الإمام مالك ذلك واستند إلى أن الصحابة قد اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى مختلف البلدان ولدى كل منهم علم وحديث يعتقد صحته.

قال أبو حنيفة: "**هذا رأينا، فمن جاءنا برأى أصدق منه قبلناه**".

وقال: "**أعلم الناس هو أعلمهم باختلاف الناس**".

وقال الإمام الشافعى: "**إذا ما رأيت الحجة موضوعة على الطريق، فإنى أقول بها**"٠ فقد غير آراؤه عندما هاجر من العراق إلى مصر واتخذ مذهباً جديدًا يتلاءم

---

(٣) عباس العقاد (ما يقال عن الإسلام) دار الهلال٠

وظروف البيئة الجديدة وأصبح له مذهبان: قديم وهو ما كتبه فى العراق، وجديد وهو ما كتبه بمصر، وكما يقول: "**إذا صح الحديث فاضربوا بقولى عـــرض الحـــائط**"، وقال:"**رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب**"،

وقال الإمام أحمد: "**لا ينبغى للفقيه أن يحمل الناس على مذهبـــه ولا يشـــدد عليهم**"، وقال: "**لا تقلد فى الرجال، فانهم لن يسلموا من الخطأ**".

وقد قص علينا القرآن قصص بعض الأنبياء والرسل فى آياتـــه البينـــات، ومنها قول الله تعالي: " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١)" ٠ [نوح] ٠

وإبراهيم: يقول تعالي: "وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّـــهَ وَاتَّقُـــوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(١٦) "٠ [العنكبوت] ٠

ولوط: يقول تعالي: "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَـــأْتُونَ الْفَاحِشَـــةَ مَـــا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ(٢٨) "٠ [العنكبوت] ٠

وشعيب: (مدين): يقول تعالي: "فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِـــي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٣٧) " ٠[العنكبوت] ٠

وهـــود: (عاد): يقول تعالي: "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُـــدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ(٥٠)" ٠[هود]٠

وصالح: (ثمود): يقول تعالي:"وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَـــالَ يَـــاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَاسْـــتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ(٦١) " ٠[هود]٠

وموسى (اليهود): يقول تعالي:"وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُـــمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ(٩٢) " ٠ [البقرة]٠

و(فرعون) : يقول تعالي:"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى(١٥)إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٦)اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(١٧)" ٠[النازعات] ٠

وعيسى: (اليهود): يقول تعالي: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاة وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَات قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(٦)" ٠ [الصف]٠

محمدﷺ: يقول تعالي: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(١١٠) " ٠[الكهف] ٠

فمحمد ﷺ لم يسبغ عليه القرآن أية صفة من صفات الألوهية، فهو مثل سائر البشر، ولكن الله ميزه بنزول الوحى عليه كسائر الأنبياء، رسالة تنحصر في تبليغ ما أوحى إليه من الله إلى الناس كافة: "فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ(٤٨)" ٠[الشورى]٠

٠ "هذه هى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التى كلف بها، و ليس له أن يعددها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها[١]" و على هذه الوتيرة كان القرآن، قال تعالى:

---

(١) (محمد الرسالة والرسول) الدكتور نظمي لوقا، الناشر دار الكتب الحديثة ص ٨٦.

"يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٥٨) [الأعراف].

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧)". [الأنبياء].

"تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا(١)".[الفرقان].

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢٨)".[سبأ].

"فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(٢١)لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(٢٢)". [الغاشية]

"نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ(٤٥) ". [ق].

كما أن الآيات القرآنية تعبر عن الرسالة بأنها للناس أي للخلق أجمعين وليس للمسلمين أو المؤمنين واتباع الرسول ﷺ تبين أن الرسالة عالمية الدعوة، وليس لقوم بعينهم، أو لنطاق معين، فهي للكافة، لذلك فالقرآن موجه للإنسان حيثما كان:

"وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(٥٢)". [التكوير].

وقد جاء في الحديث عن النبي قال : **"أرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"**[١]. وقد خص الله عباده من الأنبياء بخوارق العادات وأن المعجزات

---

(١) أخرجه البخاري.

تحدى بها الأنبياء أقوامهم، كما تحدى موسى بعصاه وسائر المعجزات التى أجريت على يديه، وكما تحدى عيسى -عليه السلام- بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، وغيرها من معجزات أجراها الله تعالى على يديه وكل هذا يتفق والعصر الذى عاشه موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، وكانت معجزة الرسول ﷺ القرآن الكريم وهو المعجزة الخالدة إلى يوم الدين وهذا ما ميز النبي ﷺ على سائر الأنبياء فالقرآن عرفه العلماء بإنه: "اللفظ العربي المنزل على سيدنا محمد ﷺ، والمنقول إلينا تواترا، والمتعبد بتلاوته، والمتحدي بأقصر سورة منه، والمبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس". وهكذا كانت معجزة النبي مشاهدة ومحسوسة بحيث لا تختفي مع مرور الزمن، وهذا لا ينفي أن للرسول ﷺ معجزات أخرى رآها أهل عصره، ونؤمن بها نحن لأنها ثابتة في السنة الصحيحة، ولم يكن اعتماد الإسلام في إثبات النبوة والرسالة لمحمد ﷺ على هذه المعجزات وإن كانت قد وقعت، فلو اعتمادنا في إثبات الرسالة على تلك المعجزات لظهر من بين الناس من ينكر نزول الوحي على رسول الله لأنه لم يرى تلك المعجزات أو يعتقد أن الرسول ﷺ إلهاً من دون الله، فكانت الحكمة البالغة في سد هذه الأبواب على ضعاف النفوس وناقصى العقول ومتطرفى الفكر، وقد رفض النبي ﷺ أن ينسب كسوف الشمس يوم وفاة ابنه إبراهيم إلى الحزن عليه، وقد علق على ذلك الأستاذ عباس العقاد بتعليق متميز[1] من أنه: "جاءت الخوارق طائعة لنبى الإسلام فصدقها الناس وأبى النبى ﷺ أن يصدقوها أو يفهموها على غير حقيقتها". أ. هـ.

---

(١) كتاب (**حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**) عباس العقاد، ص ١٥٩.

إن الرسول ﷺ وهو الأمين على الرسالة كان دائماً يبعد الناس عن تبجيلــه وتعظيمه وتقديسه ويعلمهم أنه حامل الرسالة عبد الله ورسوله، وفي الحديث: "**إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**"(١) .

---

(٢) أخرجه ابن سعد فى (**الطبقات الكبرى**)، والبخارى فى (**صحيحه**).

وقد أتى هذا التكوين للمسلمين على يدى الرسول أثره وظهر فى أجلى صورة عند وفاته وحدثت بلبلة بين المسلمين فى المدينة، بلغ بسيدنا عمر رضى الله عنه، أنه خطب فى الجموع ورفض تصديق وفاة النبى مطلقاً قائلا إن روحه قد تركت جسده مؤقتا وأنه لا محالة عائد إلى قومه، وأنه سيكون آخر من يموت منهم، وقد قام سيدنا أبو بكر وذكّرهم بأن محمدًا قد كرس كل حياته داعيًا إلى الوحدة الإلهية، كما أن القرآن قد حذرهم تكراراً من إسباغ أى منزلة إلهية على مخلوق. وكان محمد ﷺ أيضاً يحذرهم دائماً من إسباغ التبجيل عليه، مثل الذى سبغه النصارى على عيسى، إنه بشر مثلهم، كما أن رفضهم الاعتراف بموت محمد وهو إنكار للحقيقة الجوهرية لمحمد ﷺ ؛ لكن طالما بقى المسلمون مخلصون للاعتقاد بأن الله وحده هو الجدير بالعبادة، ثم اختتم قائلاً: **أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت**، ثم تلا الآية:

"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ(١٤٤)". [الأعراف].

هذا إذاً مكان النبوة فى ذلك الطور الأخير من أطوار العقيدة الإلهية يتنزه الله فى تلك العقيدة عن أساليب جوبيتر وأشباه جوبيتر، وليس أنبياؤه كهاناً، ولا ملائكة ولا سحرة ولا منجمين، وإنما هم بشر يأتيهم الوحى من الروح الأمين ليس عليهم إلا البلاغ.

ولكن هل نكرر تلك النبوة على ذلك الأسلوب؟ لا حاجة للبشرية بذلك التكرير، فإن طور الأسلوب العقلى المجرد هو أخر أطوار البشرية، ومن تفتح عقله وبلغ رشده، فطائره للرسالة خصوصية هى إتمام ما سبق. ومتابعة البشر فى

أطوار نضجهم بما يناسبهم من الهداية و الصلاح، فما هى الخصوصية التى يمكن أن تكون موضوع رسالة جديدة من رسالة الإسلام"[1].

الدين الحق والرسالات السماوية:

فالدين الحق شئ منطقى يقتضيه العقل السليم بعد اليقين بوجود الخالق وهل من خالق غير الله ؟ وقد أرسلت الرسل بتوحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم وأنه رب السماوات، لأنهم مقرون بذلك حتى المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم يقرون أن الله خالقهم، وقد عبر القرآن عن ذلك أصدق تعبير وأوجزه وأكمله بقوله: "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ(٨٧)". [الزخرف].

وقال: "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ(٩)". [الزخرف].

ومن الملائم إذا ما تعرضنا للوحدة الدينية وأساسها توحيد الله خالق البشر فى الرسالات السماوية أن نستعرضها لنستخلص أوجه الاتفاق بينها وهى كثيرة فى أساس عقيدة التوحيد كما نزلت على رسله، ومن أبلغ ما كتب فى هذا الشأن ما أوردته **كارين ارمسترونج** فى مقدمة كتابها السابق[2] "من أن التفسير الإسلامى لعقيدة التوحيد يتميز بعبقرية خاصة، وعلينا أن نتعلم منه أموراً مهمة، ولقد تزايد وعيى بهذه الحقيقة وبصورة مطردة منذ أن بدأت التعرف على الإسلام، والحق أننى كنت أكاد أجهل ذلك الدين تماماً حتى سنوات قليلة خلت، وكان أول ما نبهنى إلى أن التقاليد الإسلامية يمكن أن تخاطبنى فتلقى منى أذاناً صاغية - رحلة قمت بها إلى مدينة سمرقند فى أثناء عطلة من العطلات، إذ رأيت أن العمارة الإسلامية تنطق

---

(١) **(محمد الرسالة والرسول)** للدكتور نظمي لوقا.

(٢) أشارت إليه بالصحيفة ٢٢، ٢٣ .

بروحانية هائلة بأصداء الكاثوليكية التى كنت أدين بها يوماً ما، وفى عـــام ١٩٨٤ كلفت بإعداد برنامج تليفزيونى عن الصوفية، أى مذهـــب التصـــوف الإســـلامي، وبهرنى بصفة خاصة تقدير الصوفية للأديان الأخرى، وكانت تلك من الصفات التـــى لم أعثر عليها قطعاً فى المسيحية أو كان ذلك بمثابة الطعن فى كل ما كنت أعرفه ظناً عن الإسلام وأسلم به دون مناقشة، ووجدتنى متعطشة لمعرفة المزيد و أخيراً اهتديت إلى سيرة محمد، والى القرآن، الكتاب المنزل الذى أتى به إلى العرب، أثناء دراســـتى للحروب الصليبية والصراع الدائر فى الشرق الأوسط. ولم أعد الآن مـــن المؤمنيـــن بالمسيحية أو الممارسين لشعائرها، بل لا انتمى لأى دين أخر، ولكننى عكفت علـــى مراجعة أفكارى عن الإسلام وفى الوقت نفسه وجدتنى أعيد النظر فى معنى التجربـــة الدينية نفسها، فرأيت، الأنبياء والرسل فى جميع الأديان الكبرى يتميزون بأن رؤاهـــم للحقيقة المتعالية تتشابه فيما بينها تشابهًا كبيرًا، ومهما يكن التفسير الذى نختاره لهذه التجربة الإنسانية، فهى حقيقة لا يمكن إنكارها، وقد ينكر البوذيون أن هـــذه الرؤيـــة تتجاوز الطبيعة إلى عالم الخوارق، قائلين إنها حالة ذهنية طبيعية لدى الإنسان، ولكن أديان التوحيد تطلق على هذه الحقيقة المتعالية اسم (الله)". أ،هـــ.

فالعقيدة واحدة من آدم مروراً بسيدنا إبراهيم أبو الأنبياء ونســـطر معـــهم وبالأخص موسى وعيسى عليهما السلام وختامًا بمحمد ﷺ حتى نهاية البشـــرية يوم قيام الساعة. والشرائع السماوية الثلاث مع وحدة تتبعها الإلهى تدور حول ثلاث ركائز:

(١) العقيدة **(٢) الأخلاق** **(٣) التشريع**

وتلتقى هذه الدعائم الثلاث على أسس واحدة فى الأصول وإن اختلفـــت فـــى بعض الفرعيات، فى هذا الصدد كتب الأمام الرازى فى التفسير الكبير[١] بين الفـــرق بين تعاليم الأنبياء انه فى الأصول لا الفروع بقوله: "وردت آيات دالة علـــى عـــدم

---

(١) راجع (التفسير الكبير) للإمام الرازي (٢ / ٦٠٨).

التباين في طريقة الأنبياء والرسل، وآيات فيها. أما النوع الأول فقوله تعالى: "**شَرَعَ لَكُمْ من الدين مَا وَصَى به نُوحًا**" إلى قوله تعالى: "**أن أَقِيمُواْ الديــن ولا تَتَفَرَقُواْ فيه**". وقال تعالى: "**أُولَئِكَ الَّذِيــــنَ هَــدَى اللَّـــهُ فَبِــهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**" ٠[الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى: "**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْــهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّـــهُ وَلَـــا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَـوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْــتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًـــا فَيُنَبِّئُكُــمْ بِمَــا كُنتُــمْ فِيــهِ تَخْتَلِفُونَ(٤٨)**" ٠[المائدة]

وطريق الجمع أن نقول: الفرع الأول من الآيات مصروف إلى مـــا يتعلــق بأصول الدين، والنوع الثاني مصروف إلى ما يتعلق بفروع الدين، وكلها تنطلق مــن الإيمان المطلق بأن الله واحد والعبودية له وحده، وهذا أساس عقيــدة الرســالات السماوية فهذه العقيدة تقرر أن جميع بني الإنسان من خلق الله الواحد، فهم متســاوون لا تفرقة بينهم فكلنا نعبده ونخضع له، وعلى هذا فالظلم بين النـــاس مرفــوض، والإنسان كرمه الله لأنه إنسان، لا لجنس أو لون أو عرق، والآيات واضحـــة فـــي الدلالة علي ذلك نذكر منها قول الله تعالي: "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَـــاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَـــاهُمْ مِـــنْ الطَّيِّبَـــاتِ كَثِـــيرٍ مِمَّـــنْ خَلَقْنَـــا تَفْضِيلًا(٧٠)**" ٠ [الإسراء].

"يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣)" . [الحجرات] .

لا خلاف ولا اختلاف فى أصل العقيدة والأخلاق التى تقرها الشرائع الثلاث فهى واحدة لأن المنبع واحد، أما التشريع فقد يختلف من شريعة لشريعة بحكم زمان النزول ومكانه وهذه سنة الطبيعة ، فالأصول ثابتة لا تتغير في أي رسالة سماوية، أما الفروع فهى قد تختلف فيه وفقا للتفاوت الزمنى والمكانى وهى سمة أبدية أزلية.

فالمؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وموسى -عليهما السلام- ومن يدخل فى الإسلام من أهل الكتاب لا يخرج من النصرانية التى جاء بها عيسى، ولكنه يدخل فيها كاملة غير منقوصة، لأنه كمالها بما جاء به محمد ﷺ.وفى بداية الرسالة كان بيت المقدس قبلة للمسلمين لإثبات الرابطة بين الدين ورسالة المسيح -عليه السلام- "ولقد سئل قس دخل فى الإسلام: لِمَ خرجت من المسيحية؟ فقال ما خرجتُ منها، ولكنى أدركتها صحيحة سرتُ فيها إلى كمالها، وكمالها بالإيمان بمحمد -عليه السلام- كما أن كمال الإسلام فى الإيمان بكل السابقين بل إن ذلك من أصول الإسلام، وأيد هذا الاتجاه ما جاء بكتاب "الإسلام والغرب"(١) : "إن نظرة الإسلام إلى النصرانية هى أنه بعد أن قدم المسيح إلى العالم تعاليم جديدة مهمة أوصى بها الله إليه عن عالمية رسالة موسى إلى جميع البشر، انحرف النصارى عن رسالته، واتخذوا الرسول المرسل إليهم إلهاً يعبدونه من دون الله ذاته، وواقع الحال أنه باستثناء الزعم بأن المسيح ابن الله، وباستثناء الرواية عن قيامه، نجد أجزاء كثيرة من التاريخ المسيحى واليهودى هى من صلب الإسلام تماماً، ذلك أن المسلمين يؤمنون بكل من

---

(١) كتاب (الإسلام والغرب) جرهام لرويان ليسر ترجمة شوقي جلان ص ٤١.

موسى وعيسى مثلما هو حال عدد كبير من أنبياء العهد القديم؛ معنى هذا أنه ليس هناك أسباب للاختلاف على صعيد الفقه الإلهي، وإن كان من العسير أن يؤدى ذلك إلى نشوء صدام حضارى على أساس العقيدة الدينية وحدها،"لقد تمت فكرة التوحيد وتم خطاب العقل وتم البلاغ إلى الناس كافة، أحمرهم وأسودهم، وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه، وبدنياه، وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونها على هذا الأساس، فما بعد ذلك قول معاد ليس فيه جديد يستفاد" أ.هـ.

وبسبب من طبيعة الرسالة، ومن حاجة الناس إليها، كان من الطبيعى أن يكون هذا الرسول خاتم الرسل، لأن رسالته كانت خاتمة الرسالات(١).

الإيمان بالغيب والبعث والقيامة :

توجب الرسالات السماوية الإيمان بأن حياة المادة معها حياة روحية، وأن هنالك عوالم من الأرواح كما يجب الإيمان بأن هنالك ملائكة وجان، حيث قال تعالي: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)". [الذاريات].

ومن الناس من يعلو تفكيرهم فى المادة ويتعرف على قوانينها وأسرارها، ويقترب بالأسباب والمسببات، فتلتقى فيهم منطقة المادة بمنطقة الغيب، فيقرون صادقين أن وراء هذه الأسباب منشئًا مريدًا مختارًا، وليس من المادة، ولكنه مسيرها ومنشئها، وهو عالم الغيب والشهادة.

وكذلك فإن الإيمان بالبعث والحياة الأخرى قرين الإيمان بالغيب، فالأمران غيبيان، وبعض الملاحدة ينكرون بعث الأموات وإحياءها مرة أخرى، وأن تكون هناك حياة أخرى ، أما المؤمن فيسلم بأن هناك حياة أخرى ويؤمن بقيام الساعة والجن والنار وأن الحياة الأخرى هى الحياة الحقيقية، لأنها الباقية الخالدة فيها الثواب والعقاب وأنها دار البقاء فيها النعيم أو العذاب الأليم، سواء كان ذلك الوارد بالكتب المقدسة ماديًا أو معنويًا والله أعلم بما فى الآخرة.

---

(٢) **(محمد الرسالة والرسول)** الدكتور نظمي لوقا.

فالمؤمن يسلم بكل هذه الغيبيات التى لا يدركها الحس أو يتخيلها العقل فالرسالات السماوية تجمع على الإيمان بهذه الغيبيات كلها واليوم الأخر وما فيه لابد أن يسلم بها المؤمن عن صدق وعقيدة تنبثق من عقيدة التوحيد ، انصياعاً واستجابة لما قررته الذات العليا وحّيًا على أنبيائه المرسلين فهنا الرسالات السماوية تتفق وتتكامل ولا تختلف حوله هذه الملامح الإيمانية لأن نبعها واحد ومصدرها إلهى، ولذلك ليس من الإسلام التعصب فى نفوس معتنقيه بالنسبة للرسالات السماوية فالمعيار للتقرب من الله يكمن فى كلمتين **(الإيمان - العمل الصالح)**، وتتلخص فى أن الدين المعاملة فالإنسان لا ينال النجاة بمجرد الانتساب للدين، وإنما يجب أن يقرنه بالإيمان الصحيح والعمل الصالح.

الفصل الثاني

القرآن وأهل الكتاب

- اليهود
- الحركة الصهيونية واليهودية
- الهوية اليهودية والسامية
- اليهودي
- مصادر اليهودية
- العهد القديم
- التلمود
- التوراة
- الشريعة اليهودية
- أنبياء بني إسرائيل في القرآن الكريم
- الخطر اليهودي

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(٦٤)." [آل عمران].

"لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣)يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(١١٤)وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ(١١٥)".[آل عمران].

"وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(٤٦)". [العنكبوت]

. "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ(٦١)". [آل عمران].

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)".[البقرة].

"الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٥)".[المائدة].

"لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون(٨٢)".[المائدة].

"وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون(٤٧)".[المائدة].

"قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين(٦٨)".[المائدة].

والحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "**أوصيكم بقبط مصر خيرا فإن لكم فيها صهرا ونسبا**".

اليهود:

اليهودية هى ملة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بنى إسرائيل الذين أرسل إليهم نبى الله موسى عليه السلام مؤيدًا بالتوراة التى أوحى بها الله إليه فى سيناء فترة هروبه من مصر، ودعاه للعودة لمصر وأن يذهب وأخاه هارون نبى الله معه، وأن يذهبا إلى فرعون ولما لم يستجب لهما خرجا باليهود من مصر وكان ذلك سنة ١٢١٣ ق.م في عهد فرعونها منبتاح، ثم تاهوا فى الصحراء أربعين سنة عندما غضب الله عليهم ومات موسى وبعد العودة إلى أرض الميعاد توالى الأنبياء فى حكم البلاد إلى أن حكمها سليمان بن داود والذى صاهر فرعون مصر، ولما توفي بسنوات وفي عهد رحبعام الذي تولي حكم المملكة ٩٣٥ ق٠م لم يحظ بمبايعة الأسباط وترتب علي ذلك أن يميل عنه بنوا إسرائيل إلي أخيه بريعام مما أدي إلي انقسام المملكة إلي قسمين:

(١) شمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم ٠

(٢) جنوبية اسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم ٠

ثم وقع الإسرائيليون فى سنة ٧٢١ ق.م تحت قبضة الآشوريين فى عهد الملك سرجون الثانى ملك أشور فزالوا من التاريخ، ثم سقطت مملكة يهوذا تحت قبضة البابليين سنة ٥٨٦ ق.م وقد دمر نبوخذ نصر (بختنصر) أورشليم والمعبد وسبى اليهود إلى بابل وهذا هو التَدمير الأول، وفى سنة ٥٣٨ ق.م احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل، وقد سمح لهم بالعودة إلى فلسطين ولكن لم يرجع منهم إلا القليل، وفى سنة ٣٢٠ ق.م آل حكم فلسطين إلى الاسكندر المقدونى ومنه إلى البطالمة، وفى سنة ٦٣٠ ق.م اكتسح الرومان فلسطين واستولوا على القدس بقيادة بابييوس، وفى سنة ٢٠ ق.م بنى هيرودوس هيكل سليمان من جديد ، وقد ظل هذا الهيكل حتى سنة ٧٠ م حيث دمَّر

الإمبراطور تيطس المدينة وأحرق الهيكل وهذا هو التدمير الثاني، وقد جاء أوريانوس سنة ١٣٥ م ليزيل معالم المدينة تمامًا ويتخلص من اليهود بقتلهم وتشريدهم، وقد بنى هيكلًا وثنيًا (اسمه جوبيتار) مكان الهيكل المقدس، وقد استمر هذا الهيكل الوثنى حتى دمره النصارى فى عهد الإمبراطور قسطنطين.

وفى سنة ٦٣٦ م فتح المسلمون فلسطين وأجلوا عنها الرومان، وقد اشترط عليهم صفرونيوس بطريك النصارى أن لا يسكن المدينة أحد من اليهود، وفى سنة ١٨٩٧ م بدأت الحركة الجديدة لليهود تحت اسم الصهيونية هدفها بناء دولة إسرائيل على أرض فلسطين إلى أن أقيمت بمساعدة الدول الغربية وأمريكا سنة ١٩٤٨ .

الحركة الصهيونية واليهودية:

يخلط الكثيرون بين اليهودية كملة وبين الحركة الصهيونية، ذلك أن الدولة الصهيونية تدعى أنها يهودية وإنها تجسيد -إثنية دينية أو علمانية- يهودية، وأنها استمرار للدولة اليهودية القديمة، ولذلك يطلق الصهاينة على إسرائيل اصطلاح الهيكل الثالث، وانطلاقًا من هذا، تطلب الصهيونية من اليهود الالتفاف حولها ودعمها، وباسم هذه الهوية المزعومة تقوم إسرائيل بضم الأراضي، ولسنا فى مجال الخلط المتعمد بين اليهودية كدين. والصهيونية[١] وعرض ذلك وبيانه ليس مجال بحثنا ويكفى هنا أن نبين أنها حركة تنشد العودة إلى جبل صهيون بفلسطين ويرى بن جوريون أن ما يربط بين اليهود ليس الملة اليهودى بدليل أن الحركة الصهيونية فيها يهود متدينون ويهود لا دينيون أى لا يؤمنون بوجود الله.

---

(١) كتاب الدكتور عبد الوهاب المسيري **(من هو اليهودي)** ١٩٩٧.

وإنما يربط بين اليهود رباط لا يتخلف هو رؤيا العودة، هو الإيمان بأن الخلاص هو فى العودة إلى جبل صهيون، حيث أقام داود معبده الأول[1]، وكما قال بيجن لأعضاء كيبوتس عين هارود: "لو كانت هذه هى فلسطين وليست إسرائيل إذًا فأنتم غزاه ولستم مزارعين يفلحون الأرض، إذا كانت هذه هى فلسطين، فهى إذًا تنتمى للشعب الذى عاش هنا من قبل أن تأتوا إليها لن يكون لكم حق العيش هنا إلا إذا كانت هذه أرض إسرائيل"أ٠هـ.

والذى أطلق على بنى إسرائيل اسم اليهود هم الفرس، أطلقوا على عقيدتهم اليهودية ولو لم يكن من بنى إسرائيل، وهذا هو الفرق بين اليهودى والإسرائيلى، فمن هو اليهودى ؟ سؤال يثار كثيرًا داخل الكيان الصهيونى، ويعبر عن فشل الإسرائيليين فى تعريف الهوية أو الشخصية اليهودية فى التاريخ القديم إن قورش سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين واستئناف عهد الحرية فى ظله، ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية.

ومن ثم فقد ترددوا طويلًا فى العودة للقفار والصراع حول المدينة المقدسة، وبعد هذا التردد استقر رأى الأغلبية الساحقة على البقاء، حيث كانوا بالعراق ومصر وغيرها من البلاد التى نزحوا إليها بعد سقوط دولتهم على يد بختنصر.

الهوية اليهودية والسامية:

ومما يجب أن يذكر أن اليهود والعرب ساميون من أبناء سيدنا إبراهيم فإذا ذكرت السامية يجب ألا تفهم على أنها تشمل اليهود وحدهم فالعرب نسل إسماعيل الابن الأكبر لسيدنا إبراهيم هم من السامين كذلك اليهود والعرب أصلهم واحد،

---

(٢) كتاب (اليهود) الدكتور أحمد شلبي، ص ١٤٠، نقلا عن ابن جوريون **(دراسات ومحاضرات مطبوعة)** ص ٥٣، ٥٤.

ولم يكن للعرب نبى بعد سيدنا إسماعيل إلا رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ ، أما بنو يعقوب (إسرائيل) فهم من نسل إسحاق بن إبراهيم وقد خصهم بالرسل فبعث فيهم العديد من الرسل إذ كان بنو إسرائيل أمة قاسية عاصية، تارة يعبدون الأصنام والأوثان وتارة يعبدون الله، وتارة يقتلون الأنبياء بغير الحق، وتارة يستحلون محارم الله بأدنى الحيل، فلعنوا على لسان داود، وكان من خراب بيت المقدس ما هو معروف عن أهل الملل كلهم [1] ومن أنبياء اليهود أشعيا ، وارميا، ودانيال، وحبقوق، وداود وسليمان وغيرهم مما ذكر فى كتاب سفر الملوك ومن العهد المقدس وفى العصور القديمة، كانت اليهودية ديانة توحيدية فى محيط وثنى، وكانت تكتسب هويتها من هذا التعارض الواضح البسيط، أما فى العصور الوسطى العربية وفى العالم الإسلامي، فقد اختلف الآمر تمامًا إذ وجدت اليهودية نفسها فى محيط توحيدى (إسلامي أو نصراني) أدى إلى انطماس معالمها، ولذلك حاول علماء اليهود أن يخلقوا هوة بين اليهود وأعضاء الشرائع التوحيدية الأخرى، وكان التلمود وهو ثمرة هذه المحاولة وخلال هذه الفترة، ظهر تعريف الشريعة للهوية اليهودية، فعرف اليهودى بأنه: "من ولد لام يهودية أو من تهود"، وبالتالى فهذا التعريف يعد الإطار المرجعى لكثير من الكتابات والإشكاليات التى تثار حول الهوية اليهودية [2]

اليهودي:

كان تعريف الشريعة لليهودى: "من ولد لأم يهودية أو تهود"، وهو التعريف الحاخامى الأرثوذكسي كان تعريفًا مقبولًا، ويصلح أساسًا للتفرقة بين اليهود وغير اليهود، ولكن الوضع اختلف تمامًا مع ظهور العلمانية التى بدأت تترك أثرها

---

(١) كتاب **(الإسلام والنصرانية)**، لشيخ الإسلام ابن تميمة.

(٢) كتاب الدكتور عبد الوهاب المسيري، **(من هو اليهودي)**.

التدريجي في الجماعات اليهودية إلى أن دخلت اليهودية الإصلاحية ومن بعدها اليهودية المحافظة واليهودية التجديدية ولا تعترف اليهودية الأرثوذكسية باتباع هذه الفرق أو حاخاماتها يهودا[١] وتعد الصهيونية في أحد جوانبها، محاولة لإعادة تعريف الصهيونية تعريف يتفق مع وضعهم الجديد في الغرب بعد ظهور دولتهم الفكرية العلمانية وسقوط الجيتو، وتطرح تصورا للهوية اليهودية على أنه شئ نابع من مصدر أخر هو ما يسمى التاريخ اليهودى المرتبط بالأرض، ومن الضرورى التنبيه إلى مقولة الهوية اليهودية فى السياق الصهيونى الاستيطانى ليست مقولة نفسية أو فلسفيه أو دينيه، فهى مقولة قانونية تحمل مضمونا سياسيا واقتصاديا أن لليهودى فى الدولة الصهيونية مزايا وحقوقا معينة لا يتمتع بها غير اليهودى.

كما أن ثمة وكالات ومؤسسات صهيونية عديدة تمولها يهود الخارج وتعد الترجمة الفعلية والمؤسسية لمقولة اليهودى هذه. فهذه مؤسسات تحدد المساعدة لليهود فحسب ، وتحجبها عن غير اليهود، وأهم هذه المؤسسات الصندوق القومى اليهودى والذى يمتلك معظم أراضى فلسطين المحتلة باسم الشعب اليهودى، والذى تحرم قوانينه بيع هذه الأراضى أو تأجيرها لغير اليهودى، أو حتى استخدامهم للعمل فيها ، وبذلك فالتعريف الصهيونى للهوية اليهودية هو الأساس الفطرى للممارسات الصهيونية العنصرية ضد العرب، بل إن عمليات ضم الأراضى تتم باسم هذه الهوية[٢]

وقضية الهوية اليهودية قضية محورية فالدولة الصهيونية تكتسب شرعيتها من ادعائها أنها دولة يهودية، واستمرار تفجر هذه القضية يقوض دعائم هذه الشرعية[٣].

---

(١) **المرجع السابق**، للدكتور عبد الوهاب مسيري ص ٦٦،٢٣، ٧٧.

(٢) **المرجع السابق**، لعبد الوهاب المسيري ٣٣، ٦٦، ٧٧.

(٢) **المرجع السابق**، لعبد الوهاب المسيري ٣٣، ٦٦، ٧٧.

وتنقسم الصهيونية إلى نوعين :

١)- صهيونية استيطانية أى يهاجر اليهودى من بلده ويتحول إلى مستوطن صهيونى فى فلسطين .

٢)- صهيونية توطينية أو صهيونية القوت والمعونة والهوية وهذه صهيونية تترجم نفسها إلى تبرعات مالية لإسرائيل للمساعدة فى توطين اليهود الآخرين، و فى تأييد وضغط سياسى من أجلها.

ومما لاشك فيه أن اليهود الحاليين والذين يبلغون حوالى خمسة عشر مليون لا يمتون بصلة إلى العبرانيين الإسرائيليين القدماء من نسل إبراهيم عليه السلام إذ أنهم أخلاط من شعوب الأرض المتهودين بدوافع مادية أو استعمارية أما اليهود الأصليين فهم اليوم من الدرجة الثانية فى إسرائيل.

مصـــادر اليهودية

الملة اليهودية مصادرها الذاتية هى العهد القديم والتلمـــود وبروتوكــولات حكماء صهيون والإله عند اليهود هو (يهوه) وهم لا يســـمحوا لغــيرهم بعبادتــه فاليهودية ملة عنصرية فهى ليست من شرائع الدعوة لأنها ملة مقفلة لا تقبل الغرباء عنها للدخول فيها لإحساسهم بالتعالى عن باقى البشر[١].

واليهود مهتمون بالأعمال ولا يعتنون بالإيمان فيعتبرون الدين أسلوب حياة لا عقيدة، فالاتجاه الخلقى عند اليهودية التصرفات اليومية أهم من الاعتقاد الســليم، بخلاف النصرانية التى تعنى بالإيمان وتجعله يفوق العمل الصالح، ويقرر الفكـــر اليهودى بناء على ذلك أن الجزاء يكون حسب الأعمال لا حسب الاعتقـــاد ولـــهذا كانت رسالة المسيح لليهود رسالة روحانية تؤمن بالبعث والحساب والإيمان وتجعله يفوق العمل الصالح[٢] ولهذا حارب المسيح الكهنة.

وهذا كله مستخلص من التوراة الموجودة لدى اليهود والمسمى العهد القديـم ويتكون العهد القديم من مجموعة أسفار لم تكن موجودة بالعبريـــة وكتبــت هــذه الأسفار على مدى يربو على تسعة قرون قبل الميلاد بلغات مختلفة واعتماداً علـــى التراث المنقول شفويا ويبدو أن العهد القديم صرحًا أدبيًّا للشعب اليهودى منذ أصوله حتى العصر المسيحى وهو عبارة عن الجزء الأول من الكتاب المقـــدس لليـــهود ويحتوى على ٣٩ سفرًا ويحكى قصة الله مع الإنسان منذ آدم حتى ما قبل مجـــىء المسيح بحوالى ٤٠٠ عام ثم أسفاراً تاريخية، أسفاراً شعرية و أخيرًا أسفار الأنبياء

---

(١) **المقصود** بهذا الكلام هم اليهود اللذين حرفوا التوراة وبنوا علـــي أساســها هــذه الأحكـام المضللة.

(٢) **المرجع السابق**، للدكتور أحمد شلبي.

ويختلف عدد الأسفار فيما بين البروتستانت والكاثوليك وهناك عديد من الأسفار لم يكتبها من نسبت إليهم أو نسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين.

العهد القديم:

وهو مقدس لدى اليهود والنصارى وسجل فيه شعر ونثر وحكم و أمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغَزل ورثاء وينقسم إلى قسمين: التوراة وأسفار الأنبياء.

أسفار الأنبياء نوعان :

١ - أسفار الأنبياء المتقدمين : يوشع بن نون - قضاه - صموئيل الأول - صموئيل الثانى - الملوك الأول - الملوك الثاني.

٢ - أسفار الأنبياء المتأخرين: أشعياء - أرميا - حزقيال - هيوشع - يوشيل- عاموس- عوبديا - يونان (يونس) متخيا - ناحوم - حبقوق - صفنيا - حجى - زكريا - ملاخى.

ومن كتبهم الكتابات وهى ضمن العهد القديم :

١- الكتابات العظيمة: المزامير "الزبور - الأمثال (أمثال سليمان)-أيوب.

٢- المجلات الخمس: نشيد الإنشاد -راعوث - المراثى(مراثى أرميا) - الجامعة- استير.

٣ - الكتب : دانيال - عزر - قميار - أخبار الأيام الأول - أخبار الأيام الثانى.

التلمود:

هو روايات شفوية تناقلها الحاخامات حتى حملها الحاخام يوحنا سنة ١٥٠م فى كتاب أسماه (المشنا) أى الشريعة المكررة لها فى توراة موسى كالإيضاح والتفسير، وقد أتم الربى يهوذا (سنة ٢١٦م) تدوين زيادات وروايات شفوية، وقد تم شرح هذا المشنا فى كتاب سمى (جمارا)، ومن المشنا والجمارا

يتكون التلمود ويحتل التلمود عند اليهود منزلة مهمة جدًا تزيد على منزلة التوراة، وقام علماء اليهود ومجتهديهم بتأليف مجموعات من التفاسير والشروح للتوراة تتعلق بشئون العقيدة و الشريعة والتاريخ كما قاموا بجمع الروايات الشفوية التى تناقلها أحبار اليهود من جيل إلى جيل و قد بلغ ما جمعه هؤلاء المجتهدون ثلاثة وستين سفرًا، ألفت خلال القرنين الأول والثانى الميلادى، وأطلق عليه اسم (المشناة) أى الشريعة المكررة، لأن المشنا تكرار وإيضاح وتفسير وتكميل لما ورد فى التوراة.

ثم قام بعد ذلك مجتهدون آخرون من اليهود كانوا يسكنون فلسطين وبابل بشروح (للمشناة) أطلق عليها اسم (جمارا) أى الشرح والتعليق وقد تم تأليف هذه الشروح فى فترة طويلة امتدت من القرن الثانى إلى نهاية القرن السادس الميلادى.

ومن المشناة والجمارا يتكون التلمود الذى هو يحصى التعاليم والآداب الدينية لليهود[١] وبهذا يتكون التلمود من شيئين:

١ - المشناة : وهى عبارة عن شروح و تفاسير التوراة.

٢ - الجمارا : و هى عبارة عن حواشى و تعليقات و تفسيرات للمشناة.

ويعتقد معظم اليهود أن التلمود كتاب مقدس، ويضعونه فى منزلة التوراة، ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها، وبعض اليهود يضع التلمود فى منزلة مهمة جدًا تزيد على التوراة.

---

(١) نقلا عن كتاب (**بنو إسرائيل فى القرآن و السنة**) للدكتور محمد سيد طنطاوى، دار الشروق، ص ٧٨،٧٩

التـوراة :

تعد التوراة جزء من العهد القديم وهو أهم الكتب المقدسة عند اليهود حتـى أنه يطلق أحيانًا على العهد القديم (التوراة) لأهمية التوراة، وتنسب إلـى نبـى الله موسى وهو أبرز أنبياء بنى إسرائيل، وكلمة التوراة معناها الشـريعة أو التعـاليم الدينية، وتتكون من خمسة أجزاء هى: التكوين، والخروج، وسفر اللاويين، وسـفر العدد، وسفر التثنية، وهى الأسفار التى كونت العناصر الخمسة الأولى لكتاب العهد القديم من التسعة والثلاثين سفرًا، وتتناول المجموعة أصل الكـون حتـى دخـول الشعب اليهودى أرض كنعان، الأرض الموعودة بعد الخروج من مصر، وبـالتحديد حتى موت موسى، وتستخدم حكاية هذه الأحداث كإطار لعرض التدابير الخاصـة بالحياة الدينية والاجتماعية للشعب اليهودى، من هنا جـاء اسـم التـوراة [١]، ولا تعترف اليهودية بأى وحى جاء بعدها؛ والإسلام لا يعترف إلا بالتوراة التى أنزلـها الله على موسى ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم وقد قال الله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(٢)نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَـا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ(٣)"٠[آل عمران].

"أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِـنَ الْـأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْـثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(١٧)"٠[هود]. "مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَـابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْـدِ اللَّـهِ وَيَقُولُـونَ عَلَـى اللَّـهِ الْكَـذِبَ وَهُـمْ يَعْلَمُونَ(٧٨)"٠[آل عمران]٠

---

(١) كتاب الدكتور موريس بو كاي، (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم)٠

الشريعة اليهودية:

كان كلام الله لموسى على طور سيناء هو التوراة أو الألواح، والتى تضمنت الشريعة اليهودية وهى شريعة توحيد (لا اله إلا الله)، وتحتوى على الأوامر، والنواهى، والحلال والحرام، وذكر الجنة والنار، والفرائض والنوافل، وتحرير الإنسان من الخضوع لأى فرد غير الله، وتحذيره من عبادة الأوثان والنهى عن القتل والزنا، والزور والكذب والرشوة، والنفاق والاسترقاق، والبغى كما تضمنت الدعوة لتكريم الآباء وعمل الخير، وبر الأقارب والأباعد وتحرير الأرقاء، ومساعدة المحتاجين ،إلى نشر تشريعات أخرى تتعلق بالأطعمة والأنكحة، وبالطقوس والعبادات، [1] وكانت جملة تشريعات بنى إسرائيل تتعلق بتوحيد الله والإقرار بنبوة موسى وهارون، والأخذ بالتوراة والزبور والمزامير والصوم فى فترات عديدة من أيام السنة، والصلاة ثلاث مرات فى الليل والنهار.

أما فى مجال الأحوال الشخصية فالزواج لا يتم إلا بولى وشاهدين مع المهر، والطلاق مباح[2] ولكن بشهود، كما أنهم فى ذبائحهم لا يأكلون إلا مما ذبحوه، ويرجم الزانى عند اليهود، فاليهودية كسائر الشرائع السماوية تؤمن بوجود الله، والجن والملائكة، ونزول الكتب السماوية، وإرسال الرسل، والإيمان بالغيب، والقضاء والقدر، والثواب والعقاب ويجوز هنا أن نستشهد ببعض مقتطفات جاءت بالوصايا العشرة خاصة بالعادات والتشريع مثل:

- اكرم أباك و أمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك
- لا تقتل
- لا تزنى
- لا تسرق

---

(١) **(النظم الإسلامية فى إدارة الدولة و سياسة المجتمع)**، الدكتور محمد كاظم مكمادار، ص ٥٤، ٥٥ الزهراء بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

(٢) **المرجع السابق**، الدكتور موريس بوكاى، ص ٢٦ .

ومن التشريعات التى من سفر الخروج[1] الآتى :

من ضرب إنسانا فمات يقتل هكذا ،... ومن سرق إنسانا أو باعه أو وجد فى يده يقتل قتلا، وفي شريعة اليهود أحكام المواريث، منها ما يتفق مع أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية ومنها ما يختلف ويتنافر، وهاك بعضا من هذه الأحكام :

يرث الميت ولده الذكر، وإذا تعدد الذكور من الأولاد للبكرى حظ اثنين من أخوته، أما البنات فمن لم تبلغ منهن الثامنة عشرة فلها النفقة والتربية حتى تبلغ هذه السن تماما وليس لها شئ بعد ذلك .

ويرى القرائيين[2] أن يكون للبنت نصيب مع الولد، سهمان للولد وسهم للبنت كالشريعة الإسلامية، وعند اختلاف الدين يرث اليهودى أقاربه من غير اليهود، ولا يرث الأقارب غير اليهودى وهنا يفترق الأمر في الإسلام فاختلاف الديانة مانع من التوريث للمسلم وغير المسلم على السواء، أما ما يتعلق بالمرأة من هذه الناحية، فإن المرأة المتزوجة كالقاصر والصبى والمجنون لا يجوز لها البيع ولا الشراء، وينص الفكر اليهودى على أن جميع مال المرأة ملك لزوجها ، ثم تطور الأمر واستقر على وجوب الأخذ بمشروع (وقف الزوجة) ويعنى أن توقف أموال الزوجة ويصير الزوج قيما عليها فيستغلها دون أن يبيعها أو يرهنها.

فتصبح الزوجة مالكة للرقبة والزوج مالكا للمنفعة فإذا افترقا عادت الأموال للزوجة ولا ترث المرأة زوجها فكل مالها بعد موته مؤخر الصداق، وفى النكاح فإن اليهودية تجيز تعدد الزوجات وحدد الربانيون الزوجات بأربع وأطلقه القراءون، ولا يجوز زواج اليهودى أو اليهودية من غير اليهود .

---

(١) **المرجع السابق**، للدكتور احمد شلبى ص ٢٩٨ .

(٢) شعبة من شعب الدين اليهودي.

أنبيـــاء بنى إسرائيل فى القرآن الكريم:

أبرز القرآن دور أنبياء بنى إسرائيل منذ أن استدعى سيدنا يوسف أهله بنو إسرائيل إلى مصر خلال القرن السابع عشر قبل الميلاد وقد أقـــام بنـــو إســـرائيل بمصر بأرض جاثان فى عهد الهكسوس، وقـــد كـــان الكنعـــانيون والمصريـــون والفلسطينيون يسمون بنى إسرائيل بالعبرانيين، لعلاقتهم بالصحراء ولتميزهم عـــن أهل العمران، وأولى الهويات اليهودية هى الهوية العبرانية، أى هوية العـــبرانيين قبل أن يتم تهجيرهم إلى آشور وبابل، وهم ينحدرون من العرق الســـامى، الـــذى ينتسب له الآشوريون والعرب والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب، وهم أجـــداد الشعب العربى من نسل نبى الله إسماعيل بن إبراهيم أبو الأنبياء وأبو العـــرب[1]، فالعرب واليهود أبناء عمومة يمثلون الجنس السامى، وهو ليس بقاصر على اليـــهود كما يفهم الغرب المسيحى، وكانت العزلة طابع وتقليد يهودى منـــذ بـــدء التـــاريخ وأســـاس حياتهم، فهـــم ينظرون إلى سواهم نظرة سوداء، والعبرانيون الذين تسللوا إلى كنعان كانوا قد أحضروا معهم من مصر (وأرض مدين) فكرة الإله الواحد.

وقد مجد القرآن الكريم أنبياء بنى إسرائيل ورفع ذكرهم، وصورهـــم فـــى صورة كريمة، وإن الله اصطفاهم وجعلهم من الصفوة والأخيار، وكلـــهم توافـــرت فيهم صفات الرسل، الصدق فى القول، والأمانة فى تبليغ رسالة الله، تجتمع فيـــهم فضائل الأخلاق وصفاء السريرة.

فعقيدة التوحيد التي نزلت علي رسل اليهود هي الإيمـــان بـــاليوم الآخـــر والجنة والنار ويوم القيامة والثواب والعقاب والحساب والملائكة، وعقيدة أنبياء بني إسرائيل هى عقيدة المسلمين كما صـــورت فـــى القـــرآن هـــي الإيمـــان بـــالله، يقول تعالي في محكم التنزيل : "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلـــى نـــوح

---

(١) **المرجع السابق**، للدكتور عبد الوهاب المسيرى، ص ٢٥ .

والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا(١٦٣)" . [النساء].

"وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون(٨١)الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون(٨٢)وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم(٨٣) ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين(٨٤)وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين(٨٥)وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين(٨٦)ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم(٨٧)" . [الأنعام].

وقد عاش العبرانيون بمصر قرونا متتابعة إلى أن ظهر من بينهم نبي الله موسى وأخاه هارون، وأرسلهما الله لبنى إسرائيل ولدعوة فرعون لعبادة الله الواحد الأحد .

قال تعالى :" اذهب إلى فرعون إنه طغى(٢٤)" . [طه].

ومن الثابت أن يوسف وموسى - عليهما السلام - كانت دعوتهما موجهة لحاكم مصر وللسلطة العليا قبل الناس أى الإصلاح من القمة فمنذ الأزل شعب مصر مطبوع على طاعة الحاكم والانقياد له والله يعلم بطبائع الشعوب.

"وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين(١٤٢)ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين(١٤٣) قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين(١٤٤)وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين(١٤٥) "• [الأعراف]•

واليهودية تؤمن بالبعث واليوم الآخر والحساب والملائكة وبرسلهم وأنبيائهم . وقد أورد القرآن ذلك واضحا مفصلا على لسان نبيهم سيدنا يوسف قال تعالى: "**قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون(٣٧)واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله**

علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشـــكرون(٣٨)ياصـــاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار(٣٩) ما تعبـدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بـــها مـــن سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الديـــن القيـــم ولكن أكثر الناس لا يعلمون(٤٠)٠[يوسف]٠

ومحاجاة الله لسيدنا موسى **"إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري(١٤)إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفـــس بمـــا تسعى(١٥)فلا يصدنك عنها من لـــا يؤمـــن بـــها واتبـــع هـــواه فتردى(١٦)"٠**[طه] .

"ياقوم إنما هـــذه الحيـــاة الدنيـــا متـــاع وإن الـــآخرة هـــي دار القرار(٣٩)من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا مـــن ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغـــير حساب(٤٠)"٠[غافر].

فعقيدة التوحيد التى نزلت على رسل اليهود هى الإيمـــان بـــاليوم الآخر والجنة والنار ويوم القيامة والثواب والعقاب والحساب والملائكة .

وفى الختام فإن طبع اليهود كما وصفه القرآن لم ولن يتغـــير حتـــى قيـــام الساعة و قد عبر عن ذلك أحد رؤساء أمريكا الشمالية و التـــى تدعمـــهم العصـــر الحالى، رغم التحذيرات المتعددة و لسوف تأتى الأيام لهم بما لا تشتهى الســـفن، إذا

ما رجعنا إلى المصادر اليهودية نجد تشويها لصورة الأنبيـــاء، ووصمـــهم بكـــل النقائص وتدنيس التاريخ، بل نسبوا ا إلى بعضهم الزنا، ومن الأعمال مـــا يســـيئهم ويحط من كرامتهم.

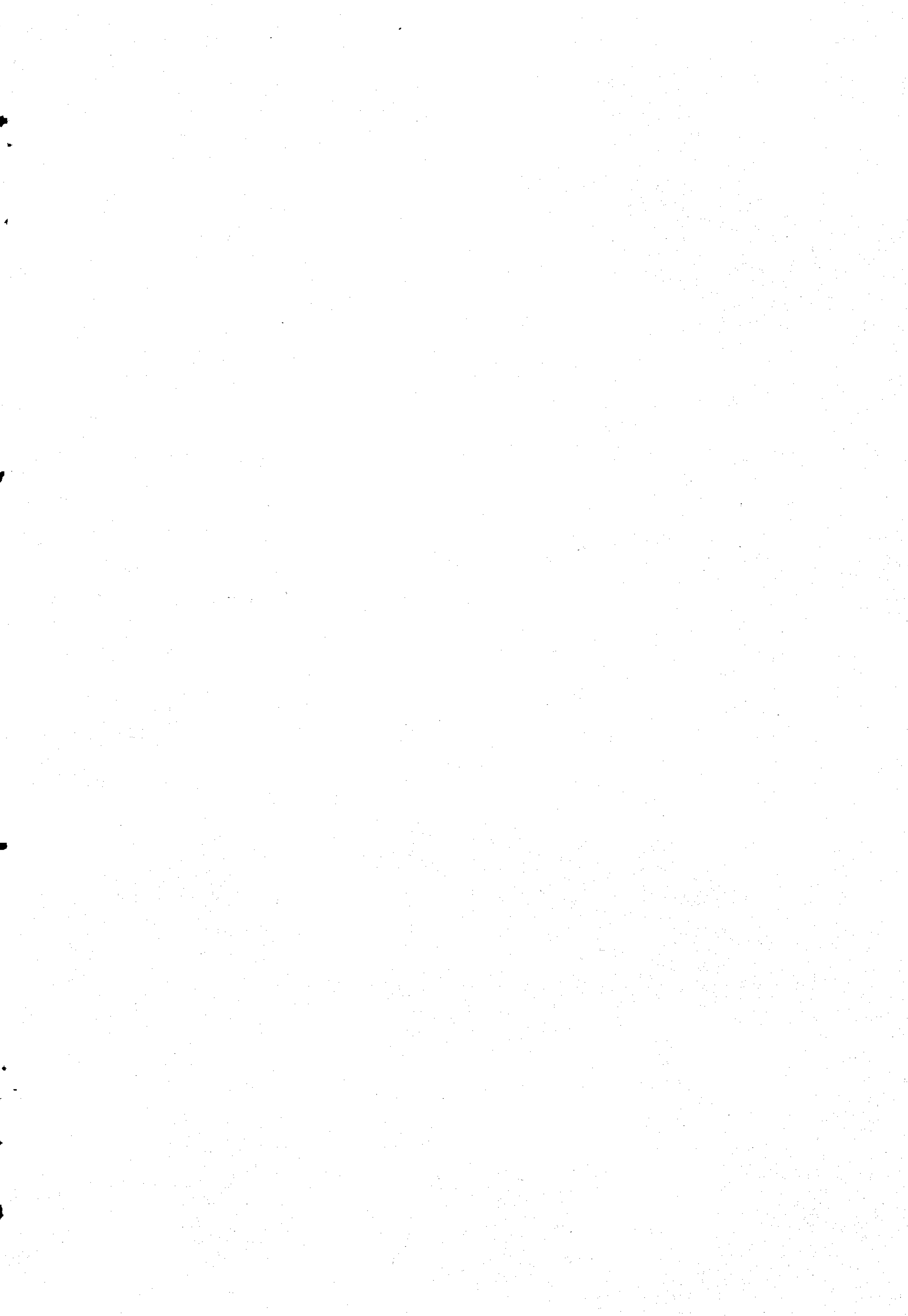
الخطر اليهودى:

الرئيس الأمريكى " فرانكلين " يحذر الولايات المتحدة من الخطر اليـــهودى بقوله فيقول : "أيها السادة : هنالك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة و ذلك الخطر هو اليهود.

أيها السادة : حيثما استقر اليهود ، نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب، ويزعزعون الخلق التجارى الشريف، إنهم لا يندمجون فى الشعب، لقد أقاموا حكومـــة داخـــل الحكومة، وحينما يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة ماليا كمـــا حدث للبرتغال وأسبانيا، إذا لم يمنع اليهود من الهجرة بموجب الدستور ، ففى أقـــل من مائة سنة سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة ، و تجعلهم يحكموننـــا ويدمروننا ، ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا و بذلنا لإقامتها دماءنا و حياتنـــا وأموالنا وحريتنا، إذا لم يستثن اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة ، فإنه لـــن يمضى أكثر من مائتى سنة، ليصبح أبناؤنا عمالا فى الحقول لتأمين الغذاء لليهود.
إنى أحذركم – أيها السادة – إذا لم تستثنوا اليهود من الهجرة إلى الأبـــد ، فســـوف يلعنكم أبناؤكم و أحفادكم فى قبوركم، إن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننـــا عشرة أجيال، كما أن النمر لا يستطيع تغيير لونه. اليهود خطر على البـــلاد، وإذا دخلوها فسوف يخربونها ويفسدونها[1] "

---

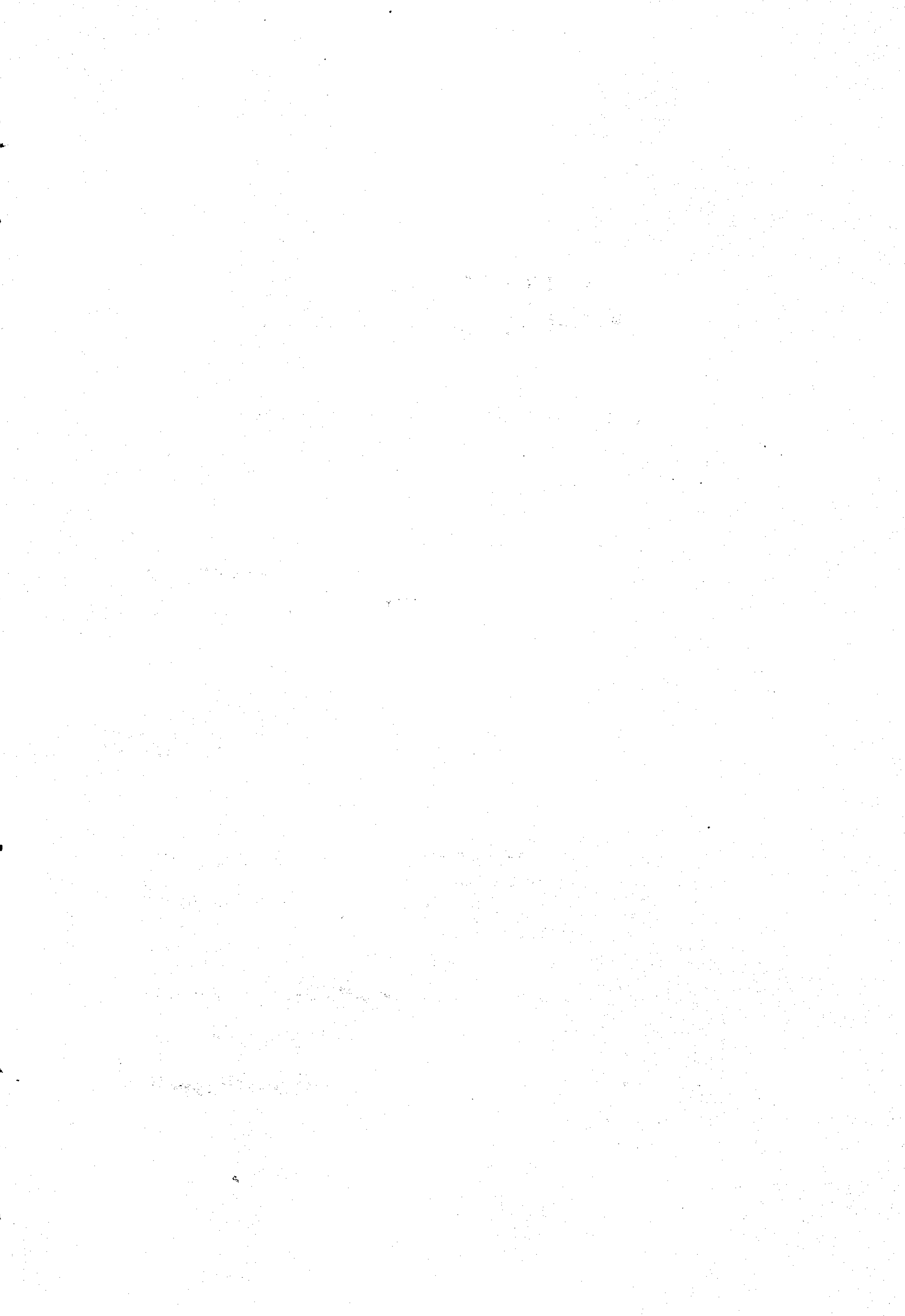
(١)نقلا عن كتاب (**بنو إسرائيل فى القرآن و السنة**) للدكتور محمد سيد طنطاوى ص ٧٥١ .



الفصل الثالث

النصرانية والمسيح ابن مريم

- ظهور المسيح
- الدعوة والرسالة
- الشريعة النصرانية
- العهد القديم
- العهد الجديد
- المسيح بشر رسول
- عيسى والتبشير والرسول (المصطفى محمد ﷺ)
- إنجيل برنابا
- القرآن والمسيح
- المسيح في القرآن الكريم
- السيدة مريم في القرآن
- التصور القرآني للمسيح



ظهور المسيح:

انحرف اليهود قبل ظهور المسيح، وبعدوا عن شريعة موسى، وأدخلوا كثيرًا من الوثنيات على الدين، وجعلوا همهم المال. وفسد العلماء والرهبان الذين يهبون الغفران، واستغرقوا فى مادياتهم والاستمتاع بالرفاهية، ففسدت العقيدة والأخلاق.

فاليهودية كانت مرحلة التوحيد فى إطار المجتمع القَبَلى لطائفة مختارة آمنت بالرب الواحد؛ ولكن طغيان المادة غَلَبَ عليها فى عهودها الأخيرة، إلى حد أن كان الهيكل المقدس عند أهلها المتأخرين مكان تجارى، فكان لابد إذاً من رد فعل قوى، ولهذا بعث الله تعالى من لدنه الروح القدس ، أى المولود بغير أب من البشر، ولكن الاحتمال الروح العلوى لم يكن ممكنًا إلا فى حدود المثل العلى، لا فى حدود الممارسة البشرية فى عمومها، فكان أن أرسل الله تعالى الرسول البشر، الذى يقيم التوازن بين الروحية والمادية تبعًا للطاقة البشرية وطبقًا لطبيعة الخلق البشرى، من روح ومادة. وفى هذا التوازن ختام التكوين فى الإنسان[1].

وقد كان ميلاد المسيح مرحلة سابقة فى الوحى الإلهى عن الرسالة الأخيرة، لتصحيح المفاهيم الإلهية، وقد ولد المسيح فى يوم ٢٥ كانون الأول من السنة السادسة قبل الميلاد فى بيت لحم فى أيام هيرودوس الحاكم الرومانى على فلسطين، وقد كان هو وأمه آية للناس بإرادة الله، حيث خلقه من غير أب إظهاراً لكمال قدرته، وشمول كلمته، حيث قسم النوع الإنسانى إلى أربعة أنواع، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى؛ وخلق زوجته حواء من غير أنثى؛ وخلق المسيح بن مريم من غير ذكر؛ وخلق سائر هم من الزوجين الذكر والأنثى.

---

(١) توفيق الحكيم، **(مقدمة مختارة)، تفسير القرطبى**، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧م .

وآتى عبده المسيح من الآيات البينات، ما جرت به سنته وقد هربت العذراء بالمسيح طفلاً مع يوسف النجار، من اليهود خوفًا عليه، ووصلت إلـــى الأراضـــى المصرية من بَرٍ ما حتى أسيوط، وقد بلغه الوحى وهو فى الثلاثين من عمره، وقـد أرسل المسيح رسولاً إلى بنى إسرائيل وليس للناس كافة.

الدعوة والرسالة:

وقد انتقل السيد المسيح مع تلاميذه ينشر دينه فى الأردن والجليل ونواحـــى صيدا وصور وسائر أرض كنعان، وأخذت رسالته فى التوسع والانتشار، وكـــانت دعوة المسيح تحارب اتجاهين تأصّلا عند اليهود هما:

أولاً: شغفهم بالمادة و إهمالهم الناحية الروحية فيهم .

ثانياً: ادعاؤهم أنهم شعب الله المختار، وادعاء أحبارهم أنهم الصلة بين الله والنـــاس وبدونهم لا تتم الصلة بين الخالق والمخلوق .

وسبب هذا الموقف تعرض عيسى إلى أعداء بنى إسرائيل وسخطهم، ولم يؤمـــن به إلا قليلون منهم فقد انتظروه مسيحًا يبسط سلطان بنى إسرائيل على العالم أجمـــع ولكن كهنة اليهود وقد تناهت هجمة الحق إلى مسامعهم أيقنوا أنه إذا اســـتمر فـــى تسفيه أحلامهم، فإن الكارثة ستحل بهم، فاجتمع عظماء اليهود وأحبارهم. وقالوا إننا نخاف أن يفسد علينا ديننا ويتبعه الناس، فطاردوه، ومن المؤكد تاريخيًّا أن اليـــهود عندما علموا بولايته أرادوا الكيد للعائلة المقدسة، فهربوا إلى مصر وبعد العــــودة استمروا فى مطاردته ولم تكن دعوته سياسية و إنما دعـــوة إصلاحيـــة وأخلاقيـــة دينية، ولم تهتم الحكومة الرومانية من قريب أو بعيد به ولم تبال بدعوته وتركتــــه، ولكن اليهود لم يعدموا الحيلة فتقولوا عليه، وكذبوا عليه عند الحاكم لإغضابه علـــى عيسى فتحقق لهم ما أرادوا فصدر الأمر بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلبـــا،

وقد استمرت دعوة المسيح ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام قبل واقعة الصلب[1] .

وقد أتى الله عبده المسيح من الآيات والمعجزات ما يعجز عنه البشر فأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وأنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم، ودعا إلى عبادة الله، متبعًا سنة إخوانه المرسلين، مصدقا لمن قبله، ومبشرًا بمحمدﷺ من بعده كخاتم للمرسلين.

الشريعة النصرانية:

كانت النصرانية أولاً يهودية، وتلقت ميراث العهد القديم بالإضافة إلىمصادر الشريعة النصرانية ومنها العهد القديم و الأناجيل الأربعة ويكملها قرارات مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م وما تلاه من المجامع المقدسة، ألزم النصارى أنفسهم بقراراتها، والأناجيل أربعة كتبها كل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا وهم تلاميذ السيد المسيح، وهذه كلها تكون الجزء الثانى من الكتاب المقدس ومنها سفر أعمال الرسل، ثم رسائل من الرسل إلىالكنائس المختلفة و أخيرًا سفر الرؤيا.

العهد القديم:

ورد به أخبار العالم فى عصوره الأولى وأجياله القديمة وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية، وتاريخ نشأتهم، وحكوماتهم وحوادثهم، والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض، والبشارات بالنبيين اللاحقين، وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادات، والقيام بالطقوس الدينية كمزامير

---

(١) المرجع السابق، للدكتور أحمد شلبى .

داود وهنالك بعض الأسفار المعتبرة عند اليهود مرفوضة عند النصارى لعدم اعتقادهم بصحتها.

العهد الجديد:

يحكى العهد الجديد قصة السيد المسيح وينتهى بقصة انتشار الكنيسة فى كل أنحاء العالم، وفى هذا الصدد فإن أكثر الأمثلة إثارة للحرج، هو محاولة تطبيق مبادئ البحث التاريخى الإسلامى على العهد الجديد، حيث يضطر الباحث إلى حذف كافة رسائل القديس بولس منه، لأنه لم يشاهد المسيح قط أو يقابله أو يتحدث معه؛ ونظرًا للتأثير القوى للتفسيرات التى قدمها القديس بولس للأحداث التى أحاطت بالمسيح، على التطور الأيدلوجى للنصرانية، فإن النصارى فى وقتنا الحاضر، وذلك على خلاف معتنقى النصرانية الأوائل من اليهود، يمكنهم أن يسموا أنفسهم البوليسيين، وليس النصارى، والحقيقة أن كافة مظاهر الهرطقة فى النصرانية، مثل تأليه المسيح وفرضية "الثالوث المقدس" شيطانية على الجسد قد بدأت مع شاعول بولس[1].

وأيًا كان الأمر فإن الشريعة المسيحية تضمنت عدداً من الوصايا؛ جاءت بشكل النواهى عن القتل والكذب والسرقة، وترفض الغضب على الأخوة "لا تغضب على أخيك باطلاً" وأن من نظر إلى امرأة فاشتهاها فقد زنى بها قلبه، وحذر من الحلف فى جميع الأحوال، وعدم الانتقام من مسيء إلينا، وإلى وجوب محبة الأعداء، "باركوا لأعدائكم، أحسنوا إلى مبغضيكم" ودعا إلى مخافة الله الذى يعرف كل شئ فى الوجود حتى شعر الرؤوس، وأمر بالتحية عند دخول البيوت وليكن دخولها بإذن أهلها وإذا رفضوا فعلينا مغادرة المكان،كما تناولت شريعة

---

(١) كتاب **(يوميات ألمانى مسلم)** للدكتور مراد هوفمان، ترجمة د. عباس العماوى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص٦٠

الأحوال الشخصية، كالزواج والطلاق، وقد جاءت لتكرس شرائع الله علـى الأرض وقد أوصى السيد المسيح بعديد مـن الأخلاقيـات الطيبـة لأن رسـالته حفلـت بالأخلاقيات "ما سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث ...... فأقول لكم لا تحلفوا البتة .... وليكن كلامكم نعم"[٢].

لا تكذبوا كالمرائين، الذين يحبون أن يصلوا .... حتى يقال أنهم يصلون، الحـق أقول لكم إن هؤلاء استوفوا أجورهم بحديث الناس عنهم[٣].

قال المسيح: لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء، ما جئت لأبطل بل لأكمل، وقد ورد نص في القانون الكنسي يقول "نحن المسيحيين نؤمن بإله واحـد".

المسيح بشر رسول:

سيدنا عيسى علية السلام جاء بالإنجيل بالعقيدة الصحيحة عن الله عز وجل وهي عقيدة التوحيد، وعرف الناس الفرق بين الله تعالى وبين البشر، وكان يخاطب الله بقوله "لتكن أرادتك لا إرادتي" فالأساس العبودية لله، والطاعة من جانبنا وجـاء في رسالته لتكمل ما قبلها، وعمل على تأسيس مملكة في الأرض تستند على الحـق والعطف بين الناس، وردَّ خراف بني إسرائيل الضالة إلى حظـيرة الغنـم، كـان عظيماً في أخلاقه فتأسى بالخلق الإلهي، وهكذا رسل الله إلى عباده جاءوا واحـدًا بعد الآخر ليبثوا الفضيلة بين الناس والقوانين الإلهية بما تشمله من النهي والتحليـل والتحريم "**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَـا أُوتِـيَ**

---

(١) إنجيل متى : (٢٣ : ٥ / ٢٧).

(٢) إنجيل متى : (٥ : ٦ / ٧).

النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(١٣٦)".[البقرة].

عيسى والتبشير بالرسول المصطفى ﷺ :

قد جاء في القرآن أن سيدنا عيسى بشّر برسول الله ﷺ وقد قال تعالى:

"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(٦)". [الصف].

إنه جاء التنبؤ برسالة محمد ﷺ [١] فى إنجيل يوحنا: "سأصلى وسيرسل لكم برائليط آخر[٢] ويتفق المسلمون، ويوافقهم البروفسير كونج على ذلك، على أن القراءة الصحيحة لهذه الآيات برائليطتوس "أى أحمد بالعربية، بدلاً من برائليط ترقى أكثر من الإشارة الواردة فى الآية: "وأنا اطلب من الآب يعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد"[٣]. مجيء نبى آخر بعد المسيح نستفيد ذلك من الآية (١٦ :١٣) لأن متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع ويتكلم به يخبركم بأمور آيته ، والمعنى هو الوحى الإلهى[٣].

ومن المهم الاتفاق على الترجمة الصحيحة للكلمات بدلًا من التحريف وللتأويل المتعمد الذى يؤدى إلى التشكيك فى هذه الأناجيل وقد استطرد مراد

---

(١) المرجع السابق، للدكتور مراد هوفمان، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) إنجيل يوحنا : (١٤ : ١٦) ، (١٦ : ١٣).

(٣) إنجيل يوحنا (١٤ : ١٦).

هوفمان فى نهاية كلمته المكتوبة وهو المسيحى الذى أسلم بدون السيف أو السلطان قائلاً : "وهكذا ترتبت المفاهيم الهلينية الفنطوسية المتحيزة إلى النص (المشكوك فيه على أية حال). وكما لو كانت الأناجيل لم تسقط بما فيه الكفاية فى شرك التزييف الذى حاكته لها أحابيل الدراسات المسيحية ، ومن البديهى أن يكون التساؤل التالى مشروعًا: ألا يكفى أن نرى القرآن كاملاً فى حد ذاته ومصدقاً بذاته ؟ .
وهل يحتاج الأنبياء إلى دليل خاص على هدايتهم؟ .

وهل من المفيد أن نعزز الوحى القرآنى بوثائق ، مثل معظم الكتاب المقدس بخاصة إنجيل القديس يوحنا والتى هى فى حد ذاتها فى حاجة ماسة إلى من يثبت صحتها . و أيًا كانت درجة الخلاف فان المُستَخلص مما جاء بإنجيل يوحنا أن الإشارة فيه إلى أن المسيح يقول إنه سيرسل إلى البشر وسيطا (أخر) كما كان هو وسيطًا لدى الله وفى صالح البشر أثناء حياته على الأرض ذلك يقودنا بمنتهى المنطق أن نرى فى البرائليط عند يوحنا كائنا بشريًا مثل المسيح يتمتع بحاستى السمع والكلام ، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع".

إذًا فالمسيح يصرخ بأن الله سيرسل فيما بعد كائنًا بشريًا على هذه الأرض يؤدى الدور الذى عرفه يوحنا ولنقل باختصار أنه دور نبى يسمع صوت الله ويكرر على البشر رسالة ذلك هو التفسير المنطقى لنص يوحنا إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلى فالله سبحانه وتعالى كان يوحى لكل نبى بان يبشر بمن يجئ بعده، فللتوراة بشرت بالمسيح ومحمد عليهما السلام. والمسيح بشر بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد جاء ذلك فى القرآن كما ذُكر بالآية ٦ سورة الصف, ومن البحوث المحايدة التى قرأتها فى هذا الشأن الآن بحث متميز لأخ قبطى هو الأستاذ بشرى زخارى والذى ألف كتابا عنوانه يدل على مضمونه وهو (محمد رسول الله) " هكذا بشرت

به الأناجيل "وان من خير فصـــول هذا الكتـــاب ما جاء تحت عنوان" هل بشـــرت الأناجيل بمحمد (الطبعة الثانية عالم الكتب).

يحسن أن ننقل عنه ليكون تحت نظر الباحث وجاء فيه بالصفحات ٦٢ حتى الصفحة ٧١ تحت عنوان هل بشرت الأناجيل بمحمد ما يلى :

"لم يختلف الناس قدر اختلافهم حول طبيعية المسيح.وكمـــا اختلفـــوا حـــول هـــذا الموضوع، اختلفوا أيضًا حول بعض الآيات التى وردت فى الكتاب المقدس والتـــى تبشر بمجيء "مسيا" (رسول) آخر غير المسيح: فريق يرى أن هذا آل "مسيا" الآخر هو محمد بن عبد الله، وفريق يقول أنه لا صلة بيـــن هـــذه الآيـــات وبيـــن نبـــى الإسلام"أ٠هـــ.

ولقد قمت بدورى بمحاولة تلمس الحقيقة فى هذين الرأيين متمســـكاً بمبـــدأ الحيدة، متجنباً النزعة التزمتية، مستهدفا الحقيقة أيًا كانت، وقد انتهيت إلى ما وجدت أنه حق وأنه صواب، وهو أنه على فرض أن هناكِ آيات ليس المقصود بها البشارة بمجيء "محمد" فإنه مما لا يتحمل الشك أن هناك آيات لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير فى أن القادم من نسل إسماعيل هو النبى المنتظر، وسنحاول هنا أن نعرض لأهـــم هذه البشارات تاركين الكلمة الأخيرة للقارئ.

فى الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنيـــة فـــى الترجمـــة العربيـــة المطبوعة عام ١٨٤٤م قوله: "جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير وتـــلألأ من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار فى يمينه سنة من نار[١]" فمجيئه مـــن ســـيناء إعطاءه التوراة لموسى، وإشراقه من ساعير إعطاءه الإنجيل للمسيح ،واســـتعلاؤه

---

(١) **ساعير** : مدينة على بعد كيلو ونصف من مدينة بيت لحم وتسمى حاليا " بيت ســـاجير " أى مدينة الرعاة وفيها ظهرت الملائكة للرعاة يبشرون بمولد السيد المسيح وبها كنيسة محفـــورة فى الصخر تحت الأرض تسمى كنيسة الرعاة ، اما فاران فهى برية بين ثلاثة جبـــال بمكـــة هى: قبيس وقيعان وجبل حراء وفيها سكن إسماعيل

من جبل فاران إنزاله القرآن على محمد. أما كيف تستدل على أن فاران هي الأرض التى سكنها إسماعيل جد الرسول. الدليل على هذا فى التوراة، فالتوراة تقول إن هاجر كانت جارية لسارة، ثم صارت زوجة لإبراهيم لإنجاب نسل له، وظنت سارة أن مهمة هاجر أن تنجب نسلا مع بقائها جارية تسخرها كيفما شاءت، و أنجبت هاجر ابنا لإبراهيم، وكان هذا الابن قرة عينيها وبهجة قلبها، ولكن سيدتها حاولت إذلالها فاستجارت بزوجها إبراهيم، لكن تركها لسيدتها بقوله لها: هوذا جاريتك فاشتدت بها إيلامًا و إيذاء حتى هربت ترجو النجاة مما ألم بها، فقابلها ملاك الرب فى الطريق وقال لها مالك يا هاجر، شدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى برية فاران وكان ينمو رامى قوس، اختارت له أمه زوجة من أرض مصر. يتضح من التوراة إذن أن الذى سكن فاران هو إسماعيل "وفى الآية العشرين الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين" وعد الله فى حق إسماعيل بن إبراهيم بقوله: "وعلى إسماعيل استجبت لك، هو ذا أباركه وأكثره جدًا فسيلد اثنى عشر رئيسًا وأجعله لشعب كبير".

وفى قوله أجعله لشعب كبير يشير إلى محمد، لأنه لم يكن فى أولاد إسماعيل من كان لشعب كبير غيره، ثم يأتى دور تعزية الله لسيدنا إبراهيم عندما رأى ابنه البكر إسماعيل مطرودًا أيضًا أمام عينيه من وجه عبودية سارة بقوله: "وابن الجارية أيضًا سأجعله آمة لأنه نسلك "٠ (تكوين ٢١ :١٣) .

هذا إذاً هو إسماعيل جَدُّ محمد ﷺ. وهذا هو وعد الله فى العهد القديم فملاك الله يقول لهاجر: "وكثيرًا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة " .

جاء فى "الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية " قوله: " قال لى الرب قد أحسنوا فيما تكلموا، سوف أقيم لهم نبيًّا مثلك من بين أخواتهم وأجعل كلامى فى

فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به بأسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك".

فقوله: "سأقيم لهم نبيًّا من وسط أخواتهم "أى قال الله لموسى إنه يرسل نبيًّا من بنى إسماعيل وهم أخوة بنى إسرائيل حيث هم من بنى إسحق أخى إسماعيل. وقوله " مثلك" أى بشريعة ذات المبدأ والمعاد والمعاملات ما يلائم عصره والى الأبد، ولم يأت بعد موسى نبى ما يشبهه بشريعته من بنى إسحاق وإسماعيل إلا محمدا ﷺ. وقوله: "أجعل كلامى فى فمه" لأنه أمى لا يعلم الكتابة ولا يعرف الحروف قراءةً.

فى كلام النبى أشعياء فى إصحاح ٢١ يقول: "وحى من جهة بلاد العرب فى الوعر فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدانيين -أحد أجداد النبى محمد- هاتوا الماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء -قبيلة عربية بنى تميم من آل إسماعيل- بخبز فإنهم من أمام السيوف قد هربوا من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوى المشدود ومن أمام شدة الحرب(إشارة إلى هجرة النبى محمد ﷺ) هكذا قال المسين مدة كسنة الأجير يغنى كل مجد قيدار (أحد أجداد الرسول) وبقية عدو قسى بنى قيدار تتعال (تترفع) لأن الرب إله إسرائيل .

فى كلام النبى أشعياء فى الإصحاح الثانى والأربعين قوله: "هو ذا الأوليات قد أتت، والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تثبت أعلمكم بها، سبحوا للرب تسبحه جديدة، تسبحه من أقاصى الأرض أيها المنحدرون فى البحر ومائه والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها فى البيوت التى سكنها قيدار. سبحوا يا سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا للرب كرامة ومجداً ويخبروا بتسبحه فى الجزائر للرب كجبار يخرج مثل رجل حروب. ينهض عشيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه. قد صمت مثل الدهر سكت تجلدت، أضرب الجبال والآكام

وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار جزائر أجففها والبحيرات وأقود العمى فى طريق لم يعرفوها. أجعل الظلمة أمامهم نوراً والصعب سهلًا هذا الكلام صنعته لهم لا أخذلهم ، ارتدوا إلى الوراء . يخزى خزيًّا المتكلون على المنحوتة، القائلون للمسبوكة أنكم ألهتنا"أ.هـ.

التسبيحة الجديدة هاهنا هى عبارة عن النهج الجديد الذى هو فى الشريعة المحمدية وتعميمها فى مشارق الأرض ومغاربها إشارة إلى عموم نبوته، ولفظ " قيدار" أقوى إشارة إليه لأنه من أولاد قيدار بن إسماعيل .

وقوله من رؤوس الجبال يصحيون إشارة إلى العبادة المخصوصة التى تؤدى أيام الحج يصيح ألوف من الناس "لبيك اللهم لبيك" وقوله: ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر إشارة إلى الآذان بخبر به الملايين فى أقطار العالم فى الأوقات الخمس بالجهر وقوله: الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغير يشير إلى مضمون الجهاد إشارة حسنة بأن جهاده وجهاد تابعيه يكون لله ويأمره خاليًا من حظوظ الهوى النفسية، ثم إشارة إلى حال العرب حيث انهم كانوا غير واقفين على أحكام اله ، وكانوا يعبدون الأصنام ، وكانوا مصابين بداء وهو أنواع الرسوم القبيحة الجاهلية. وقوله: " لا أخذلهم " إشارة إلى كون أمته رحيمة وإلى تأييد شريعته، وقوله: "والمتوكلون على المنحوته القائلون للمسبوكة أنكم آلهتنا ليخزون خزيًّا" وعد بأن عابدى الأصنام والأوثان يحصل لهم الخزى والهزيمة التامة وقد وفَىَ الله بما وعد، ودخل. محمد مكة فكسر أصنامها صائحًا قائلًا "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا".

وفى الإصحاح الرابع والخمسين من كتاب أشعياء قوله: "سبحى أيتها العاقر التى لم تلد أنشدى بالحمد وهللى التى لم تمخض من أجل أن الكثيرين من بنى

الوحشة أفضل من بنى ذات بعل، قال الرب ، أوسعى موضع خيمتك وسرادق مضاربك ابسطى، طولى حبالك وثبتى إقدامك لأنك تنفذين يمنة ويسرة وزراعك يرث الأرض ويعمر المدن الخربة، لا تخافى لأنك لا تخزين ولا تخجلين فإنك لا تستحى من أجل خزى أن صباك تنسينه وعار ترملك لا تذكرين أيضًا، فإنه يتولى عليك الذى صنعك رب الجنود اسمه. وفاديك قدوس إسرائيل إله جميع الأرض يدعى إنما الرب دعاك مثل المرأة المطلقة والحزينة الروح وزوجته منذ الصبا مرذولة قال إلهك الساعة فى قليل تركتك وبرحمات عظيمة أجمعتك فى ساعة الغضب أخفيت قليلاً وجهى عنك وبالرحمة الأبدية رحمتك قال فاديك الرب، الجبال ترتجف والتلال تتزلزل ورحمتى لا تزول عنك وعهد سلامى لا يتركك، قال رحميك الرب: فقبرة مستأصلة بعاصف بلا تعزية. هاأنذا أبنى بالأسمد حجارتك أسسك بالسفير، وأجعل أبوابك حجارة منقوشة وجميع تخومك حجارة كريمة، هاأنذا خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار جمرًا ويخرج إناء لعلمه وأنا خلقت المهلك ليخرب[1]". أ.هـ.

المقصود بالعاقر هنا فى الآية الأولى هى "مكة " لأنه لم يظهر فيها نبى بعد إسماعيل ولم ينزل فيها وحى بعكس أورشليم التى ظهر فيها أنبياء كثيرون وكثر فيها نزول الوحى و"بنو الوحشة " عبارة عن أولاد هاجر لأنها كانت بمنزلة المطلقة المنبوذة المطرودة من البيت ساكنة للبرارى، ولذلك وقع فى حق إسماعيل فى وعد الله لهاجر قوله: "هذا سيكون إنسانًا وحشيًا " كما جاء ذلك فى الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين و" بنو ذات بعل " عبارة عن أولاد سارة فخاطب الله مكة أمرًا لها بالتسبيح والتهليل وإنشاد الشكر من أجل أن الكثيرين من أولادها صاروا أفضل من أولاد سارة وقد أوفى الله بما وعد، أرسل "محمدًا ﷺ" من نسل إسماعيل.

---

(١) (كتاب أشعياء) :٣-٧.

وهو المقصود بالصائغ الذى ينفخ فى النار جمرًا، وهو المهلك الذى خلق لإهلاك المشركين وعابدى الأصنام. فى سنة ٧٠١ قبل الميلاد، وفى أرض النبى فى بابل تنبأ أشعياء بمجىء محمد ﷺ، يقول: "قومى استنيرى لأنه جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك، لأنه هاهى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم، أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى فتسير الأمم فى نورك، والملكوت ضياء إشراقك، ارفعى عينيك حواليك وانظرى قد اجتمعوا كلهم، جاءوا إليك، يأتى بنوك من بعيد، وتحمل بناتك على الأيدى حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك، ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر، ويأتى إليك غنى الأمم. تعطيك كثرة الجمال بكران مديان دعيقة، كلها تأتى من شىء تحمل ذهبًا ولبانًا، وتبشر بتسابيح الرب وكل غنم قيدار تجتمع إليك وكباش بنايوت تخدمك. تصعد إليك مقبولة على مذبحى وأزين بيت جمالى(١)" .

جاء فى سفر التكوين فى الإصحاح الخامس والعشرين فى نسب إسماعيل قوله، وهن أسماء بنى إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم. بنايوت بكر إسماعيل وقيدار واوبئيل وايسام .. اثنى عشر رئيسًا حسب قبائلهم. كما يزداد الآن وضوحًا عند ذكر هذه الرموز فى الآية مثل "كثرة الجمال" و "غنم قيدار" و " كباش بنايوت".

بشرى حزقيال النبى من بنى إسرائيل: "إن الذى يظهر من البادية كالكرمة أخرجت ثمارها وأغصانها عن مياه كثيرة، وتفرعت منها أغصان مشرقة على أغصان الأكابر والسادات. وبقيت فلم تلبث تلك الكرمة قلعت بالسخطة، وضربها على الأرض فأخرجت ثمارها وأتت نارها فأكلتها، فكذلك غرس فى البدو فى الأرض المهملة المعطلة العطشى، فى أرض غير ذى زرع، وخرج أعضاءه

---

(١) **(كتاب أشعياء)**، ٦٠: ١-٧.

الفاضلة نارًا فأكلت ثمار تلك الكْرمة حتى لم يبق منها عصا قوية ولا قضيب بـلأمر السلطان المقصود بالبادية والأرض العطشى جزيرة العرب وأرض الحجـــاز أمـــا المقصود "لم يبق منها عصا قرية " إشارة إلى العقائد التى كانت سائدة فى الحجـــاز والتى جاء الإسلام وقضى عليها.

فى الإصحاح السابع من إنجيل متى يقول المسيح: "احترزوا من الأنبيـــاء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة، ومن ثمـــارهم تعرفونهم، هل يجتنون من الشوك عنبًا أو من الحسك تينًا. هكذا كل شجرة جيـــدة تصنع أثمارًا جيدة. أما الشجرة الردئية فتصنع أثمارًا رديئة، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع ثمارًا رديئة. ولا شجرة رديئة أن تصنع أثمارًا جيدة، وكل شجرة لا تصنـــع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى فى النار فإذا من ثمارهم تعرفونهم"، لم يقل المسيح احترزوا من الأنبياء. فيكون التقرير قاطعًا بأنه لم يعد هناك أنبياء بعده، ثم أخبر بأن نمتحـن الأنبياء من ثمارهم فكان هناك أنبياء ستعرفهم من ثمارهم الرديئة وغـــيرهم مـن ثمارهم الجيدة ، وهذه بشارة بأن بعده سيكون أنبياء ونعرفهم من ثمارهم.

والقول بقيام أنبياء كذبه بعد المسيح لا تمنع من البحث الموضوعي الأميـن فى دعاوى الرسالات بعد المسيح حتى يتبين الصادق من الكاذب، والصحيح مـــن الزائف ! فالمسيح قد تكلم عمن جاءوا قبله، فوصف بعضهم بأنهم سراق ولصوص، ولا يعنى هذا طبعًا خلو الزمان قبله من النبوات الصادقة الصحيحة.

وما أدق ميزان ذلك الذى نصبه المسيح ليفرق بين الأدعيـــاء والأصـــلاء "السارق لا يأتى إلا ليسرق ويذبح ويهلك. وأما أنا فقد أتيت لتكـــون لـــهم حيـاة، وليكون لهم أفضل ... والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف. أما الذى هو أجير راعيًا الذى ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلا ويترك الخراف" .

والمسلمون يرحبون بهذا الميزان . لتعرض علية سيرة نبيهم ورسالته، بوسع المنصف أولا أن يبحث البحث الجاد فى حقيقة الإسلام ، فليس من دين يصد أهله عن البحث والنظر] فهل بعد هذا البحث العلمى الدقيق قول لمكابر أو جاحد للحق والحقيقة .

إنجيل برنابا:

الثابت علميًا أن الأناجيل الأربعة كتبت بعد وفاة المسيح على يد بعض الرسل ومن الأناجيل التى ضلت طريقها فى النصرانية الفطرية هذا الإنجيل منسوب إلى برنابا وهو قديس من قديسى النصرانية، ورسول من رسلهم وركن من الأركان التى قامت عليها النصرانية الأولى، وأقْدَم نسخة عرفت فى العصر الحديث من هذا الإنجيل اتفق المؤرخون أنها مكتوبة بالإيطالية، عثر عليها كريمر أحد مستشارى ملك بروسيا ، وذلك فى سنة ١٧٠٩ ونقلت إلى البلاط الملكى بفيينا .

وقد كشفها راهب لاتينى اسمه فرانينو ويقص قصتها فيقول: "إنه عثر على رسائل لابربانوس وفيها يندد بما كتبه بولس الرسول. ويسند تنديده إلى إنجيل برنابا فدفعه حب الاستطلاع إلى البحث عن إنجيل برنابا، وقد وصل إلى مبتغاة لما صار أحد المقربين إلى البابا سكتس الخامس، فإنه عثر على ذلك الإنجيل فى مكتب هذا البابا، فأخفاه بين أردائه وطالعه، فاعتنق الإسلام"، ويظهر أن تلك النسخة هى نفس النسخة التى عثر عليها سنة ١٧٠٩. وهذا الإنجيل لم تعترف به الكنائس النصراينة وقد أورد الشيخ أبو زهرة [١] ما يلى: "الأمور التى خالف ذلك الإنجيل فيها ما علية المسيحيون الآن تتلخص فى هذه الأمور":

---

(١) **(كتاب النصرانية)**، للشيخ محمد أبو زهرة، ١٩٦٦ ص ٦١ .

أولاً: أنه لم يعتبر المسيح ابن الله ولم يعتبره إلهًا، وقد ورد فى مقدمته: أيها الأعزاء أن الله العظيم قد أنقذنا فى هذه الأيام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم ، والآيات التى اتخذها الشيطان فى ذريته لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعاليم شديدة الكفر وداعين المسيح ابن الله ، رافضين الختان الذى أمر به الله دائماً.

ثانيًا: أن هذا الإنجيل يُبيّن أن المسيح عليه السلام لم يصلب ولكن شبه لهم ويقول برنابا: "الحق أقول إن صوت يهوذا، ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كأنه يسوع، كذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع، معتقدين أن يسوع كان نبيًّا كاذبًا، وإنما الآيات التى نقلها بصناعة السحر، لأنه يسوع قال أنه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم لأنه سيؤخذ هذا الوقت من العالم".

هذا هو إنجيل برنابا، يخالف فيه بقية الأناجيل بعد مسائل جوهرية، وفى الحق أنه سبب النصرانية القائمة فى خصائصها التى بها تعرف (التثليث/بنوة المسيح وألوهيته) والكنيسة والمتعصبون من النصارى يرفضونه رفضًا باتاً ولا يقيمون دراسة علميَّة وإن كان بعض العلماء قد عنوا بدراسته وموازنة نصوصه بالتوراة والأناجيل ورسائل رسلهم، بل القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف وانتهت دراسة جلهم بأنه قد استقى عن القرآن الكريم، وما هو مشهود عن المسلمين.

فالمسيحيون يؤمنون بالرسل والكتب المنزلة قبل ظهور المسيح وإن رسالة السماء انتهت بالمسيح ومن ثم لا يؤمنون بأن الإسلام دين سماوى منزل من عند الله، عكس ما يؤمن به المسلمون ومحمد ﷺ إذ لا يؤمن المسلم إلا إذا اعترف بعيسى عليه السلام ومن سبقه من الرسل وبهذا أنزل القرآن ودعا محمد ﷺ وقد

قال تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(٢٨٥)". [البقرة].

"شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ(١٣)". [الشورى].

فالإسلام يقرر ضرورة الاعتراف بكل الشرائع والرسل السابقين على لأنه متمم للرسالات، ولا يخرج عليها و إنما يدعو لدين واحد، لهذا نجد كل الرسالات السماوية والأنبياء يعظمهم ويوقرهم وهذا هو الدين الصحيح.

وروى ابن أبى حاتم بسنده عن وهب بن شيبه الذى كان يهوديًا وأسلم قال: "إن الله أوحى إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل يقال له أشعياء أن قم فى قومك بنى إسرائيل، فإنى منطق لسانك بوحى، وأبعث أميًا من الأميين أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، لو يمر من جنبه سراج لم يطفئه من سكينته، ولو يمشى على القصب لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه بشيرًا ونذيرًا، ولا يقول الخنا، افتح به أَعْيُنَاً عُمْيًا، وأذانًا صُمّاً وقلوبًا غُلْفَاً، أسدده لكل أمر جميل واهب له كل خلق كريم، وأجعل السكوت لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة منطقه، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد

الجهالة، وأرفع به بعد الحمالة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ الخ) [١]

القرآن والمسيح:

إن أفضل ما يمكن أن نبدأ به هذه النبذة هو نقل ما جاء بكتاب مراد هوفمان يوميات مسلم [١]: "أنه قام الأستاذ البروتستانتى العالم فى أصول الدين وهو الدكتور بول شفاو بكتابه (القرآن دليل المسيحيين) ١٩٨٢ والذى اعترف فيه بصدق القرآن حتى عندما يتعارض مع الكتاب المقدس. ويعترف شفاو تساو الذى يدين لكتابات كارل جوستاف يونج فى علم النفس التحليلى، بأن القرآن قد نجح فى أن يأتى بنماذج أصلية تتفق مع مفهوم اللاوعى الجماعى. وقد أدى به هذا إلى أن يؤكد أن القرآن صحيح ، ووحى غير مختلق وأنه على الرغم من الأحداث التاريخية الواردة فيه ألا أنه مستقل عن أى سياق تاريخى، لا يحده زمان ويتضمن للحقيقة المركزة. وشبه القرآن تصور نور الله فى انعكاسات لا حصر لها. وبإيجاز فإن شفاو تساو اهتدى إلى الإيمان بأن الإسلام هو أول دين، وأول عقيدة للتوحيد، ومن ثم يعد أقدم ديانة وأكثر الديانات شبابًا. كما أن شفاو تساو لم يقبل بطبيعة الحال عقيدة التثليث التى تتضمن اتحاد المسيح اتحادا ماديًّا بالرب، وفى هذا يقول إن" يسوع الذى عرفه التاريخ لم يكن يتسامح فى تأليه شخصيته" وفى رأى هذا الخبير أن العهد الجديد قد تعرض للتحريف فى هذا الصدد من خلال الانحراف فى تفسيره أن لم يكن تزويره"٠أ٠هـ٠

---

(١) (**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**)، المجلد الثالث، الحزب الثالث والأربعون، الصادر من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨ هـ سنة ١٩٨٧ م ٠

(١) كتاب (**يوميات ألمانى مسلم**)، للدكتور مراد هوفمان ٠

و أننا إذ تمعنا فى القرآن بقلب واع منفتح للمعرفة الحقيقية بلا تحريف نجد هذا الكتاب يعتبر السيد رسول الله يوحى إليه مؤمن برسالة التوحيد وقد كشف القرآن عن معجزات المسيح ، ويلقى البشارة التى تلقتها السيدة العذراء بمولده محملة بتلك المعجزات قبل أن يولد. ومجده ورفع ذكره بأكثر مما ورد فى كتب النصارى وقد قال الله تعالى: "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(٤٧)".[آل عمران].

"وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ(٤٨)وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٤٩)".[آل عمران].

وقد جاء بكتاب الأستاذ بشرى زخارى ميخائيل (محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل) نقلًا عن كتاب المسيحية فى الإسلام للأب إبراهيم لوقا: "لا يظن كثيرون أن الإسلام يطعن فى المسيحية ويحارب عقائدها،هذا الظن منشؤه فى الحقيقة عدم الإلمام بما ذكره الإسلام عن المسيحية وأن الباحث المدقق فى جميع الأقوال التى أوردها القرآن عن النصرانية والنصارى ليتضح له أمران:

أولهما : أن نبى الإسلام قد حفظ للديانة المسيحية مركزها وأيد جلالها واثبت الكثير من تعاليمها ونادى بوجوب تقديس أوامرها والعمل بها.

وثانيها : أن القرآن لم يهاجم المسيحية التى أسسها المسيح ونشرها رسله القديسون ولكنه هاجم بدعًا خاصة كانت قد ظهرت عند ظهوره، ونادت بتعاليم لا تقرها المسيحية فحاربها، كما حاربتها المسيحية من قبل ومن بعد وكلنا نعلم أن الشرق وقت ظهور الإسلام كان مرتعاً خصباً للاضطرابات الدينية والخلافات المذهبية . فقد كانت الحرب مستعرة نارها بين اليهود والمسيحيين من جهة، وكانت الفرق المبتدعة الخارجة عن النصرانية تتناؤ مع بعضها من جهة ثانية، كما كانت الوثنية تنازع هاتين الديانتين من جهة ثالثة وكل من يطلع على تاريخ "الهرطقات" يقف متحيراً إزاء ما كان بين هذه الديانات والمذاهب من تطاحن وعداوة وبغضاء، أشار أليها القرآن قال تعالى: "**وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمْ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(١٤)**" .[المائدة].

فقد كانت كل فرقة تكذب الأخرى وتكفرها، ومن ثم جاء الإسلام يحارب الوثنية ويجاهد اليهودية، ويؤاخذ المسيحية فى مذاهبها المتنوعة التى كانت تتنافى مع تعاليمها الصحيحة فى الله تعالى منكرا عليها ما كان يثير الجدل والنقاش حولها فالإسلام إذا لا يعادى المسيحية ولا يقاومها، ولكنه على العكس يسير معها جنبًا إلى جنب ويحالفها إشهار الحرب ضد الفرق المبتدعة.

وذلك منذ بدء الرسالة المحمدية ولم تشذ الأحاديث النبوية بجانب الكتاب العزيز عن هذا النهج بل إن تعاليم الإسلام وسلوك الرسول والصحابة كلها تسير فى هذا الاتجاه فالإسلام لا يتعارض مع المسيحية إنما هو مكمل ومصحح للمفاهيم التى انحرف بها البشر فى دياناتهم السابقة عن الرسالة المنزلة على الرسل.

وقد ذكى القرآن المسيح ووالدته العذراء مريم وطهرها ورفع قدرها ولو كان القرآن من عند البشر لصمت عن الارتقاء بالمسيح ووالدته إلى المستوى العالى، وأن يدع مقولات اليهود وافتراءاتهم عليه وعلى والدته لتنتشر المقولات السيئة عنهما. فكل آيات القرآن لا يختلف مضمونها عما يوجد فى الكتب السماوية من قبل، وفى كل ما دعا إليه الرسل من قبل دعوة إلى كل خير وصلاح، دعوة إلى الاخوة الإنسانية فلا تفرقه بسبب الجنس أو اللون أو النسب، دعوة إلى الحق والعدل وإشاعة الخير والبر، دعوة للنظر فى الكون والانتفاع بما فيه دعوة للحب والإيثار والشفقة والرحمة ومكارم الأخلاق . دعوة لتهذيب الفرد وتكامل الجماعة وحب الإنسان للإنسان"أ ٠ هـ.

قال تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١١١)**".[التوبة].

هذا ما نراه فى القرآن الذى ساوى بين البشر واحترم النفس البشرية قال تعالى:" **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(١)**".[النساء].

أما معتنقى المسيحية الجدد فى أوربا فقد قالوا وقدحوا ونسبوا أسوأ المعتقدات لرسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ فى دينه ولقد أنصف توماس كارميل سيدنا محمد عندما قال (منذ اكثر من مائة وخمسين عاما): هذه الأكاذيب التى قلناها

بحماس حول ذلك الرجل (محمد) إنما هى مشيئة لنا وحدنا. أما القرآن الكتاب المنزل على رسول الله نبى الإسلام الذى أكمل رسالة السماء فقد ذكر عيسى فى ثلاث عشر سورة وثلاثين آيه ذكرته شعار وخمسين مرة، خمس وعشرون منها باسم عيسى وثلاث وعشرون بابن مريم وذلك فى آيات الله البينات:

(البقرة: ٨٧، ٢٥٣)، (آل عمران ٤٢، ٤٥، ٤٩)، (النساء ٤٦ ، ١٧١)، (المائدة ٤٦)، (الأنعام ٨٥)

أما والدته مريم فذكرها القرآن اثنى عشرة مرة منها:

(سورة مريم ٢٧،٢٨،٣٠، ٣٣) .

المسيح فى القرآن الكريم:

خوطب المسيح فى القرآن بكل عبارات الاحترام والتقدير فقيل عنه:

(ابن مريم)، (المسيح)، (عبد الله)، (رسول الله)، (روح منه). وقد تكرر التعبير وجرى الحديث عنه باعتباره أنه: **(كلمة الله)، (أية الله)**، فقال الله تعالي:

"قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُك بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ(٤٥)". [آل عمران].

"يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا(١٧١)".[النساء].

وقد كانت ولادته معجزة إلهية ووردت فى سورة مريم :

"وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ(٤٦)".[آل عمران].

وخصه بمعجزات لم ينلها بشر يخلق من الطين كهيئة الطير ويعرف الغيب :

"وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٤٩)". [آل عمران].

فالقرآن يكرمه لأنه رسول من الله للبشرية وقد نهج المسلمون منذ بدء الرسالة المحمدية حتى يومنا هذا على تكريم سيدنا عيسى علية السلام وقد وصفه القرآن بأنه وجيها فى الدنيا بعلو مكانه ومركزه العظيم وفى الآخرة من المقربين لله الواحد وليس هناك تكريم فى الإنجيل أو أى من الكتب السماوية أو الدنيوية للمسيح عيسى بن مريم ولا اكرم من هذا التعظيم، وقد كرمه الله عندما كاد له اليهود ليصلب فرفعه إلى السماء وهذا لم يرد فى الأناجيل التى حررها الحواريون ففى ذلك غاية التكريم من الله لعبد من عباده أن يرفع عنه كيد كائديه ويرفعه إلى السماء قمة العظمة والرضا كالنار كانت بردا وسلاما على إبراهيم وهذه مرتبة أولى العزم من الرسل وقد صور القرآن هذا الحدث أبلغ تصوير فى آياته تعالى : "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٥٥)".[آل عمران].

السيدة مريم فى القرآن:

كان للسيدة مريم مركزًا عاليًا عند الله، وخصها بالتكريم والعناية منذ ولادتها وقد قال الله تعالى فيها: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١)وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ(١٢)".[التحريم]. فهى قد نذرت لله رب العالمين من أمها وهى فى بطنها والقرآن يبرز ذلك لأعدادها للرسالة التى حملتها قال الله تعالى "إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٥)".[آل عمران].

"فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧)".[آل عمران].

وعاشت فى كنف نبى الله زكريا وفى رعايته، وكانت تبرز آيات الله الذى يرعاها فكانت ترزق من الله رزقًا حسنًا أذهل زكريا، قال تعالي: "فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧) "٠[آل عمران]٠

هذا إلى أن جاء لها جبريل ليخبرها بأن الله ميزها على نساء العالمين، قال تعالي:

"وَإِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ(٤٢)يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ(٤٣)ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ(٤٤)".[آل عمران].

فهذه منزلة السيدة مريم فى القرآن والتى خصها الله بسورة فى كتابه الكريم و أنزلها منزلة عالية لا تدانيها فيها أى امرأة من نساء العالمين وان كانت امرأة فرعون تشاركها فى فضل الأيمان ولكنها تفوقها فى المنزلة التى أختصها بها الله .

التصور القرآنى للمسيح:

أنزله القرآن منزلة كبرى دون العالمين بشكل إنسانى وروح قدس ولكن ليس اله أو ابن الله فهو بشر كسائر خلق الله من بنى آدم. فالله يخلق ما يشاء فى الوجود بكلمة منه يقول كن فيكون هذه القدرة الإلهية٠ كما خلق آدم دون أب ودون أم أليس هذا بأعظم أعجاز وكل الأديان لم تصبغ الصبغة الإلهية على آدم وهنا الأمر اكثر قبولا عند التماثل من عيسى – عليه السلام – وهو من ذرية آدم له أم حملته، أفمن يولد من بطن امرأة معجزة أكبر ممن يخلق ابتداء من الطين، فآدم أولى بالتشريف والتكريم فى خلقة أكثر من عيسى وبهذا يكون التصور الإسلامى لعيسى على إنه رسول الله للبشرية وليس ابنا لله كذبًا على الله القادر المقتدر أمر

منطقى ومستساغ لأن الأسبق ((أدم) أحق (استغفر الله) بالألوهية وقد سكن الجنة وأخرج منها لمعصيته أمر الله، فهل هذه الخطيئة تتحملها البشرية وتظل تتدبها وتختلق ابن لله الخالق القادر المقتدر ليتحمل خطأ آدم عن بشر غيره من خلق الله، هل الخطأ خطأ الله وهو خالق الكون القادر وحده بكل الصفات أم أن الخطأ لآدم المخلوق وقد تاب عليه بكلمات وعوقب بنزوله إلى الأرض هو وذريته وكان الثواب والعقاب على الأرض لبنى الإنسان ويوم القيامة بإذن الله الواحد الفرد الصمد ومن هذا التصور الإسلامى فى القرآن فى خلق عيسى نستدل على الأتى :

أ - إن السيدة مريم العذراء كرمها القرآن ولم تكن امرأة عربية لا ينسب تكريمها للعصبية وسيدة شريفة فاضلة اصطفاها الله وكرمها وفضلها على نساء العالمين وكان المسيح ابنًا لها كأى إنسان ورسولاً من الله تعزيزاً لقدرة الله.

ب - إن كل ما جرى وكل ما قيل إنما بوحى من الله إلى البشر .

ج - إن عيسى علية السلام كان كلمة الله إلى السيدة العذراء ولم يكن إلهاً كما صوره فى كتابه حيث قال:

"قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ(١١٥)وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ(١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(١١٧)إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١١٨)".[المائدة].

ء - إن عيسى علية السلام هو المسيح الذى كان ينتظره اليهود .

هـ - إن الله سيحقق على يديه المعجزات منذ بدء ولادته لأن اليهود قد بددوا وخلطوا دينهم بأمور ليست فى رسالة السماء على أنبيائهم .

و - إن عيسى علية السلام نزل علية الوحى من الله كسائر الرسل .

ى -إن معجزات عيسى عليه السلام كلها بإذن الله وبقدرته وليس بقدرة عبد من عباده للدلالة على وحدانية الله وليس على قدرة المخلوق ذاته .

فالمسيح علية السلام رسول من الله أرسل لهداية البشر كغيرة من الرسل وكان واحدًا من أعظم الأنبياء والرسل، صاحب أكبر المعجزات ويجلو القرآن حقيقته فى الآية ١٧١ من سورة النساء بقوله تعالى:" يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا(١٧١)

وقد جاء مصداقا لذلك فى إنجيل مرقص[١]: "سأل أحد الكتبة عيسى: أية وصية هى أول الكل ؟.

فأجاب : أن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل؛ الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، وهو كل فكرك، ومن كل قدرتك؛

(١) (إنجيل مرقص)، ١٢: ٢٨-٣٤.

وكرر هذا المعنى فى القرآن إذ قال تعالى: " كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ(٧٢)".[المائدة].

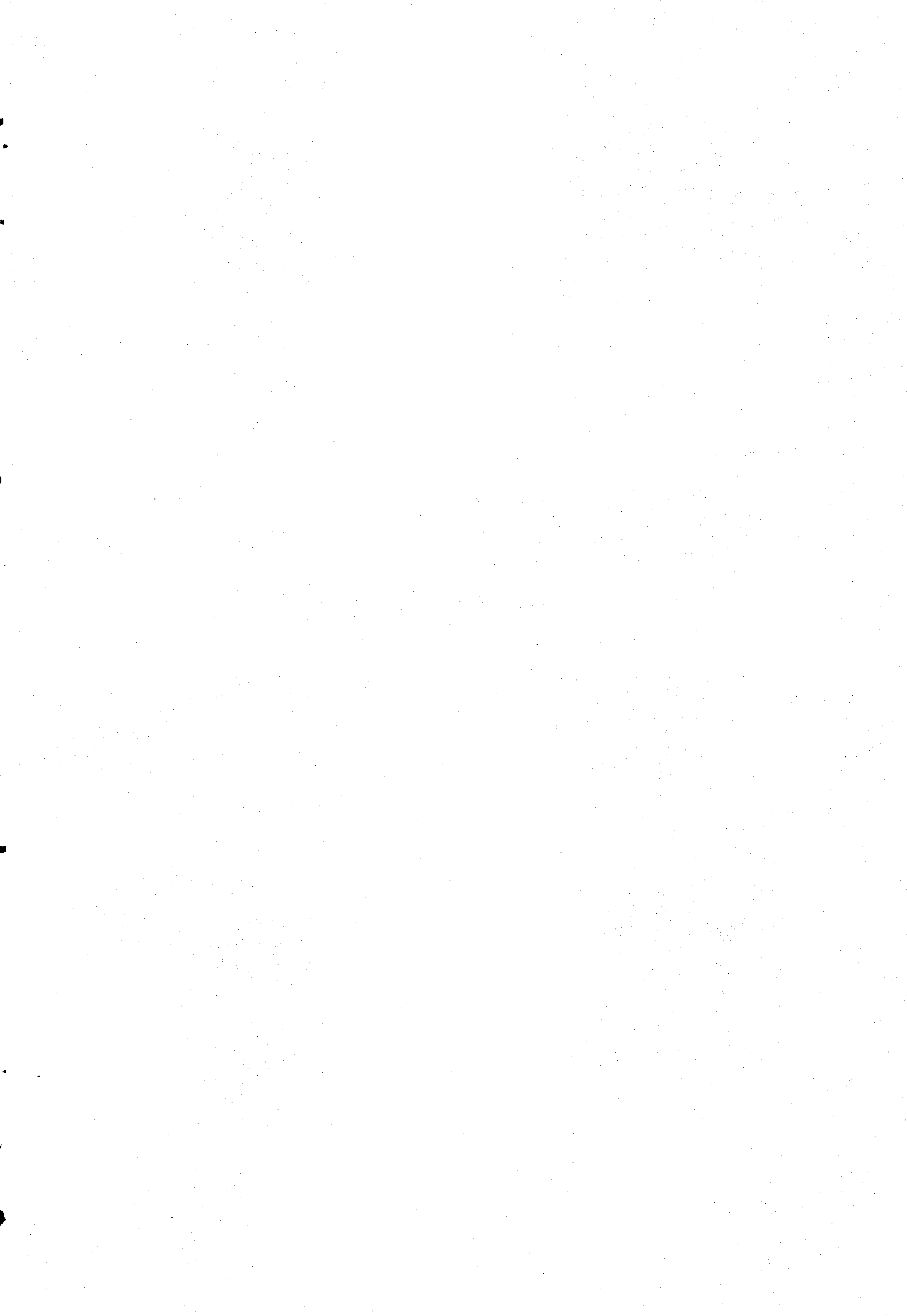
وقال تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٧٣)". [المائدة].

قال تعالى: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ(٧٥)".[المائدة].

وهذا أمر يصدق على كل الرسل والأنبياء الذين تلقوا الوحى الإلهى ومنهم سيدنا محمد ﷺ الذى أكد أنه بشر وانه رسول من الله وانه بشر وليس إلا مبلغ الرسالة لا يتميز على سائر البشر إلا بالرسالة وأنه موحى إليه من الله.

الفصل الرابع

الإســلام والغرب



يحمل الغرب المسيحى للإسلام مجموعة هائلة من الأفكار المغلوطة عن عمد لتشويه صورته وللمعرفة الحقيقية لحقائق القرآن والإسلام بوجـــه عـــام يتعيـــن مراجعة الترجمات والتعليقات التى انحرفت عن جادة الصـــواب، ولقـــد أثـــارت الجوانب العلمية التى يختص بها القرآن الدكتور موريس بوكاى فعلق عليها فـــى كتابه وقد جاء بالصفحة ١٤٤ وما بعدها: "أنه لم يكن يعتقد بإمكان اكتشاف عـــدد كبير من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تمامًا للمعـــارف العلميَّة الحديثة، وذلك فى نص كتاب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا، فى البداية لـــم يكن لى أى إيمان بالإسلام وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة، وإذا كان هناك تأثير مما قد مورس فـــهو بالتـــأكيد تأثير التعاليم التى تلقيتها فى شبابى. حيث لم تكن الغالبية تتحدث عـــن المســـلمين وأنها عن المحمديين لتأكيد الإشارة إلى أن المعنى به دين أسسه رجل وبالتالى فـــهو دين عديم القيمة تمامًا إزاء الله. وككثير كان يمكن أن أظل محتفظًا بتلـــك الأفكـــار الخاطئة عن الإسلام، وهى على درجة من الانتشار بحيث أننى أدهش حين ألتقـــى خارج المتخصصين، بمحدثين مستنيرين فى هذه النقاط وأعترف إذاً بـــأننى كنـــت جاهلا قبل أن تعطى لى عن الإسلام صورة تختلف عن تلك التـــى تلقيناهـــا فـــى الغرب".

ومن ثم أقدم على تعلم اللغة العربية حتى يكون قادراً على دراسة هذا الديـــن من منابعه الأصلية وقد اسلم وألف كتابه للرد على الافتراءات وقارن بين القـــرآن والتوراة والإنجيل وانتهى فى كتابه القيم إلى أن ما جاء بالقرآن يتفق ومما يثبـــت علميًا فى مقابلة علمية بين معطيات الكتب المقدسة الثـــلاث والمصـــادر الحديثـــة بدراسة علمية متأنية صادقة أمينة بلا تزييف، وإن الباحث الأمين الذى ينشد الحقيقة ليجد أن القرآن قد عظم المسيح وأن المسلمين لذلك يمجدونـــــه ويحـــترمون أهـــل الكتاب، وليس أدل على ذلك من الإشارة إلى أنه فى بدء الرسالة عندما هزم الفـــوس

الروم فرح المشركون وابتأس المسلمون وعايرهم المشركون لأنهم يدركون أن نبع المسيحية والإسلام واحداً. فأنزل الله سورة الروم على رسوله الكريم مبشرًا بإعجاز كامل للقرآن أن الروم سينتصرون بأذن الله في بضع سنين بقوله تعالى:"الم(١)غُلِبَتْ الرُّومُ(٢)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(٣)فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ(٤)".[الروم].

وقد تحقق ذلك بعد تسع سنوات، وهذا ثابت تاريخيًا لا يأتيه الباطل، وقد فرح المؤمنون بانتصار الروم بعد ذلك لأنهم يشاركوهم عقيدة التوحيد المنزلة من عند الله على رسوله عيسى، وإن الإنجيل -غير المحرف- موحى به من عند الله كالقرآن.

وحسبنا للدلالة على توقير الإسلام للنصرانية أن الهجرة الأولى للمسلمين فراراً من المشركين من أهل مكة تجنبًا لإيذائهم، أرسل النبي ﷺ المسلمون إلى الحبشة لأن ملكها نصرانيًا ومن أهل الكتاب، وبلاده ليست بلاد شرك، وكذلك الهجرة الثانية، وقد بعث الرسول ﷺ برسالة إلى النجاشي الأول مع عمرو بن أمية الضمرى ونصها كالآتى :

"**بسم الله الرحمن الرحيم** : من محمد رسول الله ، إلى النجاشي اصمم ملك الحبشة. فإني أحمد إليك الله الذى لا اله إلا هو، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت عيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه. وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله .

وقد بعثت إليك ابن عمى جعفر، ونفرا معه من المسلمين، فإذا جاءوك فأقرهم، ودع التجبر. فإنى أدعوك وجنودك إلى الله وقد بلغت ونصحت فاقبل نصحى.
والسلام على من اتبع الهدى" [1] .

وقد ورد فى التاريخ أن عمرو بن العاص وقبل أن يسلم تعقب وبعض المشركين المسلمين المهاجرين إلى الحبشة وقابل النجاشى فى بلده وطلب تسليمهم ففشل فأراد الإيقاع بينهم وبين النجاشى إمبراطور الحبشة فقال له إنهم يقولون فى مريم وعيسى قولا مشينا فاستدعاهم النجاشى وسألهم رأى الإسلام فى عيسى بن مريم وأمه. فقرأ عليه جعفر بن أبى طالب المتحدث باسم المهاجرين سورة مريم (بدءا من كهيعص) فلما سمعها النجاشى بكى حتى ابتلت لحيته وبكت أساقفته وقال قولته الشهيرة: إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة، واحدة انطلقا فلا والله لأسلمهم إليكما .

فالإسلام كرم عيسى ووالدته التى نزلت باسمها سورة كاملة ولم تنزل سورة أخرى باسم امرأة ثانية وهذا بذاته تكريم لم تنله العذراء فى التوراة أو الإنجيل والكتب المقدسة عند اليهود والمسيحيين وقد سبق أن نقلنا ما جاء فى كتاب الأب إبراهيم لوقا فى الفصل الرابع تحت عنوان القرآن والمسيح وقد تناول فيه الرد على افتراءات الغرب فى هذا الشأن . وأشار إلى الحرب التى كانت مستعرة نارها بين اليهود والمسيحيين والفرص المبتدعة، والانحراف نحو الوثنية والعداوة بينهما، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالي: "**ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا**

---

(١) كتاب (**الرسائل النبوية**)، على يوسف السبكى، الطبعة الأولى ١٩٨٠ ص ١٢٨ .

مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(١٤)".[المائدة].

فالإسلام يحارب الوثنية ويجاهد اليهودية، ويؤاخذ المسيحية في مذاهبها المتنوعة التي تمس أصول العقيدة وأساسها التوحيد وليس فرعيات.

وقد اعترف بعض الغربيين بموقف الإسلام من المسيحية ومنهم الأمير تشارلز ولي عهد إنجلترا الذي قال [1] أمام مجموعة من الخبراء المتخصصين في الشرق الأوسط وطلب تعيين مزيد من المعلمين المسلمين في المدارس البريطانية حتى تتاح الفرصة أمام أبناء البريطانيين للتعلم والاستفادة من القيم الإسلامية ومجمل قول الأمير (إن الإسلام هو الدين الذي يستطيع أن يملأ الفراغ الروحي الموجود في الغرب) وقد نشرت صحيفتا التايمز والديلي تلجراف تصريحات الأمير تشارلز بشكل بارز على صدر الصفحة الأولى فيهما واختارت الصحيفتان نفس العنوان الذي اختاره الأمير تشارلز " **تعلموا من الإسلام** " وذكرت الصحيفتان أن تشارلز أكد أن أراءه تتعلق بالحضارة الإسلامية حين تكون في أفضل حالاتها. وهذا صحيح لأن الحكم على فترات تقهقرها وتجاهل فترات الازدهار ليس حيدة علميَّة وليس موقفًا عادلًا ومن أقواله:

"إن سماحة الإسلام واعتداله وتوازنه واحترامه لحرية الأخريين في اختيار عقائدهم والعلاقات الطبيعية التي يبديها تجاه الشعوب الأخرى. هذا كله يقطع بحاجة الغرب لإعادة النظر في فهمه للإسلام والأخذ من قيمه والاستفادة من مبادئه وثقافته والتعلم منه".أ.هـ.

وقد قال البطريرك ميشو بابه (٦٤٧ - ٦٥٧ هـ)

---

(١) (الأهرام) ١٩٩٦/١٢/١٧ أحمد بهجت .

"إن المسلمين الذين مكنهم الله فى الأرض ليسوا أعـــداء للنصرانيـــة، لأنـــهم يوقرون قدسينا وقسسنا ويحترمون كنائسنا" وقد نقل عن الرئيس هيرتزوج رئيـــس جمهورية ألمانيا[1] فى مقال منشور بجريدة الأهرام، للأستاذ فهمى هويدى: "أنـــه لولا مارس شميل لما عرف الألمان الكثير عن الإسلام ولما أدركـــوا أن الصـــورة النمطية التى تروج عنه لا تستند إلى شيء من تعاليم هذا الدين وقد حان الوقت لأن يدرك الجميع أن حقيقة الإسلام تختلف عما يلصق به من تهم أو يلاحق بـــه مـــن عناوين مثل أنه دين عدم التسامح، أو قهر النساء أو الأصولية العدوانية أو أن قوانينـــه العقابية تتسم بال لإنسانية و أضاف: يجب أن نتجاوز تلك النظرة الضيقة وأن ننظر إلى الإسلام من زاوية أخرى أكثر تفهمًا وعدالة".

وقد كتب الراهب اندرس كتاب **(أصول الأدب)** الذى ألفه بالإيطالية وجاء فـــى سبعة أجزاء كبار ونشر فى يارفا بين عامى ١٧٨٢ – ١٧٩٨ حين كان منفيًا فـــى إيطاليا وأكد به تفصيلًا مستفيضًا أن حضارة الأندلس كانت وراء تعليم أوروبا فـــى جوانبها المختلفة ، ولكن الأسبان أهملوا الكتاب ومؤلفه كلية فلم يطبع ثانية لا فـــى إيطاليا ولا أسبانيا.

وأكد هذه الدعوة جوليان ريبيرا (١٨٥٨ – ١٩٣٤) مستشرق أصـــلا مـــن بلنسية حيث تعمقت الحضارة الإسلامية وتركت بصماتها فى أسماء القرى وحيـــاة الناس حتى يومنا وترفع شعار قومية الثقافة الأندلسية وأنها أسبانية بقدر مـــا هـــى عربية إسلامية "الإسلام دينًا ليس ملك لقوام دون آخرين ولا وقفًا على جماعة دون غيرها ويمكن أن ينتمى إليه من يشاء مهما كانت الأصول العرقية التى ينحدر منها.

---

[1] –**(جريدة الأهرام)** ١٤/١٠/١٩٩٠م مقال منشور للأستاذ فهمى الهويدى

وعند وفاة الرسول ﷺ قال أبو بكر: "**أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت**".

ولقد قال مارشال هوجسون:"لم يجد المسلمون لدى الغرب شيئا يذكر يستحق أن يبذلوا جهدا ليتعلموه، فقد كان الغرب مستوردا للعلم من العرب فحسب فكان غزواً إسلاميًا للغرب ترك بصماته عليهم وتعبيراته العربية".

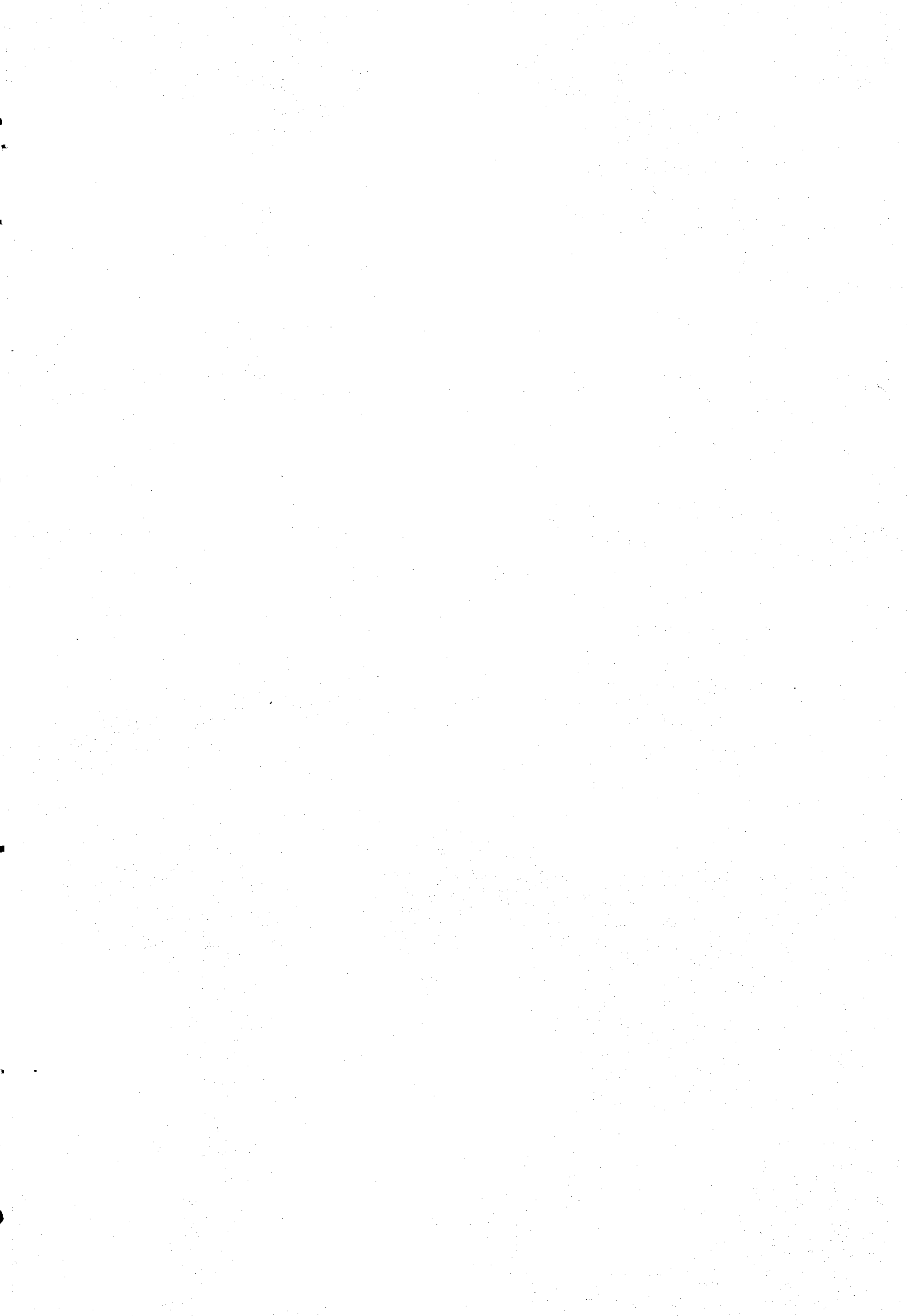
وقد نقل عن الأستاذ (ليبرى) قوله : "لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت أوروبا الحديثة عدة قرون".

وقال العلامة (سلويو) فى كتابه (**تاريخ العرب**): "كان المسلمون فى القرون الوسطى منفردين فى العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقوامهم، وتسربت منهم إلى أوروبا فكانوا هم سبب نهضتها وارتقائها .

ومن الكلمات الجديرة بالإشارة إليها ما جاء فى خطاب الملك كارلوس ملك أسبانيا فى احتفال مدينة الزهراء فى ٤ نوفمبر ١٩٩٢ : "إن إسبانيا حينما تذكر هذا الماضى العربى الإسلامى الذى لم ينقطع بعد عام ١٤٩٢ إذ ظل الوجود العربى نحو قرنين بعد سقوط غرناطة حيث كان دعامتى العربى الأسبانى من موجهات مسيرة أسبانيا الحضارية وإن كثيرًا من تلك الرواسب تكون جزء لا يتجزأ من كيان أسبانيا إلى اليوم، واستطرد الملك قائلا: "وأسبانيا إذ تعترف بفضل هذا الماضى العربى الإسلامى أصبحت بقوة صفحة مشرفة من كتاب تاريخها، وهى بهذه المناسبة تمد يد الصداقة والتعاون إلى البلاد العربية الإسلامية، وتدعو المثقفين من الجانبين إلى إلقاء مزيد من الضوء على هذا التاريخ الذى هى شريكة فى صنعه والاعتزاز به مع العالم الإسلامى. ثم قال: وأسبانيا إذ تحتفل بهذه الذكرى وهى

تعتذر بما وقع فى الماضى من موجات التعصب التى حـــاولت أن تطمـــس ذلـــك التاريخ"١٠أ٠هــ٠

وهذه كلمات صادقة تسربت أخيرًا للفكر الغربى عن الإسلام وإن كانت هنالك قوى خفية مازالت تعمل بقوة لإفساد وتشويه صورة الإسلام. ومن المصادر الغربية التى تناولت الموقف بأمانة علمية ما كتبته السيدة " تفـــاريس وادى " فـــى كتابـــها الأتى:



الفصل الخامس

الإسلام ونصارى الشرق

إن البشرية لم تعرف ديناً مثل الدين الإسلامي، الذي لا إكـــراه فيـــه، ولا عدوان إلا علي الظالمين؛ فكله سماحة ومحبة ومودة، فهو الداعي للمســـاواة بيـــن الناس ونشر مكارم الأخلاق بينهم، وقد بين النبي محمد ﷺ الهدف الأسمى من بعثته والجانب المهم من رسالته فقال: "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**".

وأن من هذه الأخلاق التي بعث النبي ﷺ من أجل إتمامـــها، العفـــو عنـــد المقدرة، واحترام الآخرين لكونهم من بني آدم حيث يقول ﷺ : "**كلكم لآدم وآدم مـــن تراب**" بغض النظر عن فكرهم وعقيدتهم ما لـــم يتعرضـــوا للمســـلمين بـــأذى، أو للضعفاء بظلم، أو للفقراء بتجبر وطغيان وعنت، وتزداد هذه الأخلاق الحسنة وتلك المعاملة الطيبة سالفة الذكر عند المسلمين مع غيرهم بحســـب درجـــة المواطنـــة والجوار، خاصة مع أصحاب الرسالات السماوية، فعقيدتهم لله وسلوكهم لنا، نحســـن إليهم إذا أحسنوا لنا.

و"لعل الوثيقة التى أصدرها النبى إلى رهبان دير سانت كاترين، خير دليل على سماحة الإسلام وسمو مبادئه؛ لقد كانت رسالة محمد بن عبد الله إلى رهبـــان الدير رسالة شامخة، اشتهر أمرها فى الناس، وقد حرص الرسول أن يملى رســـالته على ملأ من الصحابة والتابعين، رغبة منه فى تأكيد حسن النيـــة التـــى ألتزمـــها، وأمرًا منه بأن يتبعوها فى علاقاتهم مع أبناء الشرائع السماوية الأخـــرى، وبـــهذا كشف عن حقيقة الغاية التى تربط المسلمين [1] ".

وليس هناك أدل على موقف الإسلام من النصراينة مما أثر عن الرســـول ﷺ بإعطاء ذلك العهد ، ويجدر بنا أن ننقل نص هذا العهد النبوى لأهل ملة النصارى:

---

(١) نقلا عن كتاب (**محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل**) ص٤٢ وما بعدها الطبعة الثالثـة – الناشر عالم الكتب بالقاهرة .

"بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين رسوله مبشرًا ونذيرًا ومؤتمنًا على وديعة الله فى خلقه لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا.

كتبه لأهل ملة النصارى ولمن تنحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها قريبها وبعيدها فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها جعل لهم عهدًا فمن نكث الذى فيه وخالفه إلى غيره وضدى ما أمره كان بعهد الله ناكثاً ولميثاقه ناقضاً وبدينه مستهزئًا وللعنته متوجبًا سلطانًا كان أم غيره من المسلمين. وأن احتمى راهب أو سائح فى جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو بيعة فأنا أكون ورائهم أذب عنهم من كل غيرة لهم نبضى وأعوانى وملتى وأتباعى لإنهم رعيتى وأهل ذمتى وأنا أعزل عنهم الأذن فى المؤن التى يحمل أهل العهد من القيام بالخراج إلا ما طابت لهم نفوسهم وليس عليهم جبر ولا إكراه على شئ من ذلك.

ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا حبيس من صومعته ولا سائح من سياحته ولا تهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم ولا يدخل شيئًا من مال كنائسهم فى بناء مساجد المسلمين ولا فى بناء منازلهم فمن فعل شيئًا من ذلك فقد نكث عهد الله وعهد رسوله ولا يحمل الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة أنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا برًا أو بحرًا وفى المشرق أو فى المغرب والجنوب والشمال وهم فى ذمتى وميثاقى وأمانى من كل مكروه وكذلك من يتفرد بالعبادة فى الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم لما يزرعونه لا خراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونه برسم أفواههم ولا يعاونون عند إدراك الغلة ولا يلزمون بخروج فى حرب وقيام يجبر به ولا من أصحاب الخراج وذوى الأموال والعقارات والتجارات فما هو أكثر من اثنى عشر درهمًا بالجملة كل عام.

ولا يكلف كل أحد منهم شطط ولا يجادلون إلا بالتى هى أحسن ويحفظونهم تحت جناح الرحمة يكف عنهم أذية المكروه وحيثما كانوا وإن صارت النصرانية

عند المسلمين فعليها برضاها وتمكينها من الصلاة فى بيعها ولا يحال بينها وبين هوى دينها.

ومن خان عهد الله واعتمد بالضد من ذلك فقد عصى ميثاقه ورسوله ويعاونوا على حرمة بيعهم ومواضعهم وتكون تلك مقبولة لهم على دينهم ومنالهم بالعهد ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح بل المسلمون يقوموا عنهم ولا يخالف هذا العهد أبدًا إلى حين تقوم الساعة و تنقضى الدنيا[١]".

وقد خطب أبو بكر الصديق فى سرية مجهزة وموجهة إلى الشام تعبر عن الإسلام ومبادئه إذ قال لهم: "اعلم أن الله حاضر لا يغيب فاذكروه فى كل حال ولو كنتم على شفا الموت وآمنوا باليوم الآخر وبالرجال فى دخول الجنة ...... واجتنبوا الظلم والطغيان وشاوروا إخوانكم فى كل أمر، وتحابوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، فإذا قاتلتم فى سبيل الله فقاتلوا صفاً وكأنكم بنيان مرصوص، ولا تولوا الدبر، ولا تلطخوا النصر بدماء النساء والأطفال ولا تبيدوا النخيل ولا تحرقوا حقول القمح ولا تتلفوا أشجار الفاكهة ولا تقتلوا الأنعام وإذا عاهدتم قوما فأوفوا إليهم عهدهم واحفظوا أيمانكم وعهدكم وستجدون أقوامًا على غير ملتكم فزروهم فى عبادتهم ولا تمسوهم بسوء ولا تخربوا حق أمنهم".

وعندما دعى عمر – رضى الله – عنه لتسلم مفاتيح القدس من البطريوك، كتب لهم الآمان لكل حقوقهم جاء فيه: "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا الآمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملته، أنه لا تسكن كنائسهم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبها، ولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن منهم أحد منهم من اليهود".

---

(١) **(مجلة المحيط القاهرية الشهرية)**، العدد أبريل ١٩٠٨.

ومن البادى للعيان أن النصارى الشرقيين هم الذين طلبوا من سيدنا عمر ألا يساكنهم اليهود فى القدس، وهذا يؤكد ألا حق لليهود فى القدس، وأن النصرانية منذ البدء هم فى عداء معها، وناشد النصارى عمر أن يحميهم من حقد اليهود.

ومن دلائل عظمة الإسلام وحمايته لمقدسات الشرائع السماوية الأخرى، امتناع سيدنا عمر عن الصلاة فى الكنيسة عندما حان وقت الصلاة، ودعاه البطريرك لأدائها داخل الكنيسة أثناء زيارته لها، معبرًا عن أصالة الدين وعظمته، معلِّلا سبب امتناعه عن الصلاة بالداخل، حتى لا يأتى قوم من المسلمين بعده يتعللوا بأن عمر صلى داخل الكنيسة، ومن ثَّم خرج و صلى بخارج الكنيسة.

وهذا ما لم نشاهده فى الشرائع الأخرى وأتباعها، فكم من مساجد تحولت إلى كنائس فى جميع أنحاء العالم سواء الشرق أو الغرب، أما رجال الإسلام فيحترمون أماكن العبادة أيًا كان دين أصحابها.

ومن أنواع الاضطهاد الذي تعرض له بعض النصارى بسبب الاختلاف فيما بينهم أنه عندما أنعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، وهو أول مجمع مسكوني[١] (عالمي) ينعقد بدعوة من الإمبراطور قسطنطين بوصفه بابا بيزنطة وكان الغرض منه تقريب المذاهب المختلفة والاتفاق علي رأي واحد واضحًا بمحاكمة الهراطقة والمنشقين، ولخص رجال الدين والعقيدة وشئون الكنيسة ..الخ.

وكان من كبار المعترضين علي هذه المهام التي يقوم بها هذا المجمع العالمي (مجمع نيقية) هو الأسقف أريوس. وهو أسقف الإسكندرية ورأيه أن

---

(١) يرجع في ذلك إلي كتاب **(تاريخ الكنيسة القبطية)**، للقس منسي ، مكتبة المحبة، ص ١٦١٦ وما بعدها.

المسيح رسول ونبي فقط وأنه بشر وليس إله أو ابن الإله وكان له مؤيدون في مصر وخارجها وسمي أعداؤه عقيدته هرطقة وأطلقوا عليها أسم المشكلة الأريوسية وتم صدور قرار من مجمع نيقية بحرمان أريوس وأتباعه وإعدام كل من يخالف قرار (نيقية) وكل من يتستر علي الأريوسيين (أتباع أريوس) وتضمن قرار الإمبراطور حرق كل مؤلفات أريوس ووقع علي هذا القرار ٣١٨ أسقفا وهم كل الأساقفة الحاضرين٠

ورغم التنكيل والتعذيب الذي لاقاه الأريوسيين علي مدي أكثر من قرنيين من الزمان كانت أراء أريوس ساكنة في صدر العديد من المصريين٠

وقد سجل التاريخ اضطهاد المسلمين والاعتداء على مساجدهم، بل اضطهاد النصارى بعضهم لبعض، لمجرد اختلاف المذاهب منذ اضطهاد الرومان بعد اعتناقهم النصرانية للمصريين، ليجبروهم على اتباع مذاهبهم حتى اضطر البطريرك بنيامين للهروب للصحارى، والاختفاء ومعه عديد من الأقباط فارين بدينهم و تركوا بيوتهم، حتى أتى فتح مصر وأصدر عمرو بن العاص أمرا بمنح البطريرك الأمان ودعاه للعودة بقوله: "فليأت البطريرك الشيخ آمنا على نفسه،وعلى القبط الذين بأرض مصر و الذين فى سواها لا ينالهم أذى ولا تخلوا لهم ذمة"٠

ولما سمع البطريرك بذلك قال لقومه وأتباعه : "عدت إلى بلدى الإسكندرية فوجدت فيها أمنا بعد خوف، واطمئنانا بعد ابتلاء، وق صرف الله عنى اضطهاد الكفار وبأسهم، ويعنى بذلك الرومان"

فى عصرنا الحالى تعرض البابا شنودة قبل أن يتولى رئاسة قبط مصر وعندما كان أسقفا للتعليم فى مقال له نشر فى مجلة الهلال فى ديسمبر سنة ١٩٧٠ ورد بكتاب الأستاذ رجب البنا ص ٣٧٢ (الأقباط فى مصر والمهجر – دار المعارف) جاء فيه، فكرة القرآن عموما عن المسيحية: "تعرض القرآن للمسيحية،

شرح كيف أنها ديانة سماوية، ديانة إلهية، أرسلها الله هدى للناس ورحمة على يد المسيح بن مريم، والمؤمنون بالمسيحية سجل القرآن أن لهم أجرهم عند ربهم، وأنهم غير المشركين وغير الذين كفروا. وقال أيضًا أنهم أقرب الناس مودة إلى المسلمين وأنهم متواضعون ولا يتكبرون .

وشخص المسيح له فى القرآن مركز كبير إنه كلمة الله وروح منه ولد بطريقة عجيبة لم يولد بها إنسان من قبل ولا من بعد، بدون أب، ومن أم عذراء ولم يمسها بشر. ومات ورفع إلى السماء بطريقة عجيبة حار فيها المفسرون والعلماء على الأرض يهدى الناس، ويقوم بمعجزات لم يقم بها أحد من قبله. وقد هدى الناس عن طريق تبشيرهم بالإنجيل. والإنجيل له مكانة عظيمة فى القرآن الذى كان مصدقًا له، وداعيًا الناس إلى الإيمان به، ولم يذكر القرآن إطلاقاً أنه نسخ التوراة أو الإنجيل بل على العكس ذكر أن المؤمنين ليسوا على شىء حتى يقيموا التوارة والإنجيل[1]" .أ.هـ.

فالإسلام يحترم ديانة الآخرين، ويساوى فى دولة الإسلام فى الحقوق بين جميع المواطنين، وقد انقسم المسلمون و جميع من دخلوا فى دينهم أو دولتهم حقوق العيش وتساوت فى بيت المال كفالة الدولة للجميع وحماية المواطنين وخير مثال ضربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تأصيل القواعد العمرانية أبان ولايته فى مجتمع يعتبر فيه الإنسان مستخلف فى ملكية الله لكل ما فى الأرض وعليها لصالح البشرية جمعاء إذ يقول: "**ما من أحد إلا وله الحق فى هذا المال، أعطه أو امنعه، وما أنا فيه إلا كأحدكم**".

و يقول : "**وإن عثرت شاه فى العراق، لسئل عمر عنها يوم القيامة**".

---

(١) كتاب الأستاذ رجب البنا (**الأقباط فى مصر و المهجر**)، ط دار المعارف ص ٣٧٢ .

والإسلام لم يمنع أتباع الأديان من حق ممارسة شرائعهم دون تدخل بل زاد على ذلك أن أعطى أهل الكتاب حق مباشرة التصرفات التى تسمح بـها شـرائعهم وديانتهم ، حتى ولو كانت تتعارض مع ما تقضى به الشريعة الإسلامية مثال ذلـك إباحة الخمر وتربية الخنزير وفى هذا الصدد كتب الدكتور يوسف القرضاوى وهـو من فقهاء الإسلام الإجلاء: "الخمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالًا منقـوّلا، ومن أتلف لمسلم خمرًا أو خنزيرًا لا غرامة عليه ولا تأديب، بل هو مثاب مـأجور على ذلك ، ولا يجوز للمسلم أن يمتلك هذين الشيئين لا لنفسه ولا لبيعهما للغير، أما الخمر والخنزير إذا ملكهما غير المسلم فهى مالًا مقومة، بل من أنفس الأموال كما قال فقهاء الحنفية ، فمن أتلفها عليه قيمتها".أ.هـ.

وقد أثبت توماس أرنولد فى كتابه **(تعاليم الإسلام)** تطبيق المسلمون لـهذه المبادئ أنه عندما بلغت جيوش المسلمين وادى الأردن واقتربوا من وادى الفـهل، فإن سكان القرية من المسيحيين كتبوا إلى العرب يقولـون: "إننـا نفضلكـم علـى البيزنطيين، مع أنهم من أبناء عقيدتنا، لأنكم تحفظون عـهودكم معنـا وتقيمـون موازين العدل بين الناس، ويعتبر حكمكم علينا أفضل من حكم غيركم، الذين اغتالوا أموالنا ونهبوا ديارنا ولقد اغلق سكان أرمه أبواب مدينتهم فى وجه جيش هرقـل، وأخبروا المسلمين أنهم يفضلون حكمهم وعدلهم على ظلم وسوء الإغريق.

وإن التزام الفاتحون المنتصرون بهذه المبادئ التى يأخذوها على عاتقـهم وتلك الإنسانية الرحيمة التى راعوها فى حملاتهم متسمة بمبادئ العدل والرحمـة التى أرساها أبو بكر فى سنوات الفتح الأولى.

فلقد عامل المسلمون الظافرون النصارى معاملة كلها تسامح استمر عـدة قرون ونستطيع أن نقول: "إن القبائل المسيحية التى اعتنقت الإسلام إنما اعتنقتـه

عن إرادة ورغبة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا الحاضر بين جماعات المسلمين لدليل واضح على هذا التسامح".

ويقول السير توماس[1]: "حقا أن الكنيسة المسيحية قويت وتقدمت فى رعاية المسلمين وحكمهم فلم يحل الحكم الإسلامى بينهما وبين الانتعاش والرقى، بل إن النساطرة لم تتفجر بينهم الحمية الدينية إلا بعد أن دخلوا فى حكم الإسلام بما لا عهد لهم به من قبل، فنشروا المسيحية تحت راية الإسلام، وبلغوا بدعوتهم الصين والهند تحت رعاية الخلفاء، وإذا لم يكن نعير النساطرة من أهل النصرانية ما لهؤلاء من النشاط والهمة فى نشر دعوتهم الدينية ، فليس هذا ذنب المسلمين ولا ذنب حكامهم، فقد كانت جميع المذاهب المسيحية تتمتع بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء بل كان هؤلاء الحكام هم الذين يمنعون اضطهاد بعض المسيحيين لبعض ويكفلون الحرية الدينية للجميع وليس أدل على دموية المسيحيين فى القرب من بعضهم البعض مثل مذبحة باريس التى ذبح فيها الكاثوليك أربعين ألفا من البروتستانت والحرب الدائرة بين الطائفتين فى آيرلندا حتى اليوم، كما أن المسيحيين البيزنطيين قد ذاقوا حد السيف على يد إخوانهم المسيحيين أبان احتلال القسطنطينية سنة ١٢٠٤م وقد عدد السير توماس حوادث النكاية بين المذاهب المسيحية وبين كيف كان الحكام المسلمون يتدخلون لإقامة العدل وإنصاف المظلومين من غير تحيز وبمنتهى التسامح ٠٠٠٠ثم يستطرد قائلا: "تحت نظام من الأمن يكفل حرية الحياة والملك والعقيدة الدينية ، تمتع المسيحيون، وعلى الأخص فى المدن، بثروات ونجاح كبير فى عصور الإسلام الأولى، فكان منهم أرباب النفوذ الواسع فى تصور الخلفاء"، وأدلك على ذلك بشواهد كثيرة وكان منهم الوزراء والكتاب وغيرهم ممن يحيطون بالأمراء أشار إلى أمثلة للتسامح فى بناء الكنيسة والإنفاق عليها فى شمال الجزيرة والعراق والشام ومن هذه الكنائس

---

(١) كتاب (انتشار الإسلام) ص ٦٠ وما بعدها٠

كنيسة (أبو سرجة) فى مصر القديمة وقد بنيت فى العهد الإسلامى الأول بمصـــــر، كما أن والى الأمويين فى العراق وفارس -خالد العشرى- بنى لأمـــه المســيحية كنيسة لتتعبد فيها فى العهد الأول للدعوة وفى الأيام الأولى للحرب بين المســـلمين والروم النصارى.

هل ترى مثل هذا فى الدول المسيحية بالأخص الغربية التى تضع القيـــود والمعوقات لبناء المساجد أو تعليم الدين الإسلامى أو فتح المدارس لتعليم العربيـــة؟ وهل رأينا مسلم يمكن آن يستوزر عندهم مهما بلغ شأنه لقد تحول كارلوس منعـــم إلى الكاثوليكية وهو مسلم ليتأهل للتقدم فى المناصب السياسية فى الأرجنتين حتـــى وصل لرئاسة الجمهورية ولو استمر على إسلامه لما أصبح شيئًا يذكر.

وفى أمريكا الشمالية نفس الوضع مشوبًا بعنصرية قاتلة يلاحقه أينما كـــان، أما اليهود الآن فالأبواب مفتوحة بلا قيود، أما المسلم فالاضطهاد الدينى الدولى لأن المسلم يجب إبعاده من قبل حكومتها فى بـــلاد تدعـــى رعايـــة حقـــوق الإنســـان والمساواة، قوّلا لا فعّلا، لأن معاييرها مزدوجة القياس، ملونة التطبيق .

وفى الإسلام منذ عصوره الأولى معاوية يعيين آل سرجون النصارى فـــى وظائف هامة، وكان منصور بن سرجون وزيرّا، وعيين ابن أثال عامّلا على ولاية حمص، وعدد من مستشاريه من الموارنة .

وكان دير السلطان فى القدس: "مملوكًا لأحد السلاطين المســـلمين وأهـــداه صلاح الدين إلى أقباط مصر بعد انتصـــار المصرييـــن مســلمين وأقبـــاط علـــى الصليبيين، وقام أقباط مصر بتحويل هذا الدير إلى دير السلطان".

وقد ذكر الدكتور إدوارد الذهبى نماذج للوحدة الوطنيـــة فـــى مصـــر أن مطرانية أبو تيج كـــبرى مطرانيـــات أســـيوط بنيـــت علـــى أرض تـــبرع بـــها

المرحوم محمد بك همام من أعيان قرية النخيل وقد بنيت الكنيسة المرقسية بالإسكندرية فى ولاية عمرو التالية وفى خلافة معاوية . كما أن جامع أحمد بن طولون من تصميم مهندس معمارى مصرى قبطى والأمثلة كثيرة ومتعددة عن سماحة الإسلام .

ويقول جوبين فى كتابه (تدهور الإمبراطورية وسقوطها): "لقد منح محمد لمن أظلهم حكمه من غير المسلمين الآمان فى أشخاصهم والحرية فى تجارتهم وملكية أموالهم؛ والحرية فى عبادتهم".

ويقول الدكتور روبرت بريفولت: "إن الحكومة الدينية – يقصد العالم الإسلامى– لم تكن أمة متعسفة ولا متعصبة فلا إظلام ولا منع لحرية الفكر، ولا محاربة لمواهب العلم وثورة البحث والمعرفة، على العكس من طابع العالم الأوربى والإغريقى والرومانى".

ولقد دخل المسلمون إلى فلسطين ولكنهم لم يرغموا أحدًا من اليهود أو المسيحيين على تغيير دينهم ، لكن بالتدريج بدأ التحول إلى الإسلام، وبسرعة أصبحت اللغة العربية أوسع اللغات إنتشاراً وفى القرن الثالث عشر أصبح الإسلام ديانة الأغلبية[١]".

ويقول موير: "إن سماحة الإسلام مع أبناء الشعوب المغلوبة فى الحرب وعدلهم ونزاهتهم ومثاليتهم يكشف الصورة العكسية لطغيان الرومان ومعصيتهم ، ولقد تمتع المسيحيون فى الشام بمزيد من الحرية

---

(١) كتاب (**الاختراق الصهيونى للمسيحين**)، للقس أكرم لمعى، ص ٥٩ ط دار الشروق .

تحت حكم الفاتحين العرب، أكثر مما وجدوه منها تحت حكم هرقل، لم تكن لديهم ادنى رغبة فى العودة إلى الدولة السابقة على حكم المسلمين".

وقد قرر ذلك أيضا السير توماس أرنولد حيث يقول: "لقد تمتعت الكنائس المسيحية المختلفة بعهد من الحرية والتسامح الدينى فى القرن الأول لحكم العرب، الأمر الذى لم يكن معروفا من قبل لأجيال طويلة فى ظل الحكم البيزنطى".

ويقول بربا ديوك: "إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم فى الدنيا بنفس السرعة التى نشروها سابقا إذا رجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حينما قاموا بدورهم الأول لأن هذا العالم المادى لن يستطيع أن يقف أمام حضارتهم".أ.هـ.

فالذين يسبون الإسلام أو يسيئون إليه أو ينتقدونه من واقع الإلحاد أو التحدى أو الكراهية من الغرب أو المستشرقين أو المتغربين من أبناء جلدتنا لا عبرة بقولهم لأن لهم دوافعهم وهى تحطيم الهوية العربية الإسلامية لغرض الهيمنة والسيطرة على عالمنا الخاص ونشر صورة مشوهة عن الإسلام مليئة بالمغالطات فى الجانب المعنوى، أما فى المجال السياسى والثقافى لهذه الحملة اللادينية المحمومة فلأمر أشد خطورة، وقد نشر الأستاذ خورشيد أحمد قوله[1]: "ففى اليونان أبيد شعب وريا عن أخره وحتى النساء والأطفال والشيوخ ولم يبق منهم أحد فقد أفنى أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ (ثلاثمائة ألف) شخص تماما ، وفى أسبانيا وصقلية وكان يذبح المسلمون كالبهائم ولم يترك مسلم واحد حيا أو غير منفى خارج البلاد ، وفى دول البلطيق تحول المسلمون من أكثرية إلى أقلية ، باستخدام الإرهاب والتعذيب

---

(١) كتاب (**الإسلام والتعصب**)، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ص ٤٥.

المستمرين ، وفى اليونان دمرت جميع المساجد وأغلقت نهائيًا، وفى فلسطين طُـرد شعب كامل ليحل محله مجموعة من اليهود من روسيا و أوروبا الشرقية ومن شتات اليهود فى العالم بدعم أمريكى يفوق الخيال من شعوب ومعونات مالية واقتصاديـة وتكنولوجيا متطورة فى مواجهة الدول العربية والعالم الإسلامى قاطبـة ، ومـهما بلغت إسرائيل فى انتهاك حقوق الإنسان أو القتل والتقتيل فى العرب والعدوان علـى دوله أو شعوبه، فحماية الفيتو الأمريكى فى مجلس الأمـن إزاء أى قـرار يديـن انتهاكاتها لحقوق الإنسان مع أن التاريخ لا يعرف دولة أخرى أقحمت علـى أرض وشعب وحلت محله على أساس عنصرى يرفض الإعـلان بأيـة حقـوق قوميـة لأصحاب البلاد الأصليين استهدف اقتلاع شعب من المسـلمين والمسـيحيين مـن أرضه ومزارعه ومنازله واستخدمت ومازالت تستخدم ضده أفظع وسـائل القـوة العسكرية وتحويله إلى لاجئين وتشريده فى أنحاء العالم فى تحـد سـافر للقـانون الدولى ومواثيق حقوق الإنسان غير حماية أمريكا المطلقة ووضع الشعب الفلسطينى بمسيحييه ومسلميه فى السجن الكبير وإخضاعهم لتشريعات جائرة تصادر أراضيهم و أملاكهم لإقامة مستوطنات لحفنة من اليهود تمارسه السلطات الإسرائيلية للاعتقال الإدارى وهدم المنازل والإبعاد والعقوبات الجماعية وإسـرائيل وحدهـا دون دول العالم التى أصدرت قانونا يخول للسلطة تعذيب الفلسطينيين دون تفرقة بين مسـلم ومسيحى وتجعله وسيلة مشروعة لانتزاع اعترافاتهم ولن تتغير هذه المأساة طالمـا ظلت إسرائيل تتمتع بمساندة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد بلغت الوقاحة بـأحد وزرائها(شارون) بتهديد الفلسطينيين بالاغتيال دون أن يزعج ذلك وزارة الخارجية الأمريكية أو أى مسئول أمريكى ولو صدر هذا التصريح من عربى لقامت وسـائل الإعلام بذبح العرب وانتهاكاتهم ووصم دينهم بالإرهـاب والرجعيـة والبربريـة، ولأصدر الكونجرس الأمريكى قانونًا بمحاكمة العرب البرابرة عن هذه الأقوال، أننا نغتال بأعلامهم كل يوم بل كل ساعة ولا نحرك ساكنًا واستمرأنا المذلة ويكفى أنهم قتلوا الوسطاء الدوليين أمثال لورد موين وبرنادوت ولم يحاسبهم المجتمع الدولى بل

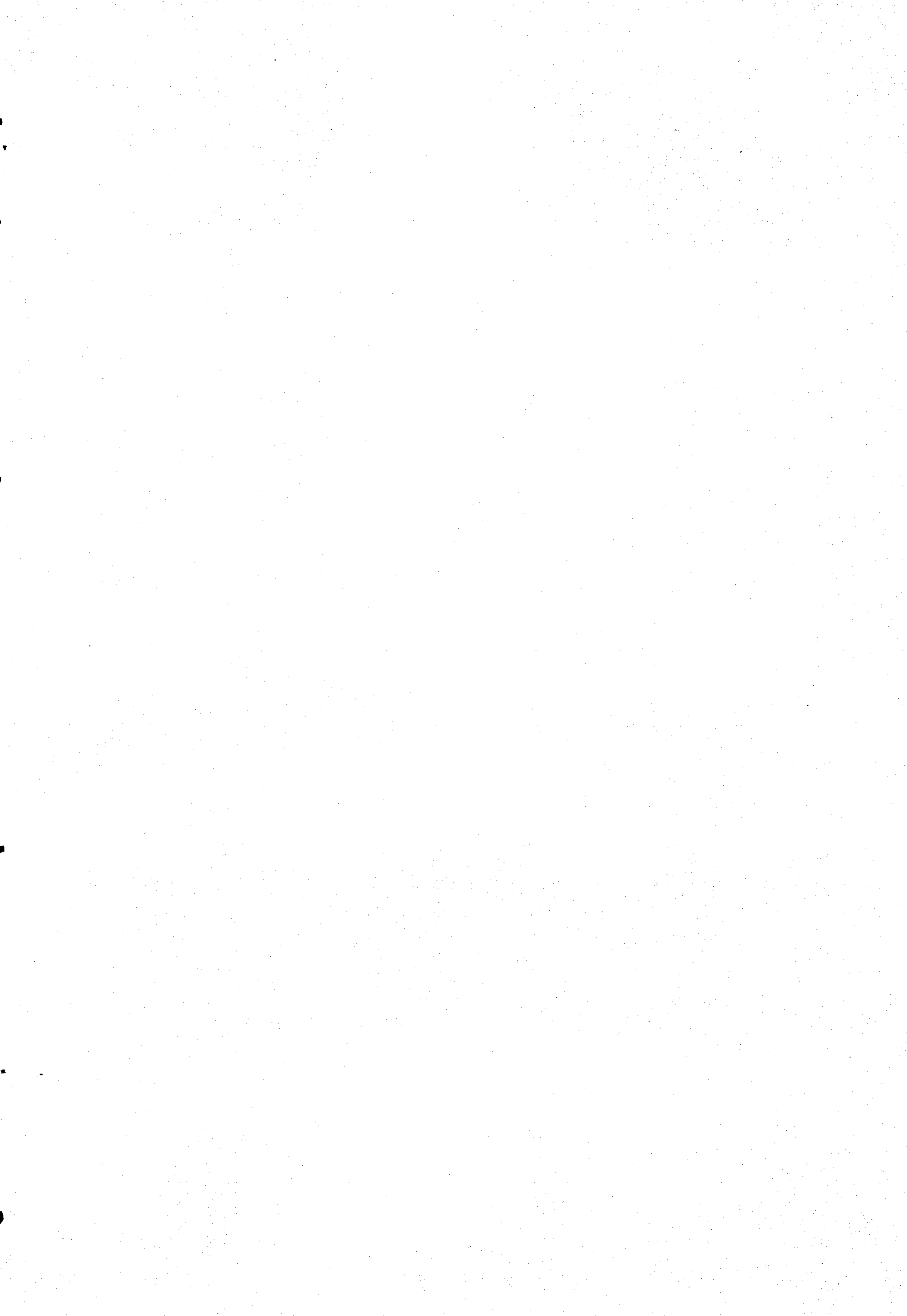
تولى بعضهم رئاسة الوزارة فى إسرائيل واستقبلوا فى الغرب كقادة أشراف وقد تناس اليهود أنهم فى العصور الوسطى وما تلاها كانوا فى حماية الدول الإسلامية ولا أدل على ذلك من اضطهاد الغرب لليهود الذين استوطنوا أسبانيا منذ عهد ملوك القوط (الوثنيين) وبعد دخول المسيحية لأسبانيا واجهتهم المصائب ففى سنة ٣٠٣ صدر نداء من المجلس الكنسى يدعوا إلى عدم الاختلاط باليهود فى المسكن والمأكل ثم فى عام ٥٨٩م فى بلدة طليطلة صدرت قرارات المجلس الكنسى دعت إلى منع المسيحيين من إسناد أى أعمال إلى اليهود ثم فى القرن السابع منعوهم من أداء شعائرهم ثم صدر قرار يلزم كل يهودى بالتحول إلى المسيحية وأعطوهم مهلة سنة للتحول أو ترك أسبانيا، ومن بقى منهم بعد المهلة ألزموهم بتسليم أبناءهم من سن السابعة إلى الكنيسة لتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية وفى سنة ٦٥٣ صدر قراراً من الملك بقتل أو حرق كل من لا يؤدى منهم الشعائر المسيحية وفى أواخر القرن السابع صدر أمراً ملكيًّا بتسليم اليهود سواء من اعتنق المسيحية أم لا ليصبحوا عبيد ووزعت أملاكهم على أسيادهم الجدد، إلى أن جاء الفتح الإسلامى وحررهم وبدعوا العصر الذهبى لليهود فى الأندلس إلى أن طردوا من أسبانيا سنة ١٤٩٢ بأمر إيزابلا وفرناندو ملكى أسبانيا بعد سقوط غرناطة أخر معاقل المسلمين فى أسبانيا وقد قبلهم سلطان تركيا البلد الإسلامى، وقد احتوى سجل التاريخ على مآس محاكم التفتيش للمسلمين واليهود والعلماء من إحراق بالنار إلى الرمى فى الزيت المغلى، وإخراج الأظافر وتقطيع أجزاء الجسم قطعة قطعة وقد عذب ونكل بهم وقتلوا وأُحرقوا وأُبيدو فى أسبانيا وصقلية فقد كان التنكيل والحرق والشنق فظائع تقشعر لها الأبدان وكل ذلك باسم الدين، واعتذرت مؤخرًا أسبانيا لليهود وحدهم عما لحق باليهود من جرائم فى أسبانيا ومازال دم المسلمين الذى أهدر بوحشية بلا اعتذار مع أن حضارة أسبانيا قامت بالإسلام ويبدو أن المسلم دمه مستباح، أما اليهودى وبعد قرون يعتذر له عن مساوئ الجرائم التى ارتكبت فى حقه، أما شعب فلسطين أو شعب البوسنة أو شعب كوسوفا أو الهند أو كشمير أو

مسلمى الصين والفليبين أو غيرها من الأماكن التى تشهد التنكيل فى هـذا العصـر بالمسلمين لا تجد إلا السكوت عما يرتكب فى حقها من جرائم لأنهم يعتبرون فـى نظر الغرب وأمريكا الهنود الحمر لهذا العصر والذين مـا زالـوا تحـت سـطوة الأمريكى الشمالى والجنوبى من عالم آخر ليس له الحق فى أن يحيا حياة السـيادة إنما يجب أن يظل عبدًا لأسياده المسيطرين على القوة والسطوة فى العالم الجديـد وقد غفر الغرب المسيحى بزعامة أمريكا لليهود منذ تعرض المسيح للصلب علـى يدهم ، وأصبح الغرب تحت السطوة اليهودية المالية والإعلاميـة يحصـر عدائـه للإسلام وحده حيثما وجد وأينما كان ، رغم أن إسرائيل تحكمها عصابة إرهابيـة تمارس الاغتيال ويلقى الموساد معاونة أجهزة المخابرات الغربية وفضائحه تزايدت علانية فى الأردن وسويسرا ثم بريطانيا فى انتهاك صارخ لسيادة الدول، ولا تدرج إسرائيل ضمن الدول الممارسة للإرهاب فى نظر الحكومة والكونجرس الأمريكـى، ويقتصر الجدول على الدول الإسلامية – **إيران** ، **العراق** ، **السودان** ، **ليبيا** – ثـم أية دولة أخرى إسلامية ترفع صوتها سوف تدرج ضمن الدول راعية الإرهـاب، والجديد الآن قانون الاضطهاد الدينى الذى أصدره الكونجرس الأمريكى لإرهـاب باقى الدول الإسلامية، ويتغافل الكونجرس عن الدولة العنصريـة التـى تضطـهد المسيحية والإسلام معًا فالكنيست الإسرائيلى أصدر فى سنة ١٩٨٦ قانونـاً بـأن إسرائيل دولة الشعب اليهودى والأديان الأخرى وبعض مواطنيها مـن مواطنيـن الدرجة الثانية.

وإننا لا نغفل فى هذا المقام دور أبناء جلدتنا مـن المسـيحيين الشـرقيين ودورهم التاريخى غير المنكور أو المجحود، وكما قال الدكتور وليم سـليمان فـى تعليق له فى إحدى الندوات بقوله: "إن المسيحيين فى المجتمعات العربية قاموا بدور أصيل ، ليس فقط بمواجهة الاستعمارات، ولكن منذ بدء دخول الإسلام إلى مصر.

يكفى أن تقرأ كتاب عبد الرحمن بن عبد الحكم أول مؤرخ إسلامى للفتح الإسلامى إلى مصر، وما كتبه عن قبط مصر ، وكان يكتب بعد قرنين من الفتح ، لقد كان بطبيعة الأمر يسجل كيف عاش المصريون جميعًا خلال هذين القرنين.

ومن واقع تاريخ مصر أعتبر الإسلام نقلًا عن عبد الله بن عمر: "قبط مصر أكرم السكان خارج الجزيرة العربية، وأسمحهم وأفضلهم عنصرًا. هذا إنصاف لقبط مصر لم تصفه الإرساليات المسيحية".



الفصل السادس

حقيقة الإسلام

- دين سماوى واحد
- التوراة والإنجيل والقرآن
- الدين والسلوك الإنسانى
- دين كامل وشريعة شاملة
- الإسلام في مكة
- العبودية
- الذاتية الإسلامية
- السلوك المطابق للقرآن
- الدعوة بالحسنى في البدء والصبر علي الإيذاء
- **الخلاصة**

دين سماوي:

تخاطب الرسالات الإلهية فى الإنسان فطرته التى فطره الله عليها، إنها كلها تمجد الحق والعدل ، وتحارب نزعات الانحراف والفساد بلا عصبية لجنس أو لون ولا امتياز لأمة دون أمة إلا بالتقوى والعمل الصالح، فى إطار من توحيد العقيدة، وهى جوهر الرسالات السماوية، فقد دعى الرسل والأنبياء إلى دين واحد مصدره الإله الواحد بأغراض وأصول وأهداف واحدة .

فدين الله لم يختلف من زمن نوح، فرب نوح هو رب إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وسائر الرسل، والبشر هم عباد الله سواسية أمامه فى عدله وأحكامه . فقد أستخلف الإنسان فى الأرض فكانت خلافته للبشر كافة ، ومن عمل عملًا صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وقد جاء عن رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع: "**يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، وكلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب**[١]".

والحديث :-

"**لن تؤمنوا حتى تحابوا ولكم ما تحابون عليه، أفشوا السلام بينكم والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا فقالوا يا رسول الله أكلنا رحيم، قال لا: إنه ليس برحمة أحدكم خاصة ولكن رحمته العامة، رحمته العامة**[٢]".

---

(١) أخرجه (**مسلم في صحيحه**)، كتاب الحج.

(٢) أخرجه (**مسلم في صحيحه**).

فالدعوة إلى توحيد الله هى دعوة سماوية نزل بها الوحى على الرسول لا تختلف من رسول إلى رسول وفى جوهرها واحدة على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد فهى أساس العقيدة المنزلة على كل الأنبياء والرسل بخلاف التشريع الذى ينظم حياة الجماعة فهو يتطور ويتغير على أيدى الرسل وفقا للزمان والمكان ومصلحة البشرية فالاعتراف بالوحى على عيسى وهو رسول يلزمنا بالاعتراف بالوحى على كل رسول إذ لا تفريق بين الرسل، والإيمان ببعضهم دون البعض رأى يسنده منطق سديد و رأى صحيح وأيد ذلك القرآن بقوله تعالى: "**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير(٢٨٥)** ٠[البقرة]٠

فالرسول ﷺ والمؤمنون من أمته لا يكمل لهم الإيمان إلا إذا آمنوا بالله والملائكة و بالكتب السماوية المقدسة التى نزلت جميعا قبل نزول القرآن [١] والرسل المنزلة عليهم وغيرهم من الرسل البشرية لا تفريق بين رسول ورسول، فكلهم رسل الله إلى البشرية جمعاء يحملون رسالة واحدة من مصدر واحد تربطهم وحدة المصدر والهدف . فكل الأديان السماوية صدرت عن الذات الإلهية لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وليعلم الناس الكتاب والحكمة فى تتابع زمنى وتسلسل مرحلى بعثة للأنبياء والمرسلين فدين الله واحد وشرعه واحد.

قال الله تعالى: "**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا**

---

(١) كتاب (محمد رسول الله)، بشرى زخارى مخائيل، ط الثالثة دار الكتاب ص ٩٨ ، ٩٩

تَتفرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ(١٣)". [الشورى].

فالرسالات السماوية الثلاثة تؤمن بوجود الله والجن والملائكة ونزول الكتب السماوية على أنبيائهم بوحى من الله وأن الرسل مبعوثو الله إلى الأمم ليؤمنوا بالغيب والقيامة يوم الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار والقضاء والقدر والاختلاف بينهما فى العبارات لا القيم الأخلاقية الحميدة كالصدق و الأمانة والزهد و غيرها، وفى الإسلام لا يؤمن المسلم إلا إذا قال قوله تعالى: "قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(٨٤)". [آل عمران].

و قد جاء فى الحديث:

"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا أمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهاكم واحد[١]".

التوراة والإنجيل والقرآن:

يحوى القرآن الأصول الصحيحة التى جاءت بها الشرائع السابقة عليه والكتب المنزلة وهى التوراة والإنجيل قبل تحريفهما وإدخال ما ليس منهما فيهما قال الله تعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

---

(١) أخرجه (البخاري في صحيحه)، و(مسلم في صحيحه كتاب الفتن).

عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٤٨)". [المائدة].

"قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن أمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل". [المائدة].

أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٦٥)وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ(٦٦)". [المائدة].

"قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(٦٨)". [المائدة ٦٨].

"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(٦)". [الصف].

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)".[البقرة].

وفى هذه الآيات نجد أن الإسلام هو أقدم الديانات لأنه دين الفطرة، ويعنى التسليم لله الواحد الأحد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، و لم يكن له كفوًا أحد، لهذا فهو دين التوحيد وإن كانت رسالة محمد ﷺ خاتم الأنبياء و أخرهم فالإسلام لا يشجب الرسالات الأخرى كالنصرانية واليهودية وإنما تبنى رسالته على أساس الرسالات السابقة عليه يعترف بجوهرها، ويؤصل رسالة التوحيد، ويشيد بأنبيائها، وقد وصفه (باول شفارترناو) أنه: "رسالة الوحى إلى الناس كافة فى المعمورة كلها".

الدين و السلوك الإنسانى:

فالدين لا يترك خلق الإنسان بلا توجيه أو ضوابط تحكمه لأنه مكمل للعقيدة والإيمان بها لأنه ينشد الخير للإنسان، لذا توصى جميع الرسالات السماوية بسلوكيات أخلاقية تكاد تكون واحدة وتجمع عليها كالصبر والوفاء بالعهد والتحية والاستئذان فى دخول المساكن وإيتاء ذى القربى والسائل والمحروم ورعاية اليتامى والأقربين والمساكين وحق الجوار وابن السبيل والصدقة التطوعية والعدالة الاجتماعية فى أموال الأغنياء وكل ما يتعلق بحياة الإنسان مما يبنى الحياة الإنسانية السوية بما لا يجافى طبائع الإنسان .

ففيها الدعوة إلى الصلاح والأخوة الإنسانية فلا تفرقة بسبب الجنس أو اللون أو النسب، دعوة إلى الحب والخير، إلى الحق والعدل والرحمة ومكارم الأخلاق، فالروابط بين الرسالات السماوية الثلاثة قوية لأنها من منبع واحد

مصدرها الوحى الإلهى المنزل على رسله جميعًا وأنبيائه على مر العصور والأزمان فى تسلسل رائع مكمل لبعضه البعض متدرجًا بالإنسان إلى أن يصل إلى أسمى الغايات الإنسانية لخير البشر جميعا دون تفريق من التوحيد للذات الإلهية والعبودية له وحده مما يرتفع بالإنسان من أن يستعبد لملك أو قائد لأنه مرتبط بالتوحيد للذات العليا.

فشرع الله واحد وهو ما وصى به الأنبياء جميعًا وهنا تكمن المساواة بين الجميع فالدين يرتبط بمبادئ الأخلاق والسلوك واحترام الكرامة الإنسانية فى إطار من المساواة والعدالة الاجتماعية. ومكان الوحى الإلهى فى هذه المساواة أنها قد شرعت للإنسان شريعتها حقًا من حقوق الخلق والتكوين ولم تشرعها وسيلة من وسائل الحكم وإجراء من إجراءات السياسة فى إبان الخطر المطبق على النفوس وتنافسا فى عدد الأصوات فى معارك الانتخابات، فإن أحدًا ممن خولهم القرآن هذه المساواة لم يطلبها، ولم يكن لينالها قبل أن تتزل عليه من وحى رب العالمين فليس الأمر نتيجة تطور أو صراع طبقى أو قدرة اجتماعية أو سياسية أو ضغط جماعات أو نقابات إنما جاءت وحياً من عند الله تعالى، فقيم الفكر الإسلامى مستمدة من الإسلام فالصدق والأمانة والمروءة والعدل والشجاعة والرحمة والحياء وغيرها قيم لا تتغير بتغير الزمان والمكان، فالعدل قيمة سامية لا تتأثر بالمصلحة والمنفعة أو الهوى حتى مع الوالدين والأبناء والأقربين [1] ويقول الله تعالى :

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا(١٣٥)".[النساء].

---

(١) كتاب (الإنسان والقرآن)، عباس العقاد ص ٦٢

هل فيما ورد فى هذه الآية خلاف بين الرسالات أم أنها التطابق التام الكامل فى كل شيء فما هو الفرق بينهما فى ذلك ؟ ... لا شيء! ألا يدل ذلك على وحدة الوحى الإلهى المنزل على سيدنا محمد كما نزل على سيدنا عيسى وموسى.

إن الله يدعونا إلى التركيز على الأوامر والأحكام وينهنا عن ترك المقاصد التشريعية العامة من الفتيا أو خوف الله أو عدم التيسير ودفع الحرج، وإهمال القواعد والمقاصد، حيث يؤدى ذلك بنا إلى عدم الاهتمام بالدين ونظرتنا إليه نظرة سطحية، وترك القيم الدينية و الإسلامية الحقيقية فالصلاة و العبادات آيا كانت فى أى دين يجب أن لا تتحول إلى هدف فى ذاتها واعتبارها الوسيلة الوحيدة للتقوى فهى ليست رياء ونفاقًا فهذا إفساد للدين إنما يجب حقًا إلا نتركها لأنها وسيلة الصلة بالله رب العباد، إنما يتعين فى الوقت ذاته ألا نهتم بالمظاهر والشكليات ونبتعد عن الجوهر الحقيقى للدين وهو معاملة الآخرين والعلاقات الإنسانية والقيم الأخلاقية والسلوك السوى .

هذه كلها أمور من صميم الدين ووسيلة للارتقاء بالإنسانية يجب ألا نهدرها و نهمشها، فلا معنى لإقامة الصلاة دون صلة رحم أو مراعاة حق الغريب، ومنها إيواء المسافر الذى لا يجد مأوى ومن حقه علينا الضيافة، فقد تحدثت الرسالات السماوية كلها عن ذلك كما تحدث القرآن عن العدالة الاجتماعية وأكد أن الأمر ليس صلاة فقط، ولكنه جماع سلوكيات وأداء العديد من القيم وقد صدق قول الله فى كتابه العزيز:

"لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ(١٧٧)".[البقرة].

وفى الحديث : -

" **الناس شركاء فى ثلاث الماء، والكلأ، النار**[١]"

فهل تحمل القوى الإنتاجية للبشرية جمعاء الطاقة والإنتاج والقوى التى تدير المجتمع البشرى وتيسر الحياة على الأرض فى أى مجتمع؟ وفى أى مكان؟

وهذا هو شرع الله الذى يجب علينا جميعًا الالتقاء حوله والعمل عليه وفى ذلك إرضاء للدين والديانة فالفرد والجماعة الإنسانية كلها مرتبطة بالله خاضعة لحكمه متحررة من الخضوع لشهوة أو فرد أو جماعة.

قال تعالى:"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(٨)" ٠[المائدة]٠

فالقيم الدينية واحدة فى الإسلام، وقد أرسى قواعدها كتاب الله والسنة النبوية، لأنها منبعثة من كماله المطلق وقدرته وعظمته ورحمته ونعمته كالعدل والحق ، والخير وهذا تراث مشترك بين الشرائع والصعيد الذى يلتقىَ عليه البشر على اختلاف أجناسهم ودياناتهم [٢]٠

---

(١) أخرجه (أبو داود)٠

(٢) (دراسات فى الفكر الإسلامى)، الطبعة الأولى ١٩٨٦ د ٠ إبراهيم زيدان الكيلانى، وآخرين٠

دين كامل وشريعة شاملة:

الإسلام أن يسلم الإنسان لربه بالكلية بغير شريك أو بديل أو مزاحم. ولهذا يصف القرآن الأنبياء السابقين ومن اتبعوهم بأنهم مسلمون وأمثلة ذلك وفيرة فيه.

فعن إبراهيم يقول الله: "**قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين(١٣١)ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون(١٣٢)**". [البقرة].

وهذه ملكة سبأ تقول: "**قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين(٤٤)**". [النمل].

ويوسف يقول : "**رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين(١٠١)**". [يوسف].

و حوارى عيسى يقولون: "**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون(٥٢)**". [آل عمران].

حتى الجن يقولون: "**وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا(١٤)**". [الجن].

فلما اكتملت الرسالة من خلال العديد من الأنبيـــاء، ونضجـت الإنسـانية وصارت أهلا لتلقى الصيغة الختامية بعث الله خاتم المرسلين سيدنا محمـــد عليــه الصلاة و السلام ليكمل لنا الدين فى صورته النهائية إلى أن نلقاه وقال:

"حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير اللـه به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا مـا ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكـم فسـق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشـوني اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسـلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فـإن اللـه غفـور رحيم(٣)" ٠[المائدة]٠

فالإسلام من الرسالات السماوية ، ورسالته نزلت على سيدنا محمد ﷺ مـن رب العالمين وإن شكك فيه بعض المستشرقين تعصبا وكرها للإسلام والمسـلمين ولمحمد النبى وصبغه بأصباغ من الهوى والتهافت والتعصب والتـواء الأسـلوب وانحراف النهج واغتصاب الدليل بخلاف الإسلام الذى لم ينكر كديـن سـماوى سائر الشرائع السماوية والرسل إنما ربط إيمان المسلم بتسليمه المطلق بالرسـالات والأنبياء قبل الإسلام ، فالإسلام لم يرد فى القرآن ولا فى السنة أنه دين منفصـل عن الأديان الأخرى أو أنه مغلقا على أتباعه ومتعصبا لآرائه إنما تضمن كتـاب الله أنه جزء من الرسالة الإلهية مكملا لها و لا يخرج عليها شاهرا سيفه و قد قـال الله تعالى: **"قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينـا ومـا أنـزل إلى إبراهيـم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما**

أوتي النبيون من ربهم لا نفـرق بيـن أحـد منـهم ونحـن لـه مسلمون(١٣٦)" ٠[البقرة]٠

إذا فالمسلم يجب عليه من مقومات الإسلام وأركانه الإيمان بالله وملائكتـه ورسله السابقين على سيدنا محمد ﷺ بصريح النص القاطع فـى دلالتـه فشـرط الإسلام الإيمان بما سبق من الرسل والرسالات السماوية السابقة علـى الإسـلام ومنها التوراة والإنجيل واليهودية والمسيحية لأن الرسل جميعا يحملون رسـالة الله رب العالمين .

قال تعالى: **"لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والمـيزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للنـاس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قـوي عزيـز(٢٥)"** ٠[الحديد]٠

وقال: **"إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلـا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فـإن اللـه سريع الحساب(١٩)"** ٠ [آل عمران]٠

فالإسلام دين يجمع كل الرسالات فى رسالته ويوحدها لا يفرق بينها فمـن آمن بالله وكان يهوديا فى عهد موسى أو نصرانيا (فى عهد عيسى) بل أولئك الذين لم يرسل لهم رسول فعبدوا مظاهر الطبيعة، على أنها أعظـم مخلوقـات الخـالق الأعظم، كل هؤلاء ما داموا قد آمنوا بالخالق الأعظم وآمنوا باليوم الآخر وعملـوا الأعمال الصالحة فإن الله سيتقبل منهم ويحسن جزاءهم ولا يمسهم خوف أو حزن،

ما داموا لم ينكروا أحدا، من رسل الله ، فالإيمان بالله يستلزم الخضوع لأوامره ونواهيه ومن أهمها الإيمان برسله. ولا يمكن أن يكون هناك إيمان بالله مع التكذيب برسول من رسل الله، ولهذا فكلمة الدين لم تأت فى القرآن بصيغة الجمع (أديان) على الإطلاق لأن رسالته واحدة فالدين الكتابى متواصل لأنه شرع الله مهما تعددت رسالته ورسله فما تلقاه خاتم الرسل هو فى جوهره ما تلقاه الرسل من قبلى، وقد جاء عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **"الأنبياء أخوة تعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى[1]".**

وفى شرح هذا الحديث نقل الدكتور أدوار غالى الذهبى فى كتابه القيم "معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ص ٨١، ٨٢ عن الشيخ المرحوم أحمد حسن الباقورى[2] قوله: "العلات عبارة عن الزوجات المتعددات لرجل واحد وهن جمع تعلة (بفتح العين أى ضره) ورسول الله ﷺ يقرر فى هذا الحديث أنه مع سائر الأنبياء المرسلين أخ لأخوة من أب واحد وأمهات مختلفة فجعل عليه السلام وحدة الدين بمنزلة وحدة الأب وجعل اختلاف الشرائع باختلاف الأمهات واختتم فضيلته رحمه الله شرحه بقوله: "يطيب لمن يتأمل أن يتمنى أن يتمثل المتدينون فى سائر الأرض لكل جوانب الدنيا أنهم أخوة فى الدين وإن اختلفت بهم شرائع رسلهم وأنبيائهم فإن تمثلوا هذا المضمون وأدوا حق هذه القرابة الدينية فإنهم يبتعدون بغير شك عن التعصب المهلك والاستغلال الدنئ وسوف يجمع هذا المعنى الجليل كلمتهم وعلى أن تسود الأرض كلمة السماء وهذا مجمل ما أوردته الآية :

---

(١) أخرجه(**مسلم في صحيحه**).

(٢) كتاب (**قطوف من أدب النبوة**)، للشيخ أحمد حسن الباقورى **كتاب اليوم** ص ٧٧ .

"إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٦٢)". [البقرة].

فهى تقرر قاعدة كلية هي **وحدة الرسالات ووحدة الخالق**، الذى بعث الأنبياء برسالته الواحدة بشرائعها المختلفة ومنها الإسلام لأنه دين عقيدته التوحيد ورسالته إنسانية أساسها وحدة الإنسان لبناء المجتمع على مبادئ عامة قوامها العدل والحفاظ على الحريات الأساسية والمبادئ الأخلاقية والغايات الروحية والمحافظة على حرية الحوار وحرية الفكر والشورى . فالدين عامل أساسى فى تكوين المجتمع بقيمه وروحانيته ينظم السلوك البشرى لتكوين الإنسان السوى فغياب الجانب الإنساني فى التنمية يؤدى إلى الضياع والجبن فالدين يعد الجانب المعنوى الذى يحقق الجانب الإنسانى الذى يصحح العمل بتربية الضمير وتهذيب النفس .

ووحدة العقيدة فى الرسالات السماوية أكدتها الآيات القرآنية فى عديد من السور: **"ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم(٤٣)"** . [فصلت].

قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون(٦٤)". [آل عمران].

"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين(١٢٥)" ٠[النحل]٠

"ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون(٤٦)" ٠[العنكبوت]٠

فالدين الذى طلب الله تعالى من الأنبياء أن يقيموه، ولا يتفرقوا فيه جاء فى قوله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب(١٣)وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب(١٤)" ٠[الشورى]٠

ومن الثابت أن الكنائس المسيحية لا تعترف بسهولة بالشعائر اليهودية والوثنية التى تتضمنها طقوسها، إلا أن الإسلام يعترف بالأصول القديمة لشعائرها، فالرسول لم يدع مطلقا بأنه جاء بدين جديد وإنما كانت رسالته هى تجديد لدين الله الواحد والتسليم والخضوع لرب العالمين وهو دين الإسلام منذ سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء و الذين تولوا من نسله إلى أن كان خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ وهو ما كبر على اليهود والمشركين أن يدعوهم إليه، بالاستسلام لله وحده إيمانا

بعقيدة التوحيد فالدين الذى أرسل به الأنبياء ليقيموه فى الدنيا ولا يتفرقوا فيه هو التسليم برسالة السماء؛ فهو الدين الذى يعترف بالجميع و يتواضع للأنبياء كلهم، لأنه مكمل ومتمم للرسالات الإلهية و لهذا سمى بالإسلام لأنه تسليم مطلق للإله رب الجميع، لا فرق بين دين ودين فى معرفة الله وتوحيده كما جاء فى الذكر الحكيم فى كتابه المنزل القران الكريم متضمنا شريعته السمحاء؛ ولا يقدح فى ذلك تزييف الحقائق و الافتراء على التاريخ ممن يتصدون للإسلام بمفتريات يغلفها الهوى والزيغ ، ولوى الحقائق وطفح الأكاذيب من بعض أعداء الحقيقة والعدالة والصدق.

وهذا لا يدعوا المسلمين إلى التعصب والابتعاد عن الطريق السوى بالمواجهة بالدليل القوى المستمد من المنهج الصحيح فى التعامل مع الحقائق مجردة من الهوى أو التلوين، لأن منهاجنا هو الإسلام ورسالته، المنهاج الذى يبنى على أسس دينية تشمل مجموعة من القواعد التى تنظم الحياة الإنسانية فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فالعقيدة الخاتمة للرسالات السماوية عندها عطاء كامل للإنسان فى كل مجالات الحياة و تقوم على الضمير، فالإسلام يدعوا إلى التقدم فى الحياة وكما قال الملك حسين فى إحدى لقاءاته –التقدم بالإسلام-: "وليس كما يدعى بعض الجهلة بالإسلام أن الصحوة تعنى الرجوع إلى مزوالة الحياة كبدائيتها، وهجر مستجدات الحضارة الحديثة من عمارة وصناعة وعلم وفن فالإسلام وكتابه لكل العصور، فالإسلام يتسع لعشرات الصور من ألوان الحكم الذى يتفق والمستجدات فى كل زمان ومكان، فكتاب الإسلام قد احتوى على عديد من الفضائل، وليس كل ما فيه كلاما عن الفرائض والشعائر، وإن الفضائل التى يحث عليها المسلمين من أجل الفضائل وأرجحها فى موازين الأخلاق، وتتجلى هداية الكتاب فى نواهيه كما تتجلى فى أوامره فلا يجوز للمسلم أن يشرب الخمر ولا أن يقامر ولا أن يعتدى ولا أن يستسلم للترف والرذيلة "

ويستطرد الكاتب قائلا:

"إننا إذا نظرنا إلى مجال الإسلام الواسع فى مجالات العقائد الدينية والواجبات الدينية والفضائل الدينية لم يكن فى وسع أحدا إلا أن يعتبر محمدا ﷺ نبيا مصلحا موفقا، لأنه كما قال بعض الكتاب وجد مكة بلدا مادية تجارية تغلب غليها شريعة الكسب المباح و غير المباح، ويمتلئ فراغ أهلها فى الخمر والمقامرة والفحشاء، ويعامل فيها الأرامل و اليتامى وسائر الضعفاء كأنهم متاع، فإذا بمحمد ﷺ قد جاءهم بالهداية إلى الله و إلى سبيل الخلاص، وغير مقاييس الأخلاق والآداب فى أرجاء البلاد العربية [1] ".

الإسلام في مكة :

لقد أنزل القرآن فى البدء مخاطبا الإنسان بعد المسيح بحوالى ٥٦٠ سنة ميلادية وكانت رسالته ونزول الوحى الإلهى على محمد ﷺ مسلما بكل الكتب السماوية السابقة على القرآن والقرآن معاصر لنزول الوحى وكتب فور نزوله فلم يحرف أما الإنجيل فقد كتب بعد جيل كامل من وفاة المسيح وتعدد الكتاب وكتابه إلى أن جاء القرآن قائلا:

"يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا(١٣٦)". [النساء].

فالقرآن يؤكد المكانة البارزة التى يحتلها الرسل فى شريعة الإسلام وظل القرآن فى مكة ينزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاما .. يتعلم منها الإنسان

(١) من كتاب (الشرق الأوسط فى العصر الإسلامى)، لمؤلفه فيشر، نقلا عن كتاب عباس العقاد **ما يقال عن الإسلام** كتاب الهلال ص ٥٠ وما بعدها.

المنهج الربانى.. يضع أسس العقيدة التى نزلت علــى الســابقين علــى الإســلام، ويصحح ما اعتراها من انحرافات وخرافات حشرت فى العهد القديــم والجديــد، فكانت تشوهات وثنية وتحريف للكتب المقدسة، أخرجها عن الوحى الــذى تلقــاه الرسل من رب العالمين بعقيدة التوحيد بأن الله هو الخالق وحده لا شريك له الخليق بالعبادة ، مالك الملك يرزق الإنسان ويميته ، الفرد الصمد المعبــود لذاتــه ، وأن نخصه وحده بجميع أنواع العبادات وهذه هى رسالة الإسلام وفــى هــذا المجــال يستوى الإنسان العربى فى ذلك بالإنسان فى أى مكان وزمان فشرائع الأنبياء كلها يحتويها قولة **(لا إله إلا الله)** لأن معناها خلع جميع المعبودات غــير الله وإفــراده وحده بالعبادة، ويدخل فى ذلك الأوامر والنواهى القولية والعقلية والاعتقادية فتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله – **الخلق، والرزق – الحياة، والموت** – وخير تعبــير عن هذه المعانى هى فاتحة الكتاب بآياتها السبع لأنها تناولت أصول الدين واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال – **العقيدة – العبادة – الإيمان باليوم الأخر** – ففيها الثناء على الله جل جلاله وإثبات الربوبية وتوجيه الحمد لله وشكره علــى نعائمــه وعطائه للإنس والجن، مالك كل شىء واهب الحياة والرزق، والوجود له وحــده، وسعت رحمته كل شىء.

مالك الجزاء والحساب يوم الدين هو وحده المعبود لذاته، والزلة والاستكانة له وحده دون غيره، لا سلطان بين الإنسان وربه، ولا واسطة بينه وبين مخلوقاتــه لا كهانة ولا كهان ولا راهب ولا قسيس ولا حبر ولا غيره فالطلب منه والعــون منه والصراط الذى رسمه لنا عن طريق رسله وأنبيائه من البشر. فهو للصديقيــن الذين يهتدون ويترسمون صحيح الدين.

وقد وردت الآيات "**إياك نعبد وإياك نستعين(٥)**"٠[الفاتحة]٠ بصيغة الجمع لا صيغة المفرد إياك أعبد أو أتيقن لبيان ضآلة الفرد أمام الله. فالمناجاة لكل العالمين الموحدين يتجهون لله بالعبادة لأنه ولى النعم لهم أجمعين.

فكان القرآن المكى يفسر للإنسان وجود هذا الكون من حوله وأن لا اله إلا الله هو الطريق السوى فالدين قاعدته الألوهية الواحدة فكل تنظيماته وشرائعه تركز على هذه القاعدة - **الألوهية الواحدة** - فإذا تربت النفوس واطمأنت إلى عقيدة التوحيد وتأهلت إلى أن تدخل محراب العبادة الحقة، وأن لا سلطان على النفس البشرية إلا لله وحده، تحرر العبد من داخله وهنا يكمن حرية الإنسان الحقيقية، وأن لا خوف من عبد مخلوق أيما كان، فالإسلام يواجه الإنسان بواقع عبوديته الحتمية لله عز وجل .
يفتح أمامه بذلك آفاق التحرر من أنصار العبودية للآخرين، وليصده فى الوقت ذاته عن استعباد ممن قد يكون حوله من المستضعفين [١] وقد أبرز القرآن ذلك بما لا لبس فيه بقوله عز وجل :

"**قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون(٦٤)**".[آل عمران].

فالإسلام لم يتجه إلى الناس كشأن المذاهب الإنسانية الوضعية من فلسفية واجتماعية و أخلاقية والتى أخفقت قديما وحديثا فى ضبط سلوك المجتمعات وتوجيهها إلى ما هو الأليق والأصلح [٢]

---

(١) كتاب (**حرية الإنسان فى ظل عبوديته لله**)، الدكتور محمد سيد الطوخى، ط دار الفكر المعاصر لبنان ص٢٦ ٠

بل يبدأ الإسلام كما قلنا من قبل بكل عمله بالتوجه إلى فكر الإنسان يخبره عمله من الحقائق والوقائع لا أكثر ، تتعلق بذاته وقصة وجوده والكون المحيط به ووجود خالق واحد له وللعالم كله .

فإذا ما تنبه إلى هذه الحقيقة وصدق بها واستولت بسلطانها على مشاعره، كان ذلك إيذانا له بأن يعيد النظر إلى ما كان قد وعاه وتصوره من أمر نفسه وبأن يبدأ فيتعرف على هديه من جديد وذلك على ضوء الواقع الذى أدركه و استيقنه بعد تأمل وبحث .

وقد كان هذا النهج القرآنى فى مكة تربية النفوس وتكوينها على العقيدة الواحدة والقيم الأخلاقية الربانية حتى تستقيم وتمارس التكليفات التعبدية والتشريعية. وتدرج القرآن فى قواعد الحلال والحرام فقد كانت التربية أساسها أن المجتمع يقوم على قاعدة [1] أن العبودية لله وحده فى كل أموره وشئونه وهذه العبودية تتمثل فى التصور الاعتقادى وفى الشعائر التعبدية وفى التشريع والقانون.

قال تعالى :" **قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون(١٠٨)**".[الأنبياء].

وقال الله :" **وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبوني(٥١)وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون(٥٢)**". [النحل].

---

(١) (**الدعوة الإسلامية فى العهد المكى**)، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية الدكتور عبد الرؤوف شلبى ص ٥٥٤ .

"قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(١٦٣)". [الأنعام].

هذه هى القاعدة التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى ؟، والذى أسس جماعته الأولى عليها لتقبل مشاق العبادة بعد إعداد النفس البشرية التى تدين بالعبودية لله ، فلا يهمهما أى سلطان أو جبروت أينما كان على وجه الأرض لأنها لا تدين بالعبودية لغير الله فلا تستذل لإنسان أيًا كان ولا تخضع لمخلوق حيثما كان فأعطت المسلم القوة ، قوة الإيمان والعقيدة .

فالعقيدة فى الإسلام هى التوحيد صافية دون التواء منذ البدء لذلك لم يفرض الإسلام من الأركان فى البدء على المسلم إلا شهادة **"ألا إله إلا الله"** حتى تستكمل الجماعة التكوين النفسى والإعداد الذاتى، فلم تفرض الصلاة إلا فى صبيحة يوم الإسراء والمعراج و كان الرسول قبل فرضها يصلى كما كان يصلى سيدنا إبراهيم لأن البداية تربية الروح والنفس الإنسانية لتهيئتها لتقبل الرسالة وفرض الفروض واتباع التكليفات إيمانا بسلامة الرسالة والعقيدة والتى تستمد من العبودية لله وحده.

العبودية:

الإسلام يرتفع بالعبودية لله إلى مصدرها الأساسى وهى الفطرة التى خلق الله الإنسان عليها منذ ولادته والتى يستمد الإنسان منها حريته فى ألا ينصاع إلا لله وحده فى قوله وفعله وعمله، لأنه خالقه ورازقه وتدلل على ذلك الآيات القرآنية والأمثلة عليها:

"فلينظر الإنسان مم خلق(٥)خلق من ماء دافق(٦)يخرج من بين الصلب والترائب(٧)إنه على رجعه لقادر(٨)" .[الطارق].

"قتل الإنسان ما أكفره(١٧)م ن أي شيء خلقه(١٨)من نطفة خلقه فقدره(١٩)ثم السبيل يسره(٢٠)ثم أماته فأقبره(٢١)ثم إذا شاء أنشره(٢٢)".[عبس].

"ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد(١٦)إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد(١٧)ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد(١٨)".[ق].

"الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير(٥٤)".[الروم].

"يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد(١٥)إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد(١٦)وما ذلك على الله بعزيز(١٧)".[فاطر].

"سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار(١٠)".[الرعد].

الذاتية الإسلامية:

عندما نزل القرآن فى مكة لمدة ثلاثة عشر عامًا كانت مهمتـــه الأساســية تتلخص فى أنه يعرف الإنسان أول بهويته ويطلعه على حقيقة ذاته ثم يدعوه إلـــى أن يكون فى سلوكه الشخصى وعلاقاته مع الآخرين منسجما مع مقتضى هويتـــه هذه فالقرآن وضع الإنسان علما ودينًا فى موضعه الصحيح حين جعـــل تقسيمه الصحيح أنه ابن ذكر وأنثى وأنه ينتمى بشعوبه وقبائله إلى الأسرة البشرية التى لا تفاضل بين الأخوة بغير العمل الصالح وبغير التقوى[1].

"يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَـــائِلَ لِتَعَـــارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُـــمْ عِنْـــدَ اللَّـــهِ أَتْقَـــاكُمْ إِنَّ اللَّـــهَ عَلِيـــمٌ خَبِيرٌ(١٣)".[الحجرات].

إن الإسلام دين يسوى تسوية كاملة عادلة بين المسلمين كافة فى ســـائر الأرض عربا أو غير عرب مصريين أو عراقيين أسيويين أو أفارقة فالإســلام فـــى كل أنحاء الأرض واحد لا يختلف من بلد لبلد فالمساواة أساس الإسلام فهو دين لكل القوميات فالدول فى الإسلام واحدة بلا استثناء بلا حاجة إلـــى روابـــط بخـــلاف الإيمان لا يفرق بين المسلم الذى آمن بعد بحث ورؤية لا يخضع المسلم فيه لسلطة الكهنوت إنما الدخول فيه لكل من يؤمن به و يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمـــدًا رسول الله لا تملك أية جهة أو أى مخلوق إلصاق صفة المسلم بشخص أو تفضيلـــه على غيره أو إخراجه من دينه كما يحدث بالحرمان فى النصرانيـــة، ليـــس فيـــه حفلات قدسية لأحد ولا للنبى أو الصحابة فهم بشر كغيرهم لا تميز بلا تعليمات أو أوامر دينية و الطرد من ملكوت السموات بأمر بشرى .

---

(١) عباس العقاد (الإنسان فى القرآن الكريم)، الهيئة المصرية للكتاب لسنة ١٩٦٦ ص ٥٧ .

فالإسلام يرفض التطرف والمغالاة، لأنه دين وسط والعنف والتمرد والحيدة عن الحق والشطط فى العقيدة وينزل بالمتألهين والمتكبرين من علياء جبروتهم ليقفوا على صعيد الإنسانية العامة مع أمثالهم من الناس، ويرتفع بالدهماء والمستضعفين بالمقابل عن مناخ الذل والهوان المتلبس بهم ليتلاقوا مع إخوانهم على صعيد الإنسانية العامة ذاتها وهكذا يظلهم جميعا تحت مظلة العبودية لله عز وجل ويتجلى فى تلاقيهم هذا معنى قول رسول الله ﷺ : "**كونوا عباد الله أخوانا**" [١] وقد يسميهم باصطلاح الأسماء (أمما) كثيرة تباعدت بينهم المواطن و تحيزت بهم الحدود وشعبت بينهم العقائد واللغات ولكنهم قبل هذا الاختلاف أمة واحدة لها أله واحد هو رب العالمين فالمسلمون من كافة الاتجاهات كلهم مسلمين مهما اختلفوا فالله لديهم واحد قبلتهم مكة، كتابهم القرآن ٠

ومن هذه الأرضية الإلهية والتى عبر عنها الدكتور رؤوف شلبى فى كتابه، **الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى**، بتكوين الذاتية الإسلامية، وهى سلوك عمل قدم له الرعيل الأول إطاره الذى يعيه العقل المسلم وتطبعه الجوارح الخاشعة، ويعبر عنها أصدق تعبير ما قرره سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

(كان الرجل منا إذا تعلم عشرة آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[٢].

"نحن فى حاجة إلى العودة إلى الذات الموجودة بالفعل والموجودة فى قلب المجتمع ووجدانه، والتي تعتبر مثل مادة ومنبع من منابع الطاقة، أنها الذات القائمة على أساس الإحساس العميق بالقيم الروحية والإنسانية عندنا، والقائمة على أرواحنا واستعداداتنا، والموجودة فى نظرتنا للأمور، لكن الذى صرفنا عنها هو الجهل

(١)– عباس العقاد الإنسان فى القرآن الكريم الهيئة المصرية للكتاب ١٩٦٦ ص ٦٨ ٠

(١) أخرجه البخاري٠

والانقطاع عن النفس، وجعلها الجذب إلى ذرات مجهولة، لكنها على كل حـــال لا تزال حية ذات حية وحركة. هذه الذات الإسلامية، التى تنتسب إلى ثقافة إســلامية عظيمة، وينبغى أن نجعل شعارنا هو العودة إلى هذه الذات نفسها، لأنـــها الــذات الوحيدة من بين كل الذوات، وهى الثقافة الوحيدة التى لا تزال حية حتى فأن، وهى الروح والأيمان . لكن ينبغى أن يطرح الإسلام فى صورة إسلام بـــاعث للوعـــى التقدمى، وقائما بالتنوير، حتى يبدأ من هنا هذا الوعى، وهو مسئولية المفكر ورجال الدين و العلماء فى كافة الاتجاهات الثقافية والعلمية، فيتبدل الجمـــود إلـــى حركـــة والجهل إلى وعى و إيمان بقدرتنا على العودة إلى الذات"(١)

السلوك المطابق للقرآن:

فالمسلم عليه فى تفكيره وسلوكه وقيمه وعمله وحياته فى كافة اتجاهاتـــها سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أن يتمثل القرآن وأن يعيش أوامره ونواهيه وحلاله وحرامه والسنة وما جاء بها سواء كانت من السنن القولية أو الفعلية أو التقريريـــة فقد جاء في الحديث: "**تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، كتـــاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**"٢

وأساس هذا عبودية الإنسان لربه ، وهذا يؤدى إلى نشر العدل و الرضـــا بالبر بالإنسان أيا كان فى مساواة تامة لا فرق بين أبيض و أسود إلا بالتقوى بـــلا تعصب أعمى"**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني(٥٦)**".[الذاريات].

ولمعرفة الإسلام يجب أن ننظر إلى غايته و مبادئه القائمة على القـــرآن والسنة ومعرفة مقاصده . فالقرآن يبنى الإنسان نفسيا وعقليا و خلقيا ليغرس فيـــه القيم الإنسانية و يضع له المنهج فى حياته ويحدد علاقته بربه وبنفسه وبـــالآخرين

(٢) كتاب الدكتور على شريعتى ترجمة د ابراهيم الدسوقى

(١) أخرجه (**الحاكم في مستدركه**)

في العبادات والمعاملات جعلت دعوته للفطرة التى نزل عليها ووضع لذلك قواعد العمل البناء الذى يراعى كافة ظروف الإنسان بالموعظة الحسنة وذلك لبناء المجتمع القوى السليم الذى يتساوى ويتكافأ فيه الجميع لخير المجتمع و البشرية جمعاء ،فكانت نقطة البدء التربية أولا ثم الدعوة ثانيا بجيل قادر على حمل عبء الرسالة فى مراحلها الأولى وخطواتها الوليدة .

وقد عالج القرآن المكى فى بدء الدعوة الشرك بالله و دعى إلى التوحيد وتعليم المسلمون الأوائل كيف يعبدون الله الواحد ففى مكة لم يكن العرب ملحدين بل كانوا مدركين لوجود أرباب لهذا الكون و الشرك سائد و لهذا توجه القرآن لتنقية العبادة وغرس الإيمان بالله وحده د ون شوائب تلوث عقيدة التوحيد وهذا واضح جلى فى آيات القرآن المكية لتهيئة النفوس لتقبل شرع الله بعد أن غرس عقيدة التوحيد [1].

لقد كان رسول الله مثالا وأسوة لتطبيق مبادئ الدعوة سلوكيا وعظمة تفسو من عظمة الرسالة، وتدور الأحاديث المعبرة عن ذلك حيث يقول ﷺ :"**إنما أنا رحمة مهداه**[2]"، ويقول ﷺ :"**من لا يرحم لا يرحم**[3]" .

فكانت الرحمة خلق الرسول و سلوكه و قد ذكر ذلك القرآن بالآيات :

"**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين(١٠٧)**".[الأنبياء].

"**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين(١٥٩)**".[آل عمران].

(٢) كتاب (الدعوة الإسلامية فى العهد الملكى)،ط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٩٧ ص ٩٧، ١٠٣.

(١) ، (٢) أخرجهما مسلم في صحيحه.

"لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم(١٢٨)".[التوبة].

فقد كان خلقه القرآن كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها، والدلائل تتوجه إلى إثبات التوحيد وإلغاء الإسراف والكثرة في الإيمان وإذا تأملنا هذه الآيات نجد أنها لإثبات صفات الله الموجود:

"وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين(٥٩)".[الأنعام].

"هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون(١٠)ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون(١١)وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون(١٢)وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون(١٣) وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون(١٤)وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون(١٥)وعلامات وبالنجم هم يهتدون(١٦)أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون(١٧)وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم(١٨)والله يعلم ما

تسرون وما تعلنون(١٩) والذين يدعون من دون الله لا يخلقـــون شيئا وهم يخلقون(٢٠)".[النحل]٠

فالآيات تنزه الله جل شأنه عن الشريك و تضفى علـــى العقـل الإنســانى هيمنة الله الأحد وتعدد على عقول البشر نعمائه و آلائه وتقرر أنه وحده جل جلاله المنفرد بتدبير هذه الآلاء وأن الذين تدعون من دون الله عجزة لا يخلقون شيئا بـل هم مخلقون خاضعون لسلطانه و جلاله و تستأنس هنا لتأكيد ما وصلت إليـه هـذه الدراسات فى عدم وجود محاولة من القرآن نحو إثبات وجود الله وما تخيله بعض الناس استدلالا على وجود الله ليس إلا بيانا لمظاهر قدرة الله وعنايته بالعالم[١] وإذا فانحراف البشرية دائما إلى التعدد لا إلى الأفكار، والأفكار لم تنشأ إلا فى العصـور الحديثة، والله سبحانه وتعالى يقول:

"ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمـر ليقولن الله فأنا يؤفكون(٦١)".[العنكبوت].

وإذا تصفحنا الأناجيل على ما هى عليه من التحريف والتبديل لا نجد فيـها مطلقا ما يشير إلى مشكلة اسمها ، مشكلة إثبات وجود الله ٠

وكذلك إذا تصفحنا التوراة على ما هى عليه من التبديل والتغيـير لا نجـد فيها مشكلة، اسمها مشكلة إثبات وجود الله ٠وإذا تصفحنا القرآن الكريم أيضا لـن تجد فيه ذلك٠

(١) من كتاب **(الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى)** تأليف الدكتور رءوف شـلبى ص ٢٦٥ الناشر مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٤

الدعوة بالحسنى فى البدء و الصبر على الإيذاء:

كانت المدرسة القرآنية تربى القادة وتجردها من كل هوى وشائبة لتخلص النفوس مما قد يعلق بها من أدران المجتمع الوثنى وتخضعهم لسلطان رب العالمين مما يتمشى مع التوجيه القرآنى :

"فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون(٣٥)".[الأحقاف].

فكانت الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى تجنبت صداما مسلحا حتى تعطى فرصة كاملة لإبراز معالم الدعوة وحقيقة الإسلام ولذلك التزمت بالصبر الإيجابى، الذى يزاول العمل فى إخلاص مع تحمل شدائد الأمور .

ولو سمح القرآن الكريم للجماعة الإسلامية بالدفاع عن النفس فى هذه المرحلة لما أمكن للدعوة أن ترى للناس على طول الحياة أنها دعوة لخير الإنسانية، ولكانت فى محيط الأسرة بين الولد ووالده و العبد وسيده والمرأة وزوجها، ولصح للكافرين يومها أن يقولوا أن محمدا ﷺ يفرق بين المرء وزوجه و بين المرء و أبيه وبين المرء وأخيه .

وليس ذلك هو الهدف ولا هو المنهج كذلك، ولذلك أكد القرآن فى هذا العهد المكى ضرورة التحلى بالصبر كمنهج، وهو صبر إيجابى يزوال أعمال الدعوة مع تحمل لأذى الكافرين [١].

(١) المرجع السابق، من ص ٢٦٠ : ٢٦١ .

وكان الوحي ينزل علي الرسول تحثه على الصبر وتحمل المشاق في بداية الدعوة،وقد كان النبي قدوة في الصبر على إيذاء المشركين وتحمل ذلك بشجاعة وقدرة على مواجهة الشدائد، وعندما طالبه عمه بالتصالح معهم على ما يريده الرسول، ويحدده بنفسه من مال وكنوز رد عليه الرسول ﷺ فقال: " والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه[1]"

الخلاصة:

وهذا الذى استعرضناه يفيد أن الوحى الربانى منذ بدء الخليقة الذى نزل على أنبيائه ورسله حتى خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ، تضمن تبصيرا للإنسان بالطريقة المثلى التى يجب أن يمارس به أمانة الطاقات والصفات التى خلقت فى كيانه.

وهذا هو مضمون الدين منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا والمحور الذى يدور عليه والهدف الذى ينتهى إليه.

أن العمل للدعوة يرتبط بمنهج الصبر وتحمل المشاق، فالصبر جهاد والجهاد فضيلة، والصبر لون من ألوان الجهاد وقد كانت الدعوة الإسلامية فى بدئها فى حاجة إلى هذا النوع من الجهاد لتجرد المسلم من كل شهوة وهوى وتتأكد صلاحيته للعمل [2].

و قد جاء بكتاب الدكتور عبد الرؤوف شلبى الذى استرشدنا به فى تأصيل حالة الدعوة فى مكة قوله : "إنها كانت فترة تربية وإعداد لقوم معينين وسط

(٢) راجع **(السيرة النبوية)** لابن هشام، و **(تاريخ الطبري)** للطبري، و **(الكامل)** لابن الأثير.

(١) عباس العقاد الإنسان فى القرآن الكريم الهيئة المصرية للكتاب ١٩٦٦ ص ٥٧ .

ظروف معينة هى ظروف المجتمع العربى الجاهلى الـذى يؤثـر فـى حياتـه مواريث الأباء والأجداد، فكان من أهداف هذه التربية تدريب الذات العربية علـى الصبر واحتمال الشدائد التى لا يصبر عليها من الضيم على شـخصيته أو مـن يلوذون به حتى يخلص جسده وعقله وقلبه ووجدانه وفكره لله رب العالمين وحتـى يتجرد من ذاته وذات من يلوذون به فلا تكون الذات هى المحور لحياته ولا هـى الدافع لتحركه فى وجوده.

وكانت كذلك تربيه على أن يتبع أسلوب حياة جديدة تحت قيـادة جديـدة يرجع إليها فى كل شئ و يأخذ عنها جميع أمور حياته و لا يتصرف إلا وفق مـا تأمره به مهما يكن الأمر مخالفا لمألوفه وعادته ومواريثه وقد كان ذلك هو حجـر الأثاث .

وفى إعداد شخصية الرجل العربى لإنشاء نواة المجتمع الإسـلامى الـذى يخضع لقيادة موجهة من الوحى بعيدا عن السلطان البشرى متحلية بقيم جديدة وحياة خالصة لوجه الله، جهادا في سبيل الله بدأت بإعداد الشخص ومجاهدته نفسـه أولا وأهوائها وشهواتها وطموحاتها، فغرست فيه قيم الجهاد الذى لا يرتبط بثمن يقبض أو رجاء ينتظر لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة اللذين كفروا السفلى.

فالإعداد و التربية أساس من أسس الإسلام لتكوين الفرد المسلم و قد قـال رسول الله ﷺ: **"عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خير له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له[١]".**

(١) أخرجه **(البخاري في الأدب المفرد)**

فالقرآن فى مكة كان من أجل التوحيد لإزالة الشرك وتعليم الناس أن العبادة لله الواحد الذى لا شريك له ولا ولد، فالمجتمع فى أم القرى وما يجاورها لم يكن ملحدا بل كان مشركا ولذلك كان توجه القرآن الكريم لتنقية الإيمان بالله من شوائب هذا الشرك وهذه الجماعة الأولى التى تعهدها القرآن الكريم والرسول ﷺ بهذه التربية كانت لها سمات و خصائص قيادية تدربت عليها وتعلمتها حتى إذا انتقلت إلى طور جديد بعد الهجرة لم تجنح إلى تنظيم فقد كانت مرحلة مكة مرحلة الإعداد والتربية. وكان من مقومات هذه الخصائص قوله تعالى :

"فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون(٣٦)والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون(٣٧)والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون(٣٨)".[الشورى].

ومع أن هذه الآيات مكية نزلت قبل قيام الدولة فهى تضع قواعد وأسس تحمل خصائص المجتمع الذى تبنيه هى، بما لديها من أخلاق ومعرفة وسلوك وتطبيق أبرزت به العبودية الخالصة لله وأعلنت به سمات المجتمع الذى سيولد فى المستقبل أن شاء الله.

ومن الجدير بالملاحظة أن التمسك بالشورى بدأ فى العهد المكى فهذه الآيات المكية تؤكد أن "**وأمرهم شورى بينهم**" مما يوحى أن وضع الشورى

فى حياة الجماعة الإسلامية أعمق من مجرد كونها فكرة سياسية ، فالشورى طـابع أساسى للجماعة الإسلامية كلها .

الفصل السابع

الإسلام والرسالات الأخرى

- النظام الخلقي
- التربية الأخلاقية والدين
- الإيمان وطاعة الله

...لا يعترف الإسلام من كتب العهد القديم إلا بالتوراة التى أنزلها الله على موسى وبالإنجيل من العهد الجديد حيث قال تعالى :

"**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(٢)نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ(٣)**".[آل عمران].

وينفرد القرآن دون الكتب الدينية الأخرى (**التوراة ، الإنجيل**) بأنه الكتاب الوحيد الذى ظل مدوناً كما نزل به الوحى ولم يشبه أى عبث أو تحريف أو تغيير مصداقاً لقوله تعالى :

"**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(٩)**".[الحجر].

وقد ظل حتى الآن ألف وخمسمائة عام منذ أن جمعه عثمان رضى الله عنه كما هو منذ البدء بخلاف التوراة والإنجيل فالشكوك التاريخية والعلمية تحيط بهما وأتباع الرسالات السابقة لا يعترفوا بالرسالات الأخرى، فاليهود لم يعترفوا النصرانية أو المسيح ولهذا أوعز اليهود إلى الرومان بان المسيح ثائرا على الحكم فعوقب بالإعدام، أما المسيحية فاعتبرت نفسها وريثة اليهودية، أما الإسلام فهو الدين الوحيد الذى اعترف بالأديان السماوية السابقة عليه ويعترف بالوجود الفعلى لجماعات غير مسلمة، ويتحدث عن أهل الكتاب وتتحدث السنة عن أهل الذمة وتنظم الحقوق والواجبات لهذه الجماعات فى ظل قاعدة المساواة بين الجميع مسلم أو غير مسلم بتفصيل سنتناوله فيما بعد، فالإسلام يقرر أن كل رسول يجىء برسالته لتناسب زمانها ومكانها لتحقيق أغراضها وكلما تغيرت الحاجة جاء طور جديد من الديانة يؤكد الوحدانية فالاختلاف بين الرسالات السماوية فى الفروع لا الأصول تمشيًا مع حاجات الناس فى الزمان الجديد، وقد جاء الإسلام كخاتم ومكمل للرسالات السابقة عليه بشريعة تناسب كل زمان ومكان واعتبر الأخلاق

الفاضلة جزء من الدين وكل الرسالات السماوية لا تختلف حول الخلق السليم والسلوك القويم وجميع الأديان تعتبر الأخلاق جزء من العقيدة فالأخلاق فى الإسلام ترتبط بالإيمان بالله تعالى وتقوم على أسس شرعية تعبدية ، يثاب فاعلها ويعاقب تاركها ، ذلك بخلاف العادات فهى من صنع المجتمع وقد تكون مضادة لمفهوم الدين ومعارضة له، وقد دخلت على المسلمين فى الأزمنة المتأخرة عادات وتقاليد فاسدة ليست من الدين سواء فى الملبس وآداب الطعام والزواج والأفراح والمآتم والمعاملات، عادات وتقاليد تتنافى فى أحيان كثيرة مع الدين والأخلاق بل هنالك عادات طمست قيمنا وحلت محلها فالأخلاق فى الرسالات السماوية جزء من العبادة لأنها امتثال لأوامر الله ونواهيه .

والمعنيُ بالرسالات السماوية هى الرسالات التى أنزلت كتبها من الله وأرسلها لرسله عن طريق الوحى الهابط من السماء، لا عن طريق البشر، وهذه الرسالات • تتحد فى منبعها ومقاصدها تشترك وتتكامل مع بعضها وغايتها فى توحيد الله وعبادته والهدف هو توجيه الإنسانية إلى الكمال والخير والحق وأن اختلفت تفاصيل الرسالات فالوحدة بينها فى القواعد الكلية وذلك لأن الأمر ليس بقاصر على وحدة الدين وإنما الأخوة تكمن فى وحدة الجنس البشرى فالناس اخوة أصلهم واحد.

قال تعالى: "**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(١)**".[النساء].

وقال: "**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا**

اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٢١٣)".[البقرة].

فهذه ثوابت وحقائق لا يعتريها الاختلاف فالجنس البشرى مصدره آدم، وآدم من تراب خلقه الله من طين وخلق منه حواء ثم كانت الحقيقة الكبرى وهى خلق العالم وانتشار ذرية آدم على الأرض ، ذلك أمر تؤمن به كل شرائع السماء لا خلاف فى ذلك ولا تنازع ثم كان الرسل بدء من آدم ونوح و إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل وتشترك الرسالات السماوية فى تراثها الروحى القائم على عبادة الله وحده وتجنب الطواغيت فكان النقاء الدينى ليبعدنا عن المتاجرة بالدين أو لتحقيق كسب مادى أو معنوى.

ويقوم الدين مجرداً من نوازع النفس الشريرة "على المبادئ الأخلاقية العامة لكل نشاط إنسانى سواء أكان سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا، لكن المشكلة عندما يستخدم الدين لتحقيق الأهداف والأطماع البشرية والمنافع الخاصة باسم الدين وسيلة لا غاية[١]" .

فالرسالات الإلهية كلها تخاطب فى الإنسان فطرته التى فطره الله عليها فكلها تمجد الحق والعدل – وهما فى الإسلام من أسماء الله الحسنى – وتحارب نزعات الانحراف والفساد فلا عصبيه لجنس أو لون ولا امتياز لأمة دون أمة إلا بالتقوى والعمل الصالح ولو أنصف الناس لا أراحوا أنفسهم مما يكابدون من مشكلات دينية أو غير دينية صيرت حياتهم صراعاً مميتًا وشقاقًا دائماً وتعصباً

---

(١) – دار الشروق كتاب **(الاختراق الصهيونى للمسيحية)**، القس أكرم لمعى، ص ٩ هامش ٢

كريهًا لكل ما خلفه الآباء دون نظر فاحص أو تفكير سديد ، وذلك لأن وحدة الإلــه ووحدة العقيدة هى جوهر كل الرسالات السماوية وإن رب نوح هو رب إبراهيــم وموسى والمسيح ومحمد وغيرهم من الرسل وإن العباد جميعا أمام الله سواسية.

فرابطة الدين أقوى من روابط الأجناس واللغات ودين الله واحد منــذ بــدء الخليقة، أصوله وعقائده ولما كان الإسلام هو آخر الأديان السماوية فــإن المســلم عقيدته لا تكتمل ولا تستقيم إلا إذا آمن وأعترف بجميع الرسالات التى جاءت قبــل رسول الله سيدنا محمد ﷺ لأنها كلها مصبغها الله الواحد الأحد، وختامها الإســلام وهو يعنى تسليم من الإنسانية لوحدة الله والدين منذ بدء الخليقة حتى قيام الســاعة دين واحد وإن اختلفت الشرائع لتوقيت النزول ومكان الرسالة وقد قال الله تعالى:

"شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْــكَ وَمَــا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيــهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ(١٣)".[الشورى].

"وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِــنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّــةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَــى اللَّــهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٤٨)".[المائدة].

وكما أوضحنا فيما سبق من أن المسلم ملتزم بالتسليم بالرسالات السماوية والأنبياء الذين سبقوا رسالة الإسلام وهذا فارق جوهرى بينه وبين الرسالات السماوية الأخرى لأنه مكمل ومتمم وليس نقيضًا لها أو متوحدًا عنها فهى جزء من رسالة الإسلام، ومن ثم نجد كتاب الله يمجد جميع الأنبياء والرسل ومعهم السيدة مريم والتى أفرد لها دون نساء العالمين جميعًا منذ بدء الخليقة سورة خاصة بها مع تمجيد ذكرها وبيان صفاتها الحميدة، قال تعالي: "وَإِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ(٤٢)". [آل عمران].

أما على النقيض فإن كل رسالة من الرسالات الأخرى جاء مقصوراً على أصحابه ومتعصبًا لآرائه، والقرآن يؤكد دومًا على أن الإسلام ليس بدين جديد وإنما هو عودة إلى الحنيفية السمحاء، دين الفطرة الأولى لهذا كان أكثر الرسالات السماوية تأكيدا على التوحيد لأنه جمع وكمل و أتم رسالة الدين الإلهية، ومن ثم فإن المسلم مطالب بحماية أصحاب الرسالات الأخرى وعقائدهم وأن يترك لهم الحرية الكاملة لممارستها بشرط أن يراعوا شعور المسلمين وحريتهم الدينية وعدم استثارة مشاعرهم .

وقد دعا الإسلام إلى وحدة العقيدة على أساس بسيط كل البساطة يستسيغه العقل الإنسانى فى مختلف الأمم وفى مختلف الأزمان بقوله تعالى:
"إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا(٤٨)".[النساء].

فالتوحيد عقيدة يؤمن الناس بها فى مختلف أقطار الأرض على اختلاف مذاهبهم فاليهود يوحدون فى أساس عقيدتهم والنصرانية نزلت بالتوحيد وإن انحرف بها البعض إلى التثليث وهو ليس فى رسالة المسيح لكنها رزاز من الوثنية التى اختلطت بها عندما اعتنق الرومان "النصرانية" لكن الإسلام نقى عقيدة التوحيد وأثر بذلك فى بعض المذاهب الدينية النصرانية أو اليهودية التى انحرفت عنها، فالاتجاه إلى التوحيد والمساواة بين طبقات البشر حقائق إسلامية امتازت بها شريعته .

فالرسالات السماوية (يهودية - نصرانية - إسلامية) هدفها الإيمان بالله وتوحيد العقيدة فلو تمعنا عند مقارنة الأديان بتجرد وموضوعية لتأكد لنا بدون تعصب أو مغالطة أن الأنبياء جميعا رسالتهم واحدة ومتكاملة الحلقات المتتابعة منذ بدء الخليقة حتى رسالة سيدنا محمد بداية من نوح وإبراهيم وعيسى وموسى وإذ كان سيدنا محمد ﷺ خاتم الرسل ولوحدة الرسالة كان لابد من التشدد فى الإسلام على الإيمان بجميع الرسل والرسالات السابقة عليه و إلا انفرط العقد الإلهى لأن الرسالات كما قلنا حلقات متواصلة لا تفرق بين رسول ورسول فالمسلم ملزم دينا وعقيدة وسلوكًا احترام الرسالات السماوية، ومن هنا كانت ذمة الله ورسوله هى الحامية والضامنة لأهل الرسالات السماوية تأكيدًا لمتانة الرابطة وقوتها ودعمها لا تعبيرًا عن التفرقة والتشرذم ولكنها للربط والتقوية وما ذمة وضمير الرسول بشىء بسيط وعادى عند المسلم الحقيقى إنما هى أمر و إلزام وطاعة واجبة، قال تعالى: **وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٧)** ·[الحشر]·

وفى هذا الصدد نجد أن خير ما نختتم به فى هذا المعنى ما كتبه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر : "إن ما جاء به النبى ﷺ

يطابق ما جاء به الأنبياء قبله فى أصول الدين و كلياته كتوحيد الله تعالى، واختصاصه بالعبادة ، ويعتبر من الأنبياء السابقين فيما آتوا به، عن الله تعالى والإيمان بالبعث، وما يكون فيه من نعيم وعذاب، والحض على مكارم الأخلاق، أما ما عدا ذلك يتعلق بتفاصيل العبادات، وأحكام المعاملات فإن الشرائع تختلف فيه بوجه عام، حسب ما يتناسب، وحالة الأمة التى بعث الله إليها رسوّلا من لديه كما قال تعالى: "**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**(٤٨)"٠[المائدة]٠

ومن هنا جاءت الشريعة الإسلامية بما لم يكن موجوداً فى الشرائع السابقة، ومن مظاهر ذلك أن القرآن الكريم أعلن للناس ، أن محمدًا ﷺ من مميزات شريعته إنها أحلت للناس كل الطيبات وحرمت عليهم كل الخبائث، ووضعت عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، وشرعت لهم أموراً تتعلق بعباداتهم، ومعاملاتهم، امتازت باليسر والتخفيف٠

ويعجبنى فى هذا المقام قول فضيلة أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عبد الله دراز: "يجب أن يفهم أن تعديل الشريعة المتأخرة للمتقدمة ليس نقضًا لها، وإنما وقوفًا بها عند وقتها المناسب وأجلها المقدر ٠

مثال ذلك مثلًا ثلاثة من الأطباء وجاء أحدهم إلى الطفل فى الطور الأول من حياته، فقصر غذاءه على اللبن، وجاء الثانى فى مرحلته التالية فقرر له طعاماً لبنًا، وطعامًا نشويًا خفيفًا، وجاء الثالث فى المرحلة التى بعدها فأمر له بغذاء كامل، لا ريب أن هاهنا اعترافًا ضمنيًا من كل واحد منهم بأن صاحبه كان موفقاً كل التوفيق فى علاج الحالة، التى عرضت عليه نعم إن هناك قواعد عامة فى النظافة

والتهوية والتدفئة ونحوها، لا تختلف باختلاف الإنسان، فهذه لا تعيل فيها ولا تبديل، ولا يختلف فيها طب الأطفال والناشئين عن طب الكهول والناضجين.

هكذا الشرائع السماوية، كلها صدق وعدل فى جملتها وتفصيلها وكلها يصدق بعضها بعضًا من ألفها إلى يائها، ولكن هذا التصديق على ضربين .

تصديق للقديم مع الأذن ببقائه واستمراره وتصديق له مع إبقائه فى حدود ظروفه الماضية ، ذلك أن التشريعات السماوية تحتوى على نوعين من التشريعات:

- تشريعات خالدة لا تتبدل بتبديل الأصقاع و الأوضاع (كالوصايا التسع ونحوها).
- تشريعات موقوته بآجال طويلة أو قصيرة ، فهذه تنتهى بانتهاء وقتها، وتجئ الشريعة التالية بما هو أوفق بالأوضاع الناشئة الطارئة .

فشريعة التوراة مثلًا عنيت بوضع المبادئ الأولية لقانون السلوك (لا تقتل، لا تسرق) فطابعها البارز تحديد الحقوق، وطلب العدل والمساواة .

وشريعة الإنجيل تجئ بعدها فتقرر هذه الأمور، ثم تترقى فتزيد آداباً مكملة، (أحسن إلى من أساء إليك).

وأخيرًا تجئ الشريعة القرآن أفتراها تقرر كلا المبدأين فى نسق واحد "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٩٠)" .[النحل].

هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة ، ولبنات متراكمة فى بنيان الدين والأخلاق، وسياسة المجتمع، وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها أن أكملت البنيان وملأت ما بقى فيها من فراغ، وإنها فى الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية ، الذى يمسك أركان البناء .

وصدق رسول الله ﷺ حين صور الرسالات السماوية فى جملتها أحسن تصوير فقال : "**مثلى ومثل الأنبياء من قبلى، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة و أنا خاتم النبيين**".

وبذلك يتبين لنا أن مطابقة الشريعة الإسلامية لغيرها من الشرائع السابقة، إنما هى فى الأصول و الكليات، لا فى الفروع و الجزئيات[١]".

النظام الخلقى:

الشعور الخلقى فى الإنسانية شعور فطرى فطره عليه الخالق تعالى ، على حب بعض صفات الإنسانية وكراهة أخرى، وهو وإن كان متفاوتًا وعلى أقدار فى مختلف أفراد البشر، إلا أن الشعور العام بغض النظر عن الأفراد، لا يزال يحكم على بعض السجايا الخلقية بالحسن وعلى بعضها بالقبح فى كل زمان .

فالصدق والأمانة والعدالة والوفاء بالعهد مثلًا، كل ذلك مما عدت الإنسانية من الصفات الخلقية الجديرة بالثناء والمدح فى كل زمن من الأزمان ، ولم يأت على الإنسانية حين من الدهر استحسنت فيه الكذب والظلم والغدر والخيانة .

وهكذا أمر المواساة والتراحم والسخاء وسعه الصدر والتسامح ، فإن كل ذلك مما لم تنظر إليه الإنسانية، إلا بنظرة التقدير والإجلال فى كل زمن من الأزمان ، ثم إن الإنسانية ما زالت تكرم الصبر و الأناة والثبات وعلو الهمة والبسالة وتنظر إليها بعين الإجلال ... الخ، هذه الصفات الشخصية الفردية وكذلك

(١)– كتاب (**بنو إسرائيل فى القرآن و السنة**)، الناشر دار الشروق ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ نقلا عن بحث للمرحوم الشيخ محمد عبدالله دراز

السجايا والطباع خيرها وشرها، لا يزال على ما كان عليه فى كل الأزمان السابقة فما نظرت الإنسانية إلى أعمال السرقة والزنا والقتل والتلصص والتزوير والارتشاء والبذاءة وإيذاء الناس و الغيبة والنميمة والحسد والقذف والإفساد فى الأرض نظرة تقديس أو تمجيد .

وخلاصة القول أن الإنسانية لا تحترم إلا الصادقين فى أقوالهم والذين يوثق بهم ويعتمد عليهم، والذين ظاهرهم وباطنهم سواء وأعمالهم تطابق أقوالهم.

فالقواعد الخلقية هى حقائق ثابتة عالمية وجميع البشر على معرفة بها فليس الخير والشر بحاجة إلى البحث عنه ومعرفته والأديان كلها تجتمع وتتفق حول الأسس الأخلاقية وقد سمى القرآن الخير بالمعروف والشر بالمنكر، ومراده بذلك إن المعروف ما عرفه الناس واعتدوا به واستأنسوه وأن المنكر ما أنكره الناس واشمأزوا منه واستنكروه[١] و فى هذا يقول الله تعالى: "فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨)".[الشمس].

وجدير بالذكر أن النظام الأخلاقى وأن اتفق فى كلياته فإن هناك اختلافات قد تتباين وفق حال كل مجتمع وقيمه وحضارته.

فالنصرانية و الإسلام يتفقان فى كثير من المبادئ الخلقية والصفات الحميدة مثل الوفاء والأمانة والتعاطف والسماحة وكتمان السر وغير ذلك والفروق التى تفصل بينهما الآن سببها التقدم المادى المدنى الذى دخل المجتمعات الغربية مثل

(١) من كتاب(**نظام الحياة فى الإسلام**)، أبو الأعلى المودودى، ص ١٥ وما بعدها ط دار الاعتصام .

العلاقات الجنسية غير المشروعة والشذوذ الجنسى الذى أبيح فى بعض المجتمعات الغربية بشكل شيطانى النزعة والرهبانية، وأكل لحم الخنزير وشرب الخمور والمسكرات وتعاطى المخدرات وتوارث الخطيئة تمشيًا مع تعاليم بولس والنظرة الاجتماعية للاقتصاد والقيم الاستهلاكية والمسارات الخاطئة كالمراقص والملاهى الشاذة عن القيم الجادة والعرى للنساء واغتراف الملذات بلا وازع أو ضابط.

ومن الشذوذ الذى تأباه الأخلاق فى كل الرسالات السماوية ما سمعناه وكتب عن مصادر بريطانية، أن الحكومة البريطانية تعتزم التقدم بمشروع قانون لإعطاء الرفقة غير الشرعية خارج إطار الزواج حقوقًا قانونية خاصة فى العقارات والمعنى الأشخاص الذين يعيشون معا دون زواج وقدروا فى بريطانيا بحوالى مليون شخص، وفى تزايد مستمر ويطالب الرفقاء من جنس واحد أى الشواذ [١] والذين أبيح لهم المعاشرة مقننة فى إنجلترا و هذا ابتلاء من الله و خروج على كل القيم الأخلاقية و الدينية مما أنبتته المدنية المعاصرة .

التربية الأخلاقية و الدين:

أرسل الله الوحى على أنبيائه حاملًا للرسالة الإلهية مبنية على أسس أخلاقية لصالح البشر فالله لا يستفيد من الإنسان أن صلحت قيمه وأخلاقه وكان فى جانب الخير، ولا يضار أن فسدت قيمه الأخلاقية أو بعدت عما وضعه الله له من سمات أخلاقية فالخلق هم أصحاب المصلحة فى أن تسود بينهم الأخلاق ومن هنا تتوافق جميع الأديان فى أسس التربية الأخلاقية ولا يختلف فيها لأن الإنسانية وقيمها الأخلاقية تختلف وتشكل أساس مشترك بين الرسالات السماوية. فإذا تحدثنا عن الإسلام والأخلاق أو الأخلاق فى الإسلام فى كتاب الله تعالى (القرآن) أو فى السنة

(١) جريدة الأهرام، فى ١٩٩٦/١/٦ .

الشريفة قوليه أو فعلية أو تقريرية فهذا عرض لجانب مشترك بين الرسالات السماوية لا خلاف فيه ويربطها ببعضها البعض لأن المنبع واحد ودلالة على أنها لا تفترق فى الأصول العامة وإن تباينت فى بعض الشعائر التعبدية، وإن الخلاف فى التوقيت الزمنى بين الرسالات ومكانها وأنها كلها تعنى بتربية الشخص المؤمن وارتباطه القوى بالمثل الإنسانية العليا والأخلاق الحميدة والعقائد الصحيحة تقتضيه الإيمان بالله ورسالاته والتدين الحق فهذا أمر مرتبط بالإيمان والعقيدة، ومكون من مكونات الحضارة وقد قال الدكتور (البرت ستنشر) الفيلسوف الألمانى: "إن الحضارة فى جوهرها أخلاقية، إذا أعوز الأساس الأخلاقى تداعت الحضارة، حتى لو كانت العوامل الفعلية والخلاقة تعمل عملا فى اتجاهات أخرى"(١) .

فحسن الخلق منزلة كبيرة عند الله، فعن عائشة – رضى الله – عنها قالت : **سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار(٢)".**

فالمجال الروحى تشكله العقيدة والأخلاق والتشريع وقد بعدت حضارة الغرب عن هذا الجانب واصطبغت بالصبغة المادية وهذا عامل من العوامل التى تؤدى لانهيار الحضارة، فدين هذا العصر المادية ، فالنصرانية التى تعزز القيم الروحية والأخلاقية كدين فقدت على يد الغرب روحانيتها ويتعين أن لا تخلط بين الحضارة والمدنية فقد يكون الإنسان متمديناً بلا تحضر فالأمة الإسلامية كانت أمة متحضرة أفادت العالم الغربى من خلال اتصاله بمراكز إشعاع الأمة الإسلامية وإن كان الآن بعض المسلمين أخذوا مظاهر التمدن الغربية دون عناصر الحضارة

(١) **(الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام)**، للدكتور عبد الحميد متولى ص ١٠ .

(٢) أخرجه **(البخاري في الأدب المفرد)**.

الحديثة ويتعين أن نبنى مشروعنا الحضارى بأسباب ومقومات الحضارة التى فقدتها الأمة الإسلامية ومنها القيم الأخلاقية فى القرآن وفى السنة النبوية وهما المصدران لشريعة الإسلام ولم يتركا أى جانب من الخلق السوى دون الدعوة إليه فالدعوة الإسلامية فى مجملها دعوة أخلاقية مستوحية للقيم التى دعت إليها الرسالات السماوية ومكملة لها بأنبل القيم وقد قال ﷺ :

"**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**[١]".

والقرآن الكريم فى صيغته العامة عبارة عن أوامر ونواهى صادرة عن الله سبحانه وتعالى للبشر كى يلتزموا بها وقد وصف الرسول بأنه (**كان خلقه القرآن**)[=] أى يتبع ما يأمر به ويتجنب ما ينهى عنه ويتمسك بأدبه [٢]

فالمنهج الإسلامى يبدأ بتنظيم المجتمع ويتدرج فيه فيبدأ بالإنسان وعلاقته بربه ثم فى محيط الأسرة ثم يمتد إلى محيط الجماعة فى الوطن ثم سائر الأمم لان هذا يؤدى إلى التكافل الإنسانى و قد وصف الرسول فى كتابه العزيز بالأخلاق الكريمة فقال : "**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٤)**".[القلم].

والحديث عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: "**أكمل المؤمنين أيمانًا أحسنهم خلقًا**"[٣].

وقال ﷺ :"**وإن من خياركم أحسنكم أخلاقا**"[١].

(١) أخرجه (**مسلم في صحيحه**).

(=) جزء من حدث عائشة و هو عند البخارى فى الصحيح و البيهقى فى دلائل النبوة .

(٢) كتاب الأستاذ عبد الكريم قاسم سعيد (**قضايا وإشكاليات التصوف**)، عن أحمد بن علوان ص ١٧٨ مكتبة مراد صنعاء

(٣) أخرجه (**أبو الشيخ الأصبهاني في الأخلاق**).

وقال ﷺ : **"الدين المعاملة".**

فمن يؤمن بالعقيدة الإلهية والتوحيد عليه أن يتمثل خاتم الكتب السماوية (القــرآن) بأوامره ونواهيه :

"يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُــونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِــنْ اللَّــهِ نُــورٌ وَكِتَــابٌ مُبِينٌ(١٥)يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِــنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(١٦)".[المائدة].

وفى ظلال هذه الهداية يكون المسلم الذى تتمثل فيه صورة الإسلام ، والتى يراها فيه الناس فيرون فيه الإسلام وهذا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر الدعوة إذ كانت أولى خطواته فى درب الإسلام الطويل هى التربيــة الذاتية للمسلم بأن يتطابق السلوك للمبادئ الإسلامية و تنقية الأخلاق للفرد المســلم من أدنى شائبة تحسب على الرسالة تحت عنوان أن الفرد المســلم هــو مــرآة الإسلام ، فكان البدء صنع رجال يتجسد فيهم الإسلام فإذا هم مصاحف تمشى على الأرض وانتشروا فى أنحاء الدنيا. فرأى الناس فيهم نماذج من البشر يمثلون منهجًا للحياة فريدًا ، جسدوا الفرد المؤمن الصادق فكانت القدوة فأقبل الناس يدخلون فــى دين الله أفواجًا لا بحد السيف بقول فيه افتراء وإنما للقدوة التــى راؤهــا أمامــهم والنماذج الحية التى تحتذى وكان هذا سبب انتشار الإسلام فى إفريقيا وآسيا على يد التجار من معاملتهم وتعاملهم مع الآخرين فى صدقهم و أدائهم اليومى وزهدهــم وتواضعهم .

(٤) أخرجه **(مسلم في صحيحه)**.

فالآداب السامية والأخلاق الحميدة هى نهج الأديان السماوية لإصلاح المجتمع الإنسانى ودعم بنائه ، والقرآن اصدق ما يعبر عن هذه الرؤية وأصلها بمنهج ربانى وإذا أردنا النهضة السليمة والحياة الكريمة فلن تكون إلا فى ظل الآداب والأخلاق السوية فى عالم طغت فيه الماديات وسيطرت على القلوب والعقول ولنقتطف من ثمار الأخلاق السوية الذى لا ينضب من مصادرنا الإسلامية الكتاب والسنة ما يتعين أن يكون عليه سلوك الفرد مع نفسه ومع أسرته وأهله وعشيرته وسلوكه فى المجتمع الذى يعيش فيه وهذا هو المعيار الذى يجب أن تقاس به الإنسانية فى الحياة لا مال أو جاه أو سلطان وإنما العمل الصالح والقدوة الطيبة.

فالأخلاق فى الإسلام تندرج فى باب المعاملات وتشكل مساحة كبرى فى الإسلام فهى عبارة عن تعاليم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل العزيز الحكيم، أخلاق سماوية نزلت لسعادة البشرية وصفات روحانية لصلاح الإنسانية ورحمة بالعالمين فالإسلام يكمل باستقرار الأخلاق فى قلب وضمير الإنسانية وقتئذ تكون للشريعة بمفهومها الصحيح مجال حقيقى للتطبيق لأنها حينئذ تجد الأرضية الصالحة لأنها وجدت المسلم الحق والحديث "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**[1]"۰

وهذا هو طريق البدء وطريق الإيمان الحق، بدلا من التمسك بالكلمات الجوفاء و الشعارات التى لا تفيد ۰

الإيمان وطاعة الله:

"بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(١١٧)".[البقرة].

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه)۰

وقد قال رسول الله ﷺ: "**الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل**"[١] .

فالعمل الصالح أساس للعبد الصالح فالعبادة ليست طقوس وشعائر فقط إنما هى أشمل من ذلك وأعم فالإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته أمـــر مفــروض ولا يكمل الإيمان إلا باتباع مقوماته الأخرى كما حددتها الآية وهى إنفاق المال رغـــم (عن: تأملات في الرسالات السماوية) شهوته وحبه وسطوته على النفس البشرية فى مصارف حددتها الآية تضمن التكافل الاجتماعى وتدعم الأخوة الإنسانية وحدب الإنسان على أخيه الإنسان بدء مـن ذوى قرباه إلى اليتيم المحتاج إلى صاحب المسألة، لمرض أو حاجة وعلى الغرباء الذين لا يجدون مالاً يسترهم وعتق الأرقاء وخلاصهم من العبودية هذا الإيـــواء للإنســـان فرض عليه من الفروض الدينية الأخلاقية .

قال الله تعالى: "**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَـــوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(١١)**".[الرعد].

وفى الحديث: "**ألا إن فى الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كلـــه و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**[٢]".

القلب أساس الإيمان حتى المال فإنه مشروط أخلاقيًا من أين اكتسبه وفيمـــا أنفقه ؟ لأن الإنسانية مستخلفون فيه من عند الله يجب أن يراعى فيـــه شـــروط الله فعندما خلقه رزقه حتى يتحلى بالإيمان عن عقيدة سليمة مكملة لعقيدته الدينية فـــهذه عبادة أخرى يتمثل فيها الارتقاء بالنفس البشرية والسمو بها عن الأثـــرة والأنانيـــة وقرن ذلك بأداء الصلاة وأكد بربطها بإيتاء الزكاة وهذا كله مرتبط بالوفاء بالعـــهد

---

(٢)جزء من حديث رواه (مسلم في صحيحه).

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه).

مهما تكبد الإنسان طالما أنه وعد فيفى مع الصبر على الشدائد والمكاره وهنا يكمل الإيمان وتكون تقوى الله بأداء فرائض متكاملة، وليس مظهرها الشكلى فى صلوات تؤدى ولكن جوهر الإيمان واستكمال العبودية فى الاستجابة لما رسمه الله للعابد السوى المتكامل مظهره مع مخبره.

"وقد سأل سيدنا عمر عن شخص معين فأجابه أحد الحاضرين بحسن سمعته وسلامة طويته فسأله سيدنا عمر هل هو جاره أو صاحبه فى عمل أو شاركه أو سافر معه فأجابه انه لا يعرف عنه أكثر من أنه يراه فى المسجد يصلى ويؤدى الفرائض فى مواعيدها فقال له سيدنا عمر إذا لا تعرفه".

هذا هو الدين وهذا هو الإيمان الحق استجابة للشريعة الإلهية وقد صور القرآن والأحاديث النبوية الكون الإنسان الصالح وفق ما يقتضيه القانون الخلقى امتثالاً لله ولمرضاته والسير على منهج خلقى فى الحياة وهاكم بعض أمثلة على هذا النظام الأخلاقى الذى يجب أن يتحلى به المؤمن:

ففيما يتعلق بصلة الرحم يقول النبيﷺ: "**لا يدخل الجنة قاطع رحم**[١]".

ويقول ﷺ : "**اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من توب أسرع من صلة الرحم**[٢]"

ويقول ﷺ : "**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليصل رحمه**[٣]".

ويقول "**إن أفضل الفضائل أن تصل من قطعك و تعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك**[١]".

---

(١) ذكره السيوطى فى (**الجامع الكبير**) وعزاه للطبرانى فى (**الأوسط**) ولأصحاب السنن .

(٢) ذكره البخاري في (**الأدب المفرد**).

(٣) أخرجه (مسلم فى الصحيح).

(٤) أخرجه (**البخاري في الأدب المفرد**).

وقد جاء في الحديث القدسي: "أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته[٢]".

وفي الحديث النبوي: "أفضل الصدقة صدقة على ذى الرحم الكاشح أى الذى يضمر عداوته[٣]".

وقال تعالى: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(٢١٤)".[الشعراء].

"يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(١)".[النساء].

"أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ(٢٣)أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا(٢٤)".[محمد].

البر بالوالدين:

جاء في الحديث:" إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات[٣]".

وقال في حديث آخر: " كل الذنوب يؤخر الله ما يشاء منها إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجل لصاحبه فى الحياة الدنيا قبل الممات[٤]".

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٢) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٣) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٤) ذكره السيوطي في (الجامع الكبير) وعزاه للطبرانى في (الأوسط).

وقال النبي ﷺ:" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، قلنا بلى يا رسول الله ، قال الإشراك بالله، وعقوق الوالدين[1]".

قال الله تعالى :

"وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا(٢٣)وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا(٢٤)".[الإسراء].

"وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(١٤)وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٥)".[لقمان].

وهكذا نجد كثيرًا من آيات القرآن والأحاديث النبوية تدعوا إلى البر بالوالدين وتحث على ذلك، وقد ربط الله بين عبادته والبر بالوالدين ، وإن كان الله يغفر ما يشاء إلا انه لا يغفر لمن يشرك به أما بالنسبة للوالدين فقد أمرنا أن لا نطيعهما إن حاولا جذب الأبناء للشرك بالله وفى الوقت نفسه لم يحرض الأبناء على الأباء والأمهات رغم أن الشرك جرم كبير ورغم شرك الآباء والأمهات فإن الله أمرنا بطاعتهما مع عدم الاستجابة لهما فى الشرك والاستمرار بالبر بهما رغم أن الشرك أثم لا يغتفر ، فهذه منزله الوالدين فى القرآن والحديث .

[1] أخرجه (الترمذى في سننه).

وفي الحديث: "الكبائــر الإشراك بالله وعــقوق الوالــدين وقتل النفس واليميــن الغموس[1]" .

وقال ﷺ : "كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات[2]".

وقد سأل رجل من بنى سلمه رسول الله ﷺ : يا رسول الله هل بقى من بر أبــوى شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال: "نعم الصلاة علهيما والاستغفار لهما، وأنفــاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الــرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما[3]" .

وأما عن رعاية اليتيم فقد توفرت آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ علي رعايته وكفالــة والإحسان إليه ففي الحديث: "خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحســن إليــه، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه[4]" .

فاليتيم الصغير ضعيف ليس له من حماية إلا الله وكم رأينا من أكل مــال اليتامى وإهدار حقوقهم، ومن ثم شدد الإسلام على ذلك ويا ليت النــاس يراعــون خلق القرآن، بعد أن أضاعوا الدين فى هذا العصر.

قال الله تعالى: "وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًــا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٩)إِنَّ الَّذِينَ يَــأْكُلُونَ

(١) اليمين الغموس: أي الكاذب وسمي غموساً لأنه يغمس صاحبه في النار، والحديث أخرجــه ابن ماجة في سننه.

(٢) ذكره السيوطي في (الجامع الكبير)، وعزاه للطبراني في (الأوسط).

(٣) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٤) أخرجه (مسلم في صحيحه).

أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا(١٠)".[النساء].

وقال تعالي: "**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا(٢)**".[النساء].

وأما عن الجار فقد أوصي النبي ﷺ بالإحسان إليه وبره وإكرامه فمن الحقوق الأخلاقية التى حض عليها الإسلام وأعطاها أهمية كبرى هي حق الجار حيث يحض الله ورسوله على رعاية الجار وصون حرمته وقد جاء فى الحديث الشريف: "**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**[١]".

وقد ربط القرآن بين حرمة الجار بالعقيدة وبذى القربى فى قوله تعالى :

"**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا(٣٦)**".[النساء].

فالجار هنا قد استوعبت كل أشكال الجوار سواء فى السكن أو السوق أو المواصلات أو الشارع فكل هذه أشكال جوار حتى لو كانت الجيرة لدقائق أو أيام أو ساعات أو دوما ومن حقوق الجوار أن يعود الإنسان جاره إذا مرض وأن يساعده إذا احتاج وأن لا يؤذى جاره، وأن يواسيه فى شئونه فى الحياة ويسانده والأحاديث في هذا المعني كثيرة نذكر منها حديث النبي ﷺ: "**والله لا يؤمن–يعنى إيمانا**

(١) أخرجه (أخرجه مسلم في صحيحه).

تاماً- والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قالها ثلاث مرات، قيل من يا رسول الله؟، قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه - أى شروره[١] " .

وقال ﷺ : **"والله ما آمن والله ما آمن من لم يأمن جاره بوائقه[٢]" .**

وقال ﷺ : **"ليس المؤمن الذى يشبع، وجاره جائع فى جنبه[٣]" .**

وقال ﷺ : **"ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر ، فليقل خيرا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ...[٣]" .**

والجار هنا سواء كان مسلمًا أو يهودياً أو نصرانياً فالجار يراعى حقه أيا كان دينه وكان هذا هو سلوك النبى لجاره اليهودى الذى أذاه كثيراً ولكن الرسول راعى حقوقه .

وقال أيضًا ﷺ : في الوصية بالجار ومشاركته في أفراحه وأحزانه وغناه وفقره والحديث: **"لا يؤمن أحدكم بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم[٤]" .**

وقال **"الراحمون يرحمهم الرحمن[٥]" .**

وفي حديث آخر: **"إن استقرضك اقرضه، وإن استعانك أعنه، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته وإن افتقر عدت عليه وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن مات اتبعت جنازته ولا تستطل عليه البناء فتحجب عنه الريح**

(٢) أخرجه (أخرجه مسلم في صحيحه) .

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه) .

(٢) أخرجه (أبو داود وأصحاب السنن) .

(٣) أخرجه (مسلم في صحيحه) .

(٤) أخرجه (مسلم في صحيحه) .

(٥) أخرجه (البخاري في الأدب المفرد) .

(٦) أخرجه (مسلم في صحيحه) .

إلا بإذنه و أن اشتريت فاكهة فاهد له، وإن لم تفعل فادخل بها سرًا ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده[٦]".

وعن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ : **"يا آبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءهــا وتعاهد جيرانك[١]".**

والجيران ثلاثة؛ جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقــان وهــو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاث حقوق، مسلم له حق الجــوار وحق الإسلام وحق الرحم، وقد جاء فى الحديث: **"ومن كان يؤمن بــالله واليــوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرًا أو ليسكت[٢]".**

"جاء رجل إلى الرسول يشكو أخلاق جاره فقال له كف آذاك واصــبر علــى آذاه ، وكفى بالموت مفرقًا[٣]".

فليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ولكن حسن الجوار الصبر على أذى الجار حيث يقول ﷺ : **"خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخــير الجــيران خيرهم لجاره".**

"وعن عائشة رضى الله عنها : قالت يا رسول الله إن لى جــارين فــإلى أيــهما أهدى؟ قال إلى أقربهما منك باباً[٤]".

ومن القصص الإسلامية المعبرة عن حسن الجوار قصة سعيد بن العــاص عندما أراد شراء بيت جار له الذى ساومه فى الثمن فقال له : هذا ثمن الدار وبكــم تشترى جوار سعيد .

(١) أخرجه (البخاري في صحيحه).

(٢) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٣) أخرجه (الترمذي في سننه).

(٤) أخرجه (البخاري في صحيحه).

فحق الجوار لم يرد فى أى وثيقة من وثائق حقوق الإنسانية و لا يعتبره الغرب، ولكن الإسلام أوصله لمرحلة القداسة و الوجوبية و المحاسبة عليه، وجعله من حقوق الله التى يجب أن تصان فى المجتمع، وتلقى الرعاية الواجبة

ومن الأخلاق التي أمر الله بها وحث النبي ﷺ عليها ألا نسخر من الآخرين ولا نستهزأ بهم ولا نتنابز بالألقاب ولا يغتب بعضنا بعضاً ولا نسيئ الظن ولا نتجسس علي الآخرين فهذه أخلاق غير المؤمنين من الفسقة والفجرة، حيث قال تعالى: **"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ(١١)"**.[الحجرات].

قال الله تعالى: **"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ(١٢)"**.[الحجرات].

قال الله تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ[١] إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(٣٦)".**[الإسراء].**

(١) أي لا تتبع ما لم تعلم، بأن تقول رأيت وما رأيت، وسمعت وما سمعت، فترمي الآخرين بالظن والاتهام وأنت ليس لك به علم.

فالإسلام نهى المسلم عن اتباع مفاسد الأقوال ومساوئ الأفعال التى تتعلق بالفرد أو المجتمع فحذرهم من الغيبة والنميمة وسوء الظن والكذب والسباب وغيرهما من بذىء السلوك غير المرغوب تفشيه فى المجتمع حتى يبعد الإنسان المسلم السوى عن مفاسد الأخلاق ومساوئها .

وقد نهى الله ونهي الرسول ﷺ عن شهادة الزور، فالزور يعنى مجانبة الحق وقول الكذب فهو الباطل والضلال لذلك نهى الإسلام عن الشهادة بالزور لأنها كذب والكذب افتراء وكتمان للشهادة مما يضيع حقوق الإنسان ووصف الحق تبارك وتعالى عباده المخلصين فى سورة الفرقان بصفات جليلة ، فقال تعالى:

"وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا(٧٢)".[الفرقان].

"وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(٢٨٣)".[البقرة].

فالشهادة بالصدق "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(١٥٢)".[الأنعام].

وقوله تعالى :

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا(١٣٥)".[النساء].

وشهادة الزور من أكبر الكبائر فى الإسلام و قد قال ﷺ :

"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الشرك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: "ألا شهادة الزور وقول الزور وكررها و ما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[١]"

ومن الأوامر التي أمرالله بها، وجاءت واضحة في الحث عليها من رسول الله ﷺ النصيحة لله ورسوله، وتكون باتباع سنة الرسول والاقتداء به فى أقواله وأفعاله والنصيحة لأئمة المسلمين والمقصود بهم الحكام تكون بالصراحة فى مواجهة الأمور لأنهم بشر ليست لهم عصمة فإذا اقتنع المؤمن بخطأ فى سياسة الحاكم يجب أن يرشده للإصلاح والحديث: "**الساكت عن الحق شيطان أخرس[٢]**"

قد اعتبر الرسول أن من الجهاد: "**كلمة حق أمام سلطان جائر[٣]**".

والحديث: "**من قام فى وجه حاكم ظالم فقتله فله أجر شهيد[٤]**".

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه)، وقال العلماء: وذلك لشناعة وعاقبة شاهد الزور.

(٢) أخرجه (أبو داود في سننه).

(٣) أخرجه (مسلم بلفظ إن من أعظم الجهاد).

(٤) أخرجه (ابن ماجة في سننه).

ومن الأخلاق الإسلامية التي يجب أن يحرص عليها المسلم ألا يكون إمعة وأن يكون شجاعاً واضحاً في الرأى:

حديث: "**لا يكون أحدكم إمعة، يقول "إن أحسن الناس أحسنت، ولا ينبغى لامرئ شهد مقامًا فيه حق إلا تكلم به، فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقًا هو له**[١]".

وقد جاء في الحديث القدسى: "**لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها**" إذًا فلا ينبغى لمؤمن أن يكتم الحق ما دام فى ضمان الله تعالى، فالصراحة من مقومات شخصية المسلم.

ومن أخلاق الإسلام حرمة المسكن وآداب استئذان البيوت حيث قال الله تعالى:

"**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٢٧)فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(٢٨)لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ(٢٩)**".[النور].

هذه آداب دخول المساكن وحرمتها فى الإسلام فهى آداب شرعية أدب الله بها عباده ، والحديث: "**إذا استأذن أحدكم ثلاث فلم يؤذن له فلينصرف**[٢]".

"**لا تأتوا البيوت من أبوابها ولكن ائتوها من جوانبها ، فاستأذنوا فإن أذن لكم فادخلوا وإلا فارجعوا**[١] ".

(٥) أخرجه (الترمذي في سننه).

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه).

ولم تكن حدود الأخلاق الإسلامية في حدود الظاهر والمقدور عليه من العمال فقط بل طلب الإسلام من المسلم أن يجاهد نفسه من أجل إرساء قواعد هذه الأخلاق بحيث تصبح متأصلة في النفس، فمثلا عند الغضب أمر الله بكظم الغيظ فقال:

"الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣٤)".[آل عمران].

فمن غضب وكظم غيظه وعفا فله ثواب كبير، وهذا ضبط للنفس عن رد الفعل والعصبية والانفعال وما يستتبعه ذلك من خطأ وسوء تقدير وأخطار قد تحيق به، والصبر من الشيم الحميدة والأخلاق الكريمة ، فمن يعفو كان من المحسنين، لأنه يتنازل عن حقه الشرعى فى رد السيئة بمثلها و فوق ذلك يعفو فلا يحمل فى نفسه غيظاً ولا غلا وفى هذا انتصارعلى الذاتية.

ومن الأمور التي أمر الإسلام بها لتربية النفس وجعلها لله في الظاهر والباطن الاعتدال فى الملبس والمأكل والإنفاق،قال الله تعالى:

"وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا(٦٧)".[الفرقان].

(٢) أخرجه **(الحكيم الترمذي في نوادر الأصول)**، أى ائتوها من جوانبها وعند طرق الباب لا تقف أمام الباب ولكن تقف على جانب الباب حتى لا ينكشف أمامك ما بداخل البيت إذا وقفت قبالة الباب عند فتحه وأنت أمامه.

"قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣٢)قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٣٣)".[الأعراف].

وفي الحديث: **"ما ملأ آدم وعاءً شرًا من بطنه فإذا كان لا محالة فاعل ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه[١]"**.

فشرع الله من قرآن وسنة يدعو الإنسان للاعتدال فى كل شيء فلا يسرف فى أكل أو إنفاق فلا يمسك ولا يبذر فالوسطية والاعتدال مطلوب والتنعم بالحياة بلا تقشف أو إمساك مطلوب .

وقال الله تعالى: "انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا(٢١)".[الإسراء].

وقد أمرنا أن نأخذ زينتنا عند كل مسجد لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وقد ذكر ذلك فى كتاب الله، وفي الحديث عن الرسول ﷺ: **"من كان له شعر فليكرم شعره ، إن الله جميل يحب الجمال[٢]"**.

(١) أخرجه **(البخاري في الأدب المفرد)**.

(٢) أخرجه **(أحمد في مسندة ٢/٧٨٥)**.

فالزينة هى من النظافة والوضوء والتطيب زينه مستحبة وقد أمرنا بــها الله يوم الجمعة بحديث صحيح: "**اغتسلوا يوم الجمعة واغســـلوا رؤوســكم وإن لــم تكونوا جنبًا وأصيبوا من الطيب**[1]" .

وقد ورد عن الأمام احمد والنسائى عن جابر رضى الله عنه انه قال: "أتانــا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا ، فرأى رجلا عليه ثياب وسخه ، فقال : مــا كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه .

فهنا النظافة والتزين والتمتع بالحياة والإنفاق بلا إسراف أو تبذير كل هــذه أسس ومقومات موجودة فى الإسلام ومكملة للإيمان، ومن النظافة أيضًا التســوك بالسواك وقد جاء عن السيدة عائشة: "**إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كــان لا يرقد ليلا أو نهارا فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ وقال: "لولا أن اشــق علــى أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**[2]" .

فالله لم يحرم الزينة أو التمتع بطيبات الحياة .

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(١٧٢)".[البقرة].

"إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًــا وَآلَ إِبْرَاهِيــمَ وَآلَ عِمْــرَانَ عَلَــى الْعَالَمِينَ(٣٣)".[الأعراف].

(٣) أخرجه (**مسلم بمعناه فى الصحيح**) كتاب الطهارة.

(١) حديث: **متفق عليه**.

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَـدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(٨٧)وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُـوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ(٨٨)".[المائدة].

"وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيـــهَا مَعَــايِشَ قَلِيلًــا مَــا تَشْكُرُونَ(١٠)".[الأعراف].

"وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَــكَ مِــنْ الدُّنْيَــا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَــا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧)".[القصص].

"وَالْخَيْلَ وَالْبِغَــالَ وَالْحَمِــيرَ لِتَرْكَبُوهَــا وَزِينَــةً وَيَخْلُــقُ مَــا لَا تَعْلَمُونَ(٨)".[النحل].

والجدير بالذكر أن هذه كانت وسائل النقل المعروف للقرون السابقة ومــن أسباب الرفاهية والمتعة والزينة وقرنت بقوله تعالى: **"ويخلق ما لا تعلمــون"** والتفسير تأكيد على أنه فى المستقبل ستوجد وسائل نقل أخرى لا تعلموها ســوف يصل إليها الإنسان بقدرة الله وعظمته وأنتم لا تعلموا عنها شيئًا لأنها من الغيبيــات وقت نزول القرآن ثم وصل عقل الإنسان إلى صناعة الطائرات والبواخر الضخمــة والأقمار الصناعية ومراكب الفضاء وكلها من خلق الله الذى هيأ للإنسان الوصــول إلى معرفته بحل بعض الخوارق الكونية التى خلقها الله أصلًا .

فالله يحض الإنسان على التمتع بما فى الأرض من طيبات وأن لا تحــرم فيها ما أحله الله لأنها خالصة لنا فى الدنيا، وإنما حرم علينا الإثم والبغى بغير الحق

وألا نعتدى، فهو لا يمنعنا من أن نأخذ نصيبنا من متع الحياة بغير تزايد أو طغيان على العبادة وأداء الفروض أو اغتيال حقوق الآخرين أو العدوان وأن نأخذ بمتع الحياة فى هذا الإطار المرسوم ومصداقاً لذلك قصة حنظلة بن الربيع قال: "**لقينى أبو بكر الصديق رضى الله عنه : فقال كيف أنت يا حنظلة ؟ فقلت نافق حنظلة ! قال سبحان الله ما تقول ، قلت : نكون عند رسول الله فيذكرنا بالجنة والنار كأنا نراهم بالعين فإذا خرجنا من عنده عانقنا الأزواج والأولاد، ونسينا كثيرًا قال أبو بكر: فو الله إنا نتلقى مثل هذا**" .

قال حنظلة فانطلقت أنا وأبو بكر إلى رسول الله فقال ﷺ : "**والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندى لصافحتكم الملائكة على فراشكم وفى طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة قالها ثلاث مرات، أى ساعة للعبادة وساعة لمطالب دنياك والحياة** [١]" .

"**روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عمت، إن لربك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا وان لأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه**[٢]"

فالإسلام لا يحرم ولا يمنع التمتع بمتع الحياة والتحلى بزينتها لأنه دين سوى يراعى طبائع البشر ولكنه يدعو إلى التوازن والاعتدال وعدم الإسراف أو الإفراط حتى الغناء فكلامه حسنه حسن وقبيحه قبيح، وقد أستقبل الرسول ﷺ بالغناء عند قدومه للمدينة المنورة أول مرة وكانت المغنيات النساء، ولم يستنكر ذلك ، بل مازال هذا اللحن يعيش بيننا حتى الآن .

---

(١) أخرجه (**مسلم في صحيحه**) .

(٢) أخرجه (**الطبراني في الكبير ٣/٢٥**) .

البعد عن رشوة الحكام:

"وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(١٨٨)" .[البقرة].

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا(٢٩)".[النساء].

فالله يحرم أكل الأموال بالباطل أى دون وجه حق فى التعامل فى مال الآخرين وهذا نطاق التحريم كالنصب والسرقة والاستيلاء دون وجه حق أو خيانة أو بشهادة الزور أو اخذ المال باليمين الكاذب أو بعقود صوريه أو معاملات فاسدة وكذلك إعطاء المال (الرشوة) لموظفى الحكومة أو من بيدهم سلطة أو سلطان للاستيلاء بواسطتهم على أكل فريقا من الأموال سواء لليتامى أو غيرهم أو للحصول على حق ليس للراشى عن طريق القضاء أو الحكام بظلم للآخرين فهذا كله حرام وفى الحديث: **"لعن الرسول ﷺ الراشى والمرتشى والرائش الذى يتوسط بين الراشى والمرتشى[١]".**

التعاون والتآلف على الخير:

قال الله تعالى: **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ**

---

(١) أخرجه (أبو داود في سننه).

وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٢)" . [المائدة].

وفي الحديث : "**من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له**[١]" .

"**من كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له**[٢]" .

وقال : ﷺ "**ألا أنبئكم بأحبكم إلى وأقربكم منى يوم القيامة؟ قالوا بلى يا رسول الله: قال أحسنكم أخلاقًا، الموطاؤن أكتافًا الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**[٣]" .

وقد نهي الله ونهي النبي ﷺ عن النفاق والمدح لأنهما من الصفات المذمومة التي يجب ألا تكون في مسلم يؤمن بالله تعالي ففي الحديث يقول ﷺ: "**إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب**[٤]" .

ويقول ﷺ : "**شرار الناس يوم القيامة عند الله ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**[٥]" .

قال رجل لابن عمر رضى الله عنه يا خير الناس وابن خير الناس .

---

(٢) أخرجه (**مسلم في صحيحه**) .

(١) أخرجه (**مسلم في صحيحه**) .

(٢) أخرجه (**مسلم في صحيحه**) .

(٣) أخرجه (**البخاري في صحيحه**) .

(٤) أخرجه (**مسلم في صحيحه**) .

فقال ابن عمر:"**ما أنا بخير الناس وما أنا بابن خير الناس ولكنى عبد من عباد الله، أرجو الله تعالى وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه**".

وعنه أيضًا أن أناسًا قالوا له: "**أنا ندخل على سلاطيننا، فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم قال ابن عمر: كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ**".

ومما يميز المسلم عن غيره ويجعله من أصحاب الأخلاق الرفيعة والهمة العالية العفو عند المقدرة، حيث يقول الله تعالي مبيناً الثواب العظيم الذي يناله المتحلي بهذا الخلق الرفيع فقال: "**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ(١٢٦)**" [النحل].

وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة فى المسجد وحوله الناس من مشركى قريش الذين آذوه وحاربوه فقال لهم ﷺ : "**يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ؟**

قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[١]".

ودخل على الرسول ﷺ أحد عامة الناس ليسلم وهو يرتعد خوفاً منه ﷺ فقال له: "**هون عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القدير**".

وهو القائل: "**من مكارم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك**".

وسئل ﷺ عن حسن الخلق فقال: "**أن تحسن لمن أساء إليك**[٢]".

---

(١) ذكره ابن الأثير في (**الكامل**)، في قصة فتح مكة.

(٢) أخرجه (**الترمذي في السنن**).

وأما عن التواضـــــع وخفض الجناح للمؤمنين من غير تكبر أو صلـف أو غرور فقد قال الله تعالى على لسان لقمان وهو ينصح ابنه فقال تعالى: "تُصَعِّـــرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَــالٍ فَخُورٍ(١٨)وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِـــنْ صَوْتِــكَ إِنَّ أَنكَــرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(١٩)"٠[لقمان]٠

وعن معاوية أنه قال: قال رسول الله ﷺ : "من أحب أن يتمثل له الرجـال فليتبوأ مقعده من النار[١]"٠

وقال أبى أمامة الباهلى :"خرج علينا رسول متوكئاً على عصا فقمنا إلـــيه فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضًا[٢]"٠

و قال تعالى: وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًـــا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا(٦٣)٠[الفرقان]٠

وقد أمر الله تعالى بأن نعامل الناس بالحسنى وأن ندعوهم بالحكمة وأن نجادلـــهم بالتي هي أحسن حيث قال: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـــةِ وَالْمَوْعِظَـــةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَـــنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(١٢٥)"٠[النحل]٠

(٣) أخرجه (مسلم في صحيحه)٠

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٥/٣)٠

"ادْفَــعْ بِــالَّتِي هِــيَ أَحْسَــنُ السَّــيِّئَةَ نَحْــنُ أَعْلَــــمُ بِمَـــا يَصِفُونَ(٩٦)"٠[المؤمنون]٠

وإذا كان المسلم صادق النية في دعوته للناس إلي الله تعالي ويرغب فـــي نيـل الأجر والثواب من الله تعالي في هداية الناس فإن عليه أن يصدق فعله قوله فـــلا يأمر الناس بخلق ويأتي غيره: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُــونَ مَـــا لَـــا تَفْعَلُونَ(٢)كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣)٠[الصف]٠

والابتعاد عن الغش والتدليس وإغراء الناس وإيهامهم عن طريـــق اليميـن الكذب، والحلف الغموس من الصفات التي يجب أن يحافظ المسلم عليها إن أراد أن يكون من أحسن الناس خلق وأعظمهم أجراً وأكبرهم ثواب وأفضلهم منزلة عند الله تعالي، فلا يقسم إلا لضرورة أو لحاجة تقتضي ذلك، علي أن يكون ذلك **الحلف بالله تعالي إذ** لا يجوز القسم بغير الله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاتـــه واللغو فى اليمين لا يؤاخذ الإنسان عليه رحمة من الله و لكـــن يحاســب على ما عقد الإنسان من اليمين لقوله تعالى : "يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِــي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَـــرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَـــةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّـــارَةُ أَيْمَـــانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُـــمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَـــانَكُمْ كَذَلِــكَ يُبَيِّــنُ اللَّــهُ لَكُــمْ آيَاتِــهِ لَعَلَّكُــمْ تَشْكُرُونَ(٨٩)"٠[المائدة]٠

وهذه صورة يحضنا الإسلام عليها كصدق مع النفس وتنفيذ العـــــهد بـــالله بالقسم الذى يتعهد به الإنسان فى يمينه، وإذا كان لغوًا فليمين اللغو كفارتـــه كمـــا حددتها الآية فى سورة المائدة إذ يدعونا الله إلى عدم الحنث بالقسم واحترامه .

وعلي المسلم الصادق أن يكون قدوة وأسوة لغيره من الناس مقتضيًا برسول الله ﷺ الذي نقتضي به جميعاً حيث يقول الله : "كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـــهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّـــهَ وَالْيَـــوْمَ الْـــآخِرَ وَذَكَـــرَ اللَّـــهَ كَثِيرًا(٢١)."[الأحزاب].

وبالمثل عندما دخل جيش المسلمين ديوان كسرى ولم يمد أحد من الجند يده على الغنائم وأرسلوها إلى عمر أمير المؤمنين سأل عليًّ – رضي الله عنه – وقـــال له: **"يا عليًّ عجبت كيف لا تقبل الجند على غنائمها فرد عليًّ**– كرم الله وجـــه–: **يا أمير المؤمنين لقد تعففت فتعفف الجند"** .

ومن أوامر الله تعالى الوفاء بالعهد والعقود والأمانة حيث يقول الله :

"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّـــهَ كَـــانَ سَـــمِيعًا بَصِيرًا(٥٨)".[النساء].

"وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَـــدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ(٩١)".[النحل].

"وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا(٣٤)" ٠[الإسراء]٠

"وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ(٨) ٠ "[المؤمنون]٠

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ(١)" ٠[المائدة]٠

وإضافة لما سبق حرم الله علينا لعن الآخرين بغير وجه حق لأن هذا يتنافى مع الخلق القويم حيث قيل لرسول الله ﷺ : "**أو لعنتهم يا رسول الله وقد كان يقاتلهم فرد قائلًا إنما بعثت رحمة، ولم أبعث لعانًا**[1]" ٠

فلعن الآخرين منهى عنه فى الإسلام تكريماً للإنسان، فالله كرم بنى آدم.

ولا يكتمل خلق المسلم إلا إذا أقام العدل وأحسن إلي الناس يقول تعالي:

"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا(٥٨)" ٠[النساء]٠

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(٨)" ٠[المائدة]٠

(١) أخرجه (البخاري في الأدب المفرد)٠

"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٩٠)"٠[النحل]٠

ولا يستطيع المسلم أن يقيم العدل وأن يحسن إلي الناس إلا إذا أصلح نفسه وهذبها ووقف في طريق شهواته ورغباته وغرائزه، ينظمها وفق شرع الله - عز وجل- فلا يصح أن يأمر الآخرون بالخير وإقامة العدل والإحسان، وينسي نفسه يقول الله تعالى: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(٤٤)"٠[البقرة]٠

وجاء في الحديث: "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس[١]"٠

إن الله تعالى أمرنا بالصدق والابتعاد عن الكذب والخيانة فالمسلم يترفع عن حملى هاتين الصفتين المذمومتين في شرع الله وهو دائماً شيمته الصدق، يزين به كلامه، ويبرز به فعله وتستقيم به هامته، يقول تعالى: "وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(١١٢)"٠[النساء]٠

"إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَاذِبُونَ(١٠٥)"٠[النحل]٠

---

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه)٠

وعن أبن مسعود – رضى الله عنه – قال: "قال رسول الله ﷺ : "**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الخير وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، و إياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا** [1].

ومن الحديث أيضاً: " **ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وإن صلى وإن زعم أنه مسلم، إذا حدث كذب – وإذا وعد اخلف – وإذا ائتمن خان**[2]".

وقال ﷺ : "**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت عليه كاذب**[3]".

هذا هو الإسلام و نظرته للكذب وخطورته واعتباره اعوجاج فى خلق الإنسانية، وللأسف نجد أن المسلمين فى عصرنا الحالى تفشى بينهم الكذب والنفاق مع تحريمه دينيا وأصبح متفشيًّا بينهم، والنفاق هو نوع من الكذب تفتق نية من يلوذون بالسلطان باعتباره المفتاح السحرى للقفز على أصحاب الحقوق، ولو صلح إسلامنا لصلحت أخلاقنا وأحوالنا.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٤٦٥).

(٢) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٣) أخرجه (أبو داود في سننه).

وإن كان الله سبحانه وتعالى قد أمر بالصدق ونهي عن الكذب والخيانة فأنه أمر أيضاً بالبعد عن تتبع عورات الناس والظن فيهم ظن السوء ففي الحديث: " **طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**[1]".

وقال ﷺ : "**إياكم و الظن فإن الظن أكذب الحديث**[2]".

ومن قبيل هذه الصفات المذمومة التي تتنافى مع خلق المسلم الصادق أن يفشي الزوج سر زوجته أو تفشي الزوجة سر زوجها حيث يقول المصطفي ﷺ : "**أن شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى أليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه**[3]".

وبالجملة فإن الأخلاق الطيبة الحسنة هي أمر الله للمؤمنين والمؤمنات وهي وصية رسول الله ﷺ إلي أتباعه في كل زمان ومكان، فمسلم بلا خلق حسن هو مسلم ينقصه الكثير من وصف المسلم الذي وعده الله بالجنة وقضي ألا يخلد في جهنم، يقول المصطفي ﷺ : "**أن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحسنكم خلقًا**[4]".

"**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم أو القائم**[5]".

---

(١) أخرجه (**أحمد في الزهد**).

(٢) أخرجه (**مسلم في صحيحه**).

(٣) أخرجه (**الترمذي في سننه**).

(١) أخرجه (**مسلم في صحيحه**).

(٢) أخرجه (**مسلم في صحيحه**).

وإلي جانب ما سبق ينبغي علي المسلم أن يتحلى بضبط النفس وصفاء القلب والرحمة مع إخوانه من المسلمين وبذا يكتمل خلقه الحسن وينال الخير العميم في الدنيا والآخرة حيث يقول سبحانه وتعالى: "ثُمَّ كَانَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ(١٧)". [البلد].

ويقول ﷺ في الحديث : "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم[١]".

ويقول : "إذا أراد الله لعبد خيرا جعله واعظا لنفسه[٢]".

ويقول : "ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه" .

ويقول : "والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام[٣]".

ويقول: "انزلوا الناس منازلهم[٤]".

ويقول الله تعالى : "حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا(٨٦)ا". [النساء].

ومن تمام خلق المسلم الابتعاد عن النفاق والرياء وإبطال خيره بالمن والأذى حيث يقول تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(٣) أخرجه (الترمذي في سننه)

(٤) أخرجه (الترمذى في سننه) وأحمد فى المسند (٤/ ١٦٥).

(٥) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٦) أخرجه (البخاري في الأدب المفرد).

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(٢٦٤)" ٠[البقرة]٠

ويقول تعالى : "يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا(٣٨)" ٠[النساء]٠

"تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ(٤٧)" ٠[الأنفال]٠

ومما يجدر بالذكر أنه لا يكتمل خلق المسلم علي الوجه المطلوب منه شرعا إلا إذا كان من المصلحين الذين لا يبغون فساداً في الأرض إذ لا يعقل أن يتحلى بكل ما سبق من أخلاق حسنة ثم يفقد هذه الصفة التي بها يحافظ علي حرمة النفس واحترام حياة الإنسان وحرمة ماله وعرضه، فمن مقاصد الشريعة الإسلامية حرمة النفس واحترام حياة الإنسان، لأن لها فى الإسلام قداسة تامة ويحرم و يجرم إراقة دم الإنسان بغير حق مشروع وفى القرآن الكريم ما يؤكد و يدعم ويفصح عن هذا الحق فى جميع الشرائع السماوية بقوله: "أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ(٣٢)" ٠[المائدة]٠

"وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا(٦٨)".[الفرقان].

الحديث: "من قتل دون دمه بغير حق فهو شهيد(١)".

فالرسالات السماوية كلها تحرم قتل الإنسان لأخيه الإنسان، ويعتبر الإسلام ذلك قتل للناس جميعًا، فمن قتل دون حق فإنه شهيد، والقتل بالحق أمر يقضي به الله، وتحكمه الشريعة الإسلامية التي توجب القصاص من القاتل ليرتدع غيره من الناس، ويشعر أهل المقتول بأن لهم حرمه وفى عهد عليٍّ أُتهم أحد المسلمين بقتل رجل من أهل الكتاب فأمر بقتل المسلم رغم عفو ولى الدم عنه، إلا أن سيدنا على رفض وأمر بالتنفيذ ولم يمنع قتله إلا بعد أن تأكد بنفسه من سداد الدية فقبل عفو ولى الدم وقال: للذمى حرمة فى الإسلام، ودمه حرام كحرمة دمنا وماله له حرمة كحرمة مالنا.

والأخلاق هي مقياس حضارة الأمم فإذا كانت الأخلاق الحسنة والطيبة هي المظهر العام والغالب للأمة يكون معنى ذلك أنها بلغت حداً من الرقي والرفعة، أما إذا كان سوء الخلق هو سمة هذه الأمة فإنها ولا شك تكون قد بلغت حداً من الانحطاط يودي بها إلي مدارك الهلاك والذل والخزى فإذا أرادنا أن نعرف مدى رقي الأمم وما وصلت إليه من حضارة، فعلينا أن ننظر إلي أخلاقها وسلوكها لا إلي اقتصادها وصناعتها وأسلحتها، فما قيمة أن تملك أمة من الأمم اقتصاداً قوياً إلا أن قانون الغابة يسود مجتمعها، فيصبح البقاء للأقوى وتنتشر الفحشاء وتعم الرذيلة، ويكثر الاغتصاب والشذوذ في السلوك، وتختفي صفات المروءة والشهامة ويحل مكانها الخسة والنذالة وبذاءة اللسان وفحش القول، فعلينا إذا أرادنا أن نتفوق علي

---

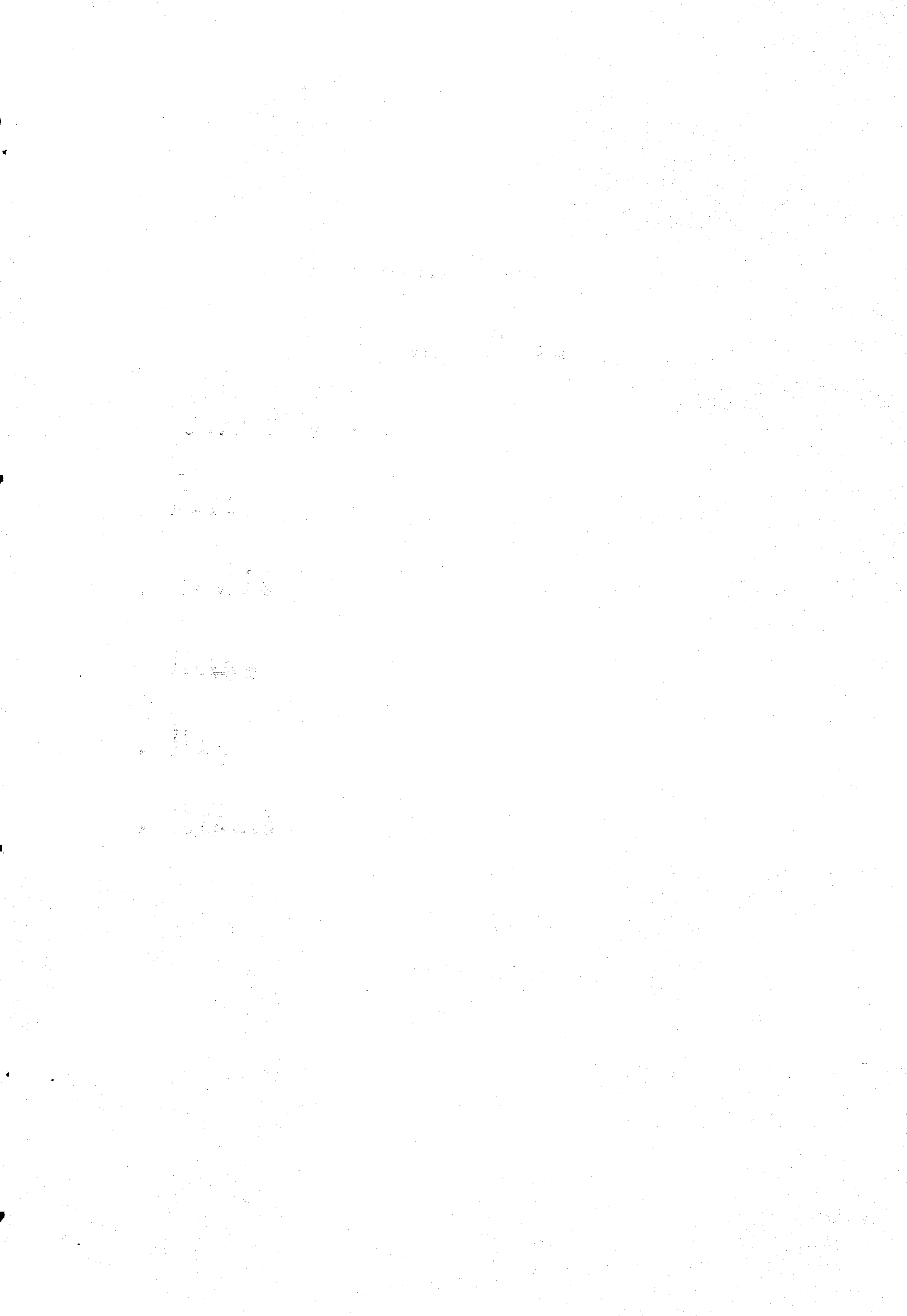
(١) أخرجه (مسلم في صحيحه).

غيرنا من الأمم أن نتمسك بالأخلاق الإسلامية التي أمرنا الله بها في كتابه وحثنا عليها النبي ﷺ في سنته المطهرة فإن هذه هي الخطوة الأولي في طريق الانتصار علي أعدائنا الذين تكالبوا علينا، أمماً وممالك، نظريات وفلسفات، هيئات ومؤسسات، كلها تجتمع علي حرب الإسلام وأهله، منها ما يؤذيه حقد دفين، ومنها ما يدفعه لذلك عداء قديم، ولكن هيهات أن ينالوا من الإسلام وأهله فقد تكفل الله بحفظ دينه، ووعدنا بنصره وتأييده والتمكين في الأرض، وأن يبدلنا من بعد خوفنا أمناً حيث يقول تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم ع فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ ع مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ(٥٥)" ٠[النور]٠

الفصل الثامن

أركان الإسلام

- كلمة التوحيد
- الصلاة
- الزكاة
- الصوم
- الحج
- الخلاصة



أركان الإسلام

الإسلام منهج متكامل للحياة يصبغها بصبغته الربانية ويوجهها جهته الأخلاقية ويضع لها الإطار والدعائم والحدود التى تضبط سيرها، وتربطها بغاياتها ويقيها الانحراف عن الجادة أو السقوط فى الحضيض أو الضياع فى مفارق الطرق. لهذا كان للإسلام عقائد تقوم الفكر، وعبادات تطهر القلب، و أخلاقًا تزكى النفس، وتشريعا بقيم العدل، وآدابا تجمل الحياة [1].

ولابد لكى يكون المجتمع مسلمًا حقًا، من الالتزام بالإسلام كله، ولا يكون كمجتمع بنى إسرائيل الذى نزل فيهم قول الله تعالى: "**أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَتَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(٨٥)**"٠[البقرة]٠

وقد حددت قواعد الإسلام فى أركانه الخمس كما ورد بالحديث: "**بنى الإسلام على خمس منها شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله و إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيل**[2]"٠

---

(١) كتاب (**الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**)، للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٧٣ دار الصحوة – دار الوفاء

(٢) (**حديث متفق عليه**)٠

فاركان الإسلام خمسة كما جاءت في الحديث وهي:

١)- شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ٠

٢)- الصلاة ٠ ٣)- الصوم ٠

٤)- الزكاة ٠ ٥)- الحج مرة واحدة فى العمر ٠

والمتأمل فى هذه الشعائر يجد أنها تنطوى على المظهر الاجتماعى للمسلم، فليس فى الإسلام عزلة وإنما هو حياه اجتماعية داخل البيت وخارجه وفى المسجد وخارجه فالعقيدة الإسلامية توحد بين الأمة الإسلامية فى شعائرها والكل يرتبط بالله ورسوله والقرآن الكريم والأصل فى العبادات هو التعبد بها دون النظر إلى ما فيها من مصالح ومقاصد بخلاف ما يتعلق بالعادات والمعاملات[١]٠

ففى العادات والمعاملات ننظر إلى العلل، ونلتفت إلى المصالح والمقاصد المنوطة بالأحكام ، فإذا اهتدينا إليها ربطنا الحكم بها إثباتًا فإن الحكم - كما قالوا - يدور مع علته وجوداً وعدمًا.

وامتازت عبادات الإسلام عن عبادات الشرائع السماوية الأخرى بميزة لا نظير لها، هى أرفعها وأرقاها بالنظر إلى جماهير المتدينين بها وهى النية وتلك ميزته التى يرعى بها استقلال الفرد فى مسائل الضمير.

فالعبادات الإسلامية بأجمعها تكليف لضمير الإنسان وحده لا يتوقف على وسيط هيكل أو كهانة[٢] ٠

---

(١) ذكره الإمام الشاطبي في كتابيه **(الموافقات)** و **(الاعتصام)**٠

(١) عباس العقاد - **(حقائق الإسلام و أباطيل خصومه)**، مطبعة نهضة مصر ١٩٨٩ ٠

فالإسلام لا يعرف الكهنوت كما فى الكنيسة أو المعبد (فالمسلم فى عالمه الذى لا يوجد فيه نظام القساوسة (الأكليروس) ولا نظام التدرج الوظيفى فى مراتب القساوسة الصارمة، ولا يتخذ وسيطًا أو شفيعاً مهما علا قدره عند الصلاة أو الدعاء، بينما يتوسل المسيحى بعيسى أو مريم أو الروح القدس أو غير ذلك من القديسين أو كبار رجال الدين عندما يتضرع أو يبتهل أو يصلى، فالمسلم فى هذا حر متحرر لا يتوسل بغير الله إلى الله، لا وساطة بينه و بين ربه "**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**" يجيب دعوة الداعى إذا دعاه، ولا تشوب عبادته طقوس أو شعائر غامضة فالتوسل هو العمل الصالح والنية الخالصة لله، هذه البيئة أقرب إلى طبيعة الإنسان الراشد العاقل من المناخ المألوف فى الكنيستين البيزنطية والكاثوليكية، والذى يقوم على شعائر دينية و أسرار (كهنوتية) يباشرها رجل الدين المسيحى، لينال الماثل أمامه المسيحى بركات الرب [1]، أما المسلم العاصى أو مرتكب الكبيرة فانه يخاطب ربه بينه وبين نفسه و يعلن نيته فى التوبة مباشرة بينة وبين الله لا يقرئ عليه أى إنسان نصوص معينة أو يهبه التوبة أو الغفران فما عليه إلا أن يتوجه بنفسه إلى الله بالتوبة لرب العالمين بلا وساطة أو تعقيدات بشرية أو الاعتراف أمام سلطة دينية تمارس سلطانًا دينيًا على أتباع الدين أما فى الإسلام فأمر التوبة فى غاية البساطة والربوبية هى الولاية على الفرد المؤمن مهما كانت الأحوال فلا يوجد فى المسجد ولا فى الإسلام ممارسة سلطة دينية على الفرد و أما أئمة المساجد أو فقهاء الدين فهم مرشدون لتبصير الناس بصحيح الدين و الإنسان حر فى عبادته لله فى أى مكان وبالأسلوب الذى لا يخرج عن الأصول الدينية [2] المستمدة من القرآن والسنة وقد يقع المسلم فى الخطأ أو الخطيئة فيرفع وجهه لله تائبًا ومعتذرًا ومؤملاً فى المغفرة فى غير حاجة لقربان بشرى أو إلهى كما يعتقد المسيحيون، وليس فى حاجة

---

(١) كتاب مراد هوفمان (**الإسلام كبديل**)، طبعة ٩٣ ص ٤٦ .

(٢) كتاب الدكتور حسان حتحوت (**قراءة فى عقل مسلم**)، ص ١٦١ .

للذهاب إلى القسيس وهو من البشر ليعترف له، فيعطيه صك الغفران كأنها إرادة الله تمثلت فيه ويباركه لأن الله غفر له بواسطة هذا الراهب أو ذاك القسيس أما في الإسلام: "**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(٣٨)** "٠[المدثر]٠

وقال تعالى: "**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(٧)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(٨)**"٠[الزلزلة]٠

والرسول وهو الذى أوحى إليه يقول لأحب الناس إليه: "**اعملوا آل محمد فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئًا** "٠

وقال تعالى: "**وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا(١١١)**"٠[النساء]٠

هذه بساطة العبادة الإسلامية وأركانها و أدائها معرفة بالرب وحده، وتوجه إليه، وعمل له فى إطار سلطته وسطوته دون سواه٠

وما يحدث فى عصرنا الحالى من تعيين الحكومات أئمة المساجد أو علماء الدين فهو أمر ليس من مقومات الدين الإسلامى، ولا وجوب له شرعيًا، فهؤلاء تعينهم السلطة الحاكمة لأسباب خاصة بالنظام مرتبط بالسلطة المدنية كوظيفة حكومية، وليس تنظيم دينى يستمد سلطانه من الدين وذلك لخدمة أهداف سياسية دنيوية ولإرشاد الناس إلى صحيح الدين، ذلك بخلاف ما يتم فى الكنيسة أو المعبد، فالسلطة بين الإنسان وربه تنطلق من الكردنيال إلى القسيس إلى الشماس فهم لهم سلطات دينية لأداء العبادة وفى الاعتراف أو الغفران ومراسم دينية كهنوتية أما فى الإسلام فالعبادة أو التوبة علاقة بين الإنسان وربه قوامها ذات الشخص وسلطان الضمير والمساجد تجد العبادة فيها بحرية تامة فى ممارسة الصلاة لا سلطان لإنسان على آخر فى أداء الفرائض وممارستها دون تدخل من أحد فالدين الإسلامى

الإنسان فيه مخلوق مكلف لا واسطة بينه وبين الله فى عبادته وترسم الإسلام وأوامره ونواهيه بينه وبين ربه، وما الأركان إلا مظاهر تعبدية وهذه التكليفات فيها معنى الخضوع له وحده والاستجابة لما فرضه دون بحث فى منهجها و أسبابها والله أعلم بها وفى ذلك تكمن العبودية لله العلى القدير.

وإننا فى تناولنا أركان الإسلام لا نبحث فى مراسم و أداء العبادة، ولكننا نحاول أن نستلهم ما فيها من معانى تكشف عن مقاصد شرع الله التى أراد أن تغرس فينا وهذه المعانى كلها شعارها كن مع الله دائما. إلى هذا دعا الإسلام فى ديانة توقيفية تجمع بين المادية بنوازعها وبين الروحانية بواجباتها الإلهية دون أن تنسى بغيتك من الدنيا ودون أن يلهيك ذلك عن ذكر الله فيذكر فى كل حين وفى كل عمل استجابة لأوامره ونواهيه فلا تعمل عندئذ إلا صالحا وعلى هذا الأساس التوقيفى كانت حكمة أركان الإسلام أو دعائمه واستمدت بساطتها ويسرها ومعانيها من فرضها بالأسلوب التى هى عليه. فأحكام العبادات لا تدخل فى باب الاجتهاد أو النقاش فى جوانبها الكلية، والإسلام لا يقف بالمسلم عند أداء الأركان كأنها عنوان المسلم دون غيرها من مكونات العقيدة الصحيحة بأخلاقها وقيامها بحلالها وحرامها، وإن حصر الإسلام فى أداء العبادات إنما هو تجزئة للإسلام إذ أن ما يكمل العقيدة الإسلامية التحلى بخلق الإسلام وقيمه وأن يكون رسول الله قدوتنا فى أفعالنا حتى تكون الجنة مأوانا بإعانة الجار وسد حاجات الناس والبر بهم ومساندة المظلوم والوقوف فى وجه الظالم وكل هذه من الواجبات الشرعية التىَ يجب أن يحرص عليها المسلم فالدين المعاملة.

كلمة التوحيد:

إن الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، الركن الذى تقوم عليه أركان الإسلام وبغيره لا يكون المسلم مسلما فهما اصل العبادات بنطقها فهى

كلمات بسيطة سهلة ولكنها أصعب الأركان فهى لابد منها للانتقال من مرحلة الجاهلية إلىمرحلة العقيدة الإلهية، فيها الإيمان بالله الواحد القهار، وفيها معنى الخضوع له وحده، فهذا الانتقال من حال إلىحال تنطوى عليه هذه الكلمات، والله أعلم بسرائر النفوس، وليسلم الإنسان لابد من النطق بهما فى علانية ظاهرة ولا يتلقاها الإنسان من إنسان آخر أيا كان موقعهأو سلطته فهى علاقة مباشرة بين العبد وربه بلا وسيطأو تعميد له* كافة حقوق المسلم فى دار الإسلام عليه تبعاته وأداء فروضه بالوحدانية والعبودية لله وتحرير الإنسان من سيطرة أى إنسان، وله كرامته وحريته إزاء الآخرين أيا كانوا بلا خوف، تنطوى على برنامج عمل معياره العدل والحق والعادات الحسنة ملزما نفسه بتكليفات الإسلام ومراعاة أركانه فمجرد النطق بالشهادتين يصبح الإنسان فى عداد المسلمين دون ربط بين العمل بالشعائر أو القناعة الداخلية ولا فرق بين منافق ومؤمن، كما يؤكد الغزالى، والشهادة لا تعنى الإيمان إنما تعنى الإسلام وفرق بين الإسلام والإيمان وهذا ما تقرره الآية ١٤ من الحجرات "وتتضمن الشهادة الإيمان برسالة محمد ﷺ ، وأنه رسول من عند الله تعالى رب العالمين، أرسله لهداية البشر أجمعين، وأن الإيمان بالرسالة المحمدية يتضمن الإذعان للمعجزة التى أتى بها الرسول و هى القرآن و التى تحدى بها الذين خاطبهم أن يأتوا بمثلها، و أنه لا يمكن لأحد أن يأتى بمثلها كما قال القرآن:

"قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا(٨٨)".[الإسراء].

كما يتضمن الإيمان بسيدنا محمد ﷺ الإيمان برسالات الله تعالى للأنبياء جميعا، وبأن ثمة رسالة ألهيه يرسلها الله الواحد الأحد لهداية الخلق ولإرشادهم، وأن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فهو يختار النبيين وهو الذى يصطفيهم من

* – المسيحية تشترط التعميد " أن يسكب الماء المقدس فوق الرأس أو يغطس فيه الطفل حتى يصبح مسيحيا .

عباده وعلى مقتضى حكمته [1] والشخص إذا نطق بالشهادتين عد من المسلمين وعليه واجبات المسلم وحقوق المسلم والقيام بكل أركان الإسلام وأوامره ونواهيه وأداء فرائضه والانصياع لتعاليمه ففيها مقومات المسلم الحق فهى الكلمة الجامعة المانعة التى تعنى العلم بالأحكام الشرعية التى نزل بها الوحى على سيدنا محمد ﷺ وأنبيائه كافة ويجب العمل بها واتباعها مادام محمد ﷺ قد قررها، وعاد إلى العمل بها و بهذا يتحقق الإيمان أما من لم يتبع تعاليم وأركان الإسلام وفرائضه من المسلمين، فلا يعد من المؤمنين، وقد عبرت عن ذلك الآية:" **قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٤)**"٠[الحجرات]٠

الصلاة:

هى مظهر دينى فيها تصفية للروح، وفى نفس الوقت مظهر اجتماعى، لأن أفضل الصلاة فى جماعة وأوجبها يوم الجمعة وهى لا تقام إلا فى جماعة والصلاة من العبادات المحضة كالصيام والحج، وبأدائها يذكر الله فى كل حين وفى كل حركة فى أوقات خمس أوقات موزعة كل يوم، فهى تجدد فى ذهن المرء ذكر الله الواحد الأحد فى برنامج واحد لكل المسلمين ففيها استجابة للمظهر الاجتماعى يعبر عن قوة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين بعضهم البعض وعن وحدتهم وتوحدهم فى التقرب لله فى كل أنحاء المعمورة مهما تباعدت المسافات ومزقتهم السبل فهى تعود الإنسان على الانضباط والنظام واحترام الوقت وترغبه فى تقوى الله وتدله على الطاعة والانقياد لأوامر الخالق برهبة وخوف من سخطه

---

(١) كتاب (**العقيدة الإسلامية**)، الشيخ محمد أبو زهرة ص ٨ من مطبوعات سلسلة البحوث ٠

وغضبه ويسبق أداء الصلاة الوضوء، وهو تطهر بالماء فالنظافة من مواصفات المسلم الحق الذى يفهم معنى الوضوء عند كل صلاة، وللأسف نجد كثيرًا من المسلمين لا يهتمون بالنظافة، وهى كما قيل بحق من الإيمان ومن ذلك استعمال السواك لنظافة الأسنان، فالصلاة مدرسة يومية تعود المسلم على التحلى بالنظافة الدائمة من خلال الطهارة والوضوء فالإسلام يحدد للصلاة مع النظافة توقيت فى مواعيد محددة يوميا وأسبوعية يؤديها المسلم حيث أدركه موعد الصلاة فلا بد من نظافة المسلم كفرض واجب بما فى ذلك الاستحمام أسبوعيًّا سنة عن الرسول ﷺ على الأقل وبالأخص يوم الجمعة والحديث: "**اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم وان لم تكونوا جنبا وأصيبوا من الطيب**" [1] ٠

"**أن الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة**[2]"٠

"**أعطوا الطريق حقه**" [3]

"**تظفوا أنيتكم**[4]"٠

ويتوجه المسلمون فى مواعيد الصلاة إلى قبلة موحدة كانت من قبل فى الإسلام لمدة سبعة عشر شهرا بيت المقدس ثم تحولت إلى الكعبة بيت الله الحرام، أما الصلاة فى أى مكان فى الأرض "**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**" فالأرض كلها مسجد على حاله طالما لم تمسها النجاسة والقاذورات فالبساطة فى أداء الفريضة بلا حاجة لراهب أو حاخام أو قسيس أو كاهن فالمسلم يؤدى صلاته فى غير الجماعة دون إمام فالعلاقة بين الإنسان وربه مباشرة ٠

(١) أخرجه (**مسلم بمعناه فى الصحيح**)، كتاب الجمعة ٠

(٢) أخرجه (**مسلم بمعناه**)٠

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه (**مسلم فى الصحيح**) و (**البخارى فى الأدب المفرد**) ٠

(٤) أخرجه (**مسلم بمعناه**)٠

و أداء الصلاة فى مواقيتها فى المسجد أو الجماعة مستحبة ولا تتقيد صلاه الجماعة بمراسم معينة من كهانة أو محراب ويؤم الجماعة من هو أهل للإمامة من بين الحاضرين باختيارهم لساعتهم وان لم يكن معروفا عندهم قبل ذلك والتجمع واجب للمصلين يوم الجمعة إلا إذا كان المصلى مسافراً. فصلاة الجمعة حضرة سياسية وعنصرا روحيًّا وصلاة الجماعة تقوى الارتباط وتدعوا إلى الترابط والتكامل فى الإيمان بين المصلين وتذكر الفرد بأنه لبنه فى بناء الجماعة فيتقى الله فى نفسه وفى مواطنيه وبمجرد أداء الجماعة ينصرف لحالة وعمله ليكسب معاشه وقال الله تعالى :" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٩)فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٠)".[الجمعة].

"قَضَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا(١٠٣)".[النساء].

"اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ(٤٥)".[العنكبوت].

فالإسلام لا يجعل العبادة تكليف على حساب العمل إنما يربط العمل بالعبادة ويمزج بينهما و من الحكمة المستقاة من مواعيد الصلاة إن هناك أوقات لا يستحب فيها أداء آية صلاة فالإسلام يكره إقامة أية صلاة بعد صلاة الفجر عدا صلاة العيدين (الفطر و الأضحى) وذلك حتى الأذان لأداء صلاة الظهر وهذه الفترة الزمنية تتراوح ما بين ٦ إلى ٩ ساعات وهى ساعات أداء العمل والقيام به، كما أن ذلك يسرى على الفترة ما بعد أداء صلاة العصر حتى الأذان بإقامة صلاة المغرب، لأن الإسلام دين يقدس العمل ويحض المسلم عليه وينظم ذلك فى بساطة ويسر. وفى ذلك يقول الله تعالى فى كتابه: "وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٠٥)".[التوبة].

فالعمل ليس للمعاش والمنفعة فحسب، بل ابتغاء مرضاة الله وقد جاء على لسان سيدنا عمر رضى الله عنه فى تقدير العمل النافع لبناء الأمة قوله:

"والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة".

والإسلام يراعي ظروف الإنسان فى الحياة، فمن المسائل التحسينية مراعاة ظروف الحياة إن كان على سفر فانه يقصر الصلاة ويحق له الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فالله يسر على العبد فخفف عليه، مراعاة لظروفه أو مرضه.

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ(٣٧)".[النور].

ومن المسلم به فقها التيسير على المريض فى الوضـــوء حتى لا يضار من الماء، كما أنه يعفيه من القيام و القعود مراعاة للمرض وهذا بحث يطول شــــرحه وليس موضوعنا والإشارة إليه لبيان بساطة ويسر الإسلام ومراعاة أحواله ومعاونته للإنسان فى أداء فرائضه فى كل الظروف والحالات ونشير هنا إلى قـــول الأســـتاذ باول تشهر:

"إن اتجاه المسلمين نحو مكة، وطن الإسلام عامل مهم من أهم العوامل فى تقويـــة وحدة الاتجاه الداخلى بين المسلمين يضفى على جميع نظم الحيـــاة فـــى المجتمـــع الإسلامى طابع الوحدة وصفة التماسك] فالمسلمون يتجهون لقبلة واحدة يجمعـــهم كتاب واحد هو القرآن...

فالإسلام يمنع وصاية الناس على بعضهم البعض فكلهم أمام الرحمن سـواء والصلة بينهم وبين ربهم مباشرة، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً وليس من حق كائن من كان أن يتدخل بين المرء وربه أو يدعى قوامة على عقيدته خلا ضمير الفـــرد بينه و بين ربه.

الصــــــــوم:

هو شهر واحد فى كل سنة يتدرب فيـــه المســـلمون كـــأفراد، والمجتمـــع الإسلامى ككل على تقوى الله وخشيته ففى رمضان فى جميع أنحاء العالم يصـــوم المسلمون القادرون على الصيام ويمسكون عن الطعام فى توقيـــت معيـــن ليشـــعر الإنسان بالجوع والعطش ليعزز روح المساواة والتكافل الجماعى بين المسلمين ففيه تقوية لرابطة التضامن الاجتماعى بينهم . إذ على المسلمين ذوى اليسر الوقوف إلى جانب إخوانهم الفقراء ، وذوى الحاجة ، ويعود الشخص على التجرد من النـــوازع المادية ، كتربية سماوية إذ يلتزم الصائم بالصبر على الآخرين والتحلـــى بـــالخلق الحسن والتعامل السمح والعفو حتى لا يفسد صيامه فهو ليس امتناع عـــن الطعـــام

للجوع إنما هو تهذيب للخلق وبذر روح التعاون فهو مظهر من مظــاهر الوحـدة والتضامن بين المسلمين بأداء واحد و إشعار الغنى بحاجة الفقير فيــبره ويغـرس الترابط الاجتماعى والتعاطف بين المسلمين عند الإفطار والسـحور وأن يـترابط المسلمون فى أقصى الأرض وأدناها فى مواعيد محددة و قد شوهنا فــى العصـر الحالى المعانى الدينية الجميلة و حولناه إلى رقص وغناء وفوازير ولهو تتبارى فـى ذلك جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وفى الساحات والفنادق وحولناه مـن شهر عبادة ومذاكرة للقرآن الكريم و إحساس بإخواننا المحتاجين إلى لهو وفســوق عادة تتبع فى شهر كرمه الله بنزول كتبه المقدسة كلها التوراة و الإنجيــل وليـس القرآن وحده.

الزكـــــــاة

لم يخل دين سماوى من الاهتمام بهذا الجانب الاجتماعى الإنسانى والأديان السماوية تجعلها على شكل اختيارى تطوعى، تخضع إلى ذاتية الشخص وضمـيره، أما الإسلام فقد فرضها كالتزام دينى ، وأنزلها و جعلها ركن مـــن أركانــه بعـد الشهادتين و إقامة الصلاة من لم يؤديها يهدم عقيدته بالإغفال عـــن ركـن مكمـل لإسلامه .

وهذه الفريضة الإسلامية شبه غائبة عند المجتمع الإسلامى فـــى العصـر الحالى و أصبح إهمالها من أمراض هذا العصر مع أنها عبادة اجتماعية فرعايــة المحتاج تغرس فى قلوب المسلمين أفراداً والمجتمع الإسلامى عواطـــف الإخـاء والمواساة وتروضهم على بذل المال والتعاون فيما بينهم و لسمو منزلتهم عنـــد الله وفى الإسلام قرنت بالصلاة فى القرآن دلالـــة علـــى وجـوب الالــتزام الدينـــى والتشريعى والخلقى كركن تعبدى فيها .

ومنها التكافل والتضامن الاجتماعى فهى التزام اجتماعى وجزء من النظـام المالى فى الاقتصاد الإسلامى وتختلف عن الضرائب ولو اخرج المسلمون زكاتهم بمقدارها ولمستحقيها الذين حددتهم الشريعة فلن يوجد بينهم محتاج أو فقير والحديث "**ارحموا عزيزًا ذل وارحموا غنياً افتقر**[1]".

فالدنيا لا تدوم على حال واحد والله اعلم بالأرزاق ، وقد أحصى عالم نمساوى أموال الزكاة المستحقة على أثرياء المسلمين و خاصة زكاة الركائز أى ما يخرج من باطن الأرض من معادن كالبترول والحديد والفحم والفوسفات و الذهب وغيرها من المعادن فى البلاد العربية ونسبتها ٢٠% لأنها هبة من الله ومستخرجة من باطن الأرض وجدت فى مكانها ليس نتيجة جهد إنسان فالجهد لاحق لاستخراجها واستغلالها وهذا كله يقوم ويخصم عند احتساب الزكاة وتبين له من الحصر والأداء لها من أغنياء المسلمين لمستحقيها انه لن يوجد فقير أو محتاج من مستحقيها من المسلمين فى كافة أنحاء الأرض ولهذا قرر بعض فقهاء المسلمين من القدامى بأنه إذا مات شخص جوعا فإثمه على البلد الذى يعيش فيه فهذه كفالة اجتماعية تحول دون استفحال طبقة من الأغنياء ، كما أن الإسلام يقرر توزيع الثروة بالميراث ليحول دون تراكم المال، والمال أصلا مال الله ونحن مستخلفون فيه "**وَلْيَسْتَعْفِفْ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣٣)**".[النور].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٥/١٣).

فالمال فتنة: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(٢٤)"٠[آل عمران]٠

وفى هذا العصر اسقط كثيرون من أثرياء المسلمين الوفاء بالزكاة وفقا لمقاديرها المقررة وتحايلوا على الوفاء بها تحت تأثير حب المال وسطوته كأنهم مؤبدون فى الحياة بلا موت لإنفاقه ٠

وقد جعل الله الحساب عن المال شاقا على الإنسان وفى اطار هذا المفهوم كان المال وسيلة لا غاية فى ذاته وبهذا حض على التعامل فيه لصالح البشرية والحساب عليه من أين اكتسبه أو فيما انفقه؟ و يعاقب الذين يكنزون الذهب والفضة لانه يحرم الآخرين من الحقوق الواجبة فيه كتشغيله واستئجاره والصدقة فيه باعتبارها حق للفقير فرضه الله ، فكلما أعطى الله مالا كلما زادت المسئولية على مالكه أمام الله لأن فيه حقوقا دينية للآخرين سيحاسبه الله عليها و قد جعل الله المال فتنة وشهوة للإنسان ٠

ولا بد من ربط الصلاة بالزكاة، فإذا ذكرت الصلاة فى القرآن قرنت دواما بالأنفاق مما يعظم قدر الإنفاق على الفقراء والمساكين وذوى القربى واليتامى والسائلين وابن السبيل وفى الرقاب، وقد ورد ذلك فى ثمانية وعشرين (٢٨) موضعاً فى كتاب الله العزيز ومنها:

"الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣)"٠[البقرة]٠

"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(١١٠)"٠[البقرة]٠

فالانتساب للإسلام والجماعة المسلمة لا يتم إلا بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة :

"فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(١١)".[التوبة].

وقد قال سيدنا أبو بكر عندما امتنع البعض عن أداء الزكاة:

[والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة] وجاء فى كتابه الكريم.

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ(١٧٧)".[البقرة].

فالله أعلم بحب الناس للمال حبًا جمًا طمعًا فى زينته، وفيه الحياة وزخرفها واستمتاعًا بها وجاء فى القرآن الكريم :

"الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا(٤٦)ا".[الكهف].

وعلى هذا النسق إذا ذكرت الصلاة فى القرآن قرنت بالزكاة، فلا صلاة بلا زكاة، ولا زكاة بلا صلاة، فالأركان متكاملة مع بعضها لا انفصام بينها، لمن يعتبر لأن الإنسان المؤمن حقا يؤثر الواجب والرحمة بالمحتاج، على هدى النفس، ويبذل المال لمن تجب عليه صلتهم، فان صلة الخلق قربى إلى خالقهم، اعتبره الله

فضلًا من المخلوق مع أنه هو الواهب الرازق أن من ينفق المال على محتاجيه فإنه بذلك يقرض الله قرضًا حسنًا وقد جعلها الله حقًا معلومًا: "وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ(٢٤)لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(٢٥)"٠[المعارج]٠

والزكاة من التنظيمات الاجتماعية التى يتعين أن تشرف على جمعها واستيفائها الدولة وتوزيعها على محتاجيها والذين حددهم القرآن وحددتهم السنة وقد جاء فى قوله تعالى:

"مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١٠٣)"٠[التوبة]٠

"وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(١٤١)"٠[الأنعام]٠

وقد قرن ذلك كله بان الله يبين لخلقه إن من الشهوات الأثيرة عند الإنسان حب المال والنساء والبنين ويطالبه إيمانًا واحتسابًا بالتغلب على تلك الشهوة مثولًا لطاعته وانتظارًا لثوابه بقوله تعالى:

"زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ(١٤)"٠[آل عمران]٠

وفي الحديث: "**من كان عنده فضل مال فليجد على من لا مال له ومن كان عنده فضل بعير فليجد على من لا بعير له**[١]".

وقال ﷺ : "**إن الله فرض على أغنياء المسلمين بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا إلا بما يضيع أغنياؤهم**[٢] ".

وهذه الفريضة لا يراد بها الكسالى، بل من أقعدتهم عن العمل العوائق، فالكسب من العمل هو الأساس ، أما من لم يجد عملا فعلى الجماعة بحكم التكافل واجب أعالته من مال الزكاة والصدقات وبيت المال أو أعانته على العمل إذ يجب فى الزكاة أن تغنى الناس من الفقر وأن تعطى إلى المستحق لها بما فيه الكفاية وتشمل الأكل والشرب والملبس من غير إسراف ولا تقتير وقد قرر الأمام الشافعى إنه لابد أن تغطى كفاية العمر أى ما يكفى طول العمر كحل لمشكلة الفقر بأن تشترى له أو تعطيه ما يدر عليه غله من تجارة أو صناعة أو زراعة كعلاج أو قضاء على الفقر فى المجتمع لتحرير الإنسان من ذل الحاجة .

و قد قال رسول الله : "**الناس شركاء فى ثلاث الماء و الكلأ و النار**[٣] ".

وهذه الثلاث تجمع فى حديث الرسول ﷺ كل القوى الإنتاجية للبشرية، الطاقة والإنتاج والقوى التى تدير الاقتصاد البشرى والحياة على الأرض فى أى مكان ، فالإنسان حيثما كان له حق الحياة لأنه شريك لأخيه الإنسان ومستخلف مثله على قوى الإنتاج فلابد من أن يكون له نصيب ولهذا شرعت الزكاة .

---

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٢) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٣) أخرجه (أبو داود في سننه).

ومن محاسن الزكاة علاج الحاجات الطارئة كسداد دين عن مدين معسر عجز عن الوفاء بدينه، بشرط ألا يكون الدين لإسراف أو معصية وإعانة ابن السبيل ومنهم اللاجئين والمشردين والمطرودين من ديارهم وقد ذكرت الإحصاءات فى بعض الأحيان أنه يوجد فى العالم ٨٠ مليون لاجئ ومشرد أغلبهم من الشيوخ والنساء و الأطفال ومن بينهم كثير من المسلمين فالزكاة تطهر المجتمع وتنزع الحسد والبغضاء وتقوى الروابط الإنسانية وتؤلف بين القلوب لإعانة الناس بعضهم البعض فهى فريضة لو أداها المسلمون حسبما فرض الله فى مال الشخص كله ووفقا للمقادير التى حددت دون تحايل أو زيف وشملت المال كله وروعى فيها حق الله وحقوق العباد لما وجد بين المسلمين محتاج ولا فقير لأنها حق لهم وليست استجداء. وقد جعل الإسلام إنكار الزكاة كفرا وفرض على مانعها عقوبات أخروية "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٤)**" ۰[التوبة]۰ وعقوبات دنيوية منها إن لولى الأمر حق مصادرة جزء من مال غير المزكى فإذا لم تدفع طوعًا تؤخذ كرها فالدولة تحارب من أجل حقوق الفقراء فالزكاة تحقق العدل الاجتماعى بحل واقعى لمشكلة الفقر.

فينبغى على المسلمين عرض "التكافل الاجتماعى" فى الإسلام، على أن يضع العارض نصب عينيه إعطاء كل ما يسد مسد الاشتراكيات الحديثة، ويشعر الباحث بالغنى عنها ۰۰ مع الإحاطة بالقوانين الخلقية والاجتماعية والسياسية ووظيفة الدولة وعمل الجماعة، لنكشف اتجاه الإسلام إلى منع البأساء والضراء[1]

---

(١) نقلا من كتاب الشيخ محمد الغزالى (**مستقبل الإسلام خارج أرضه**) دار الشروق ص ٧٠

الحـــــج:

في العاشر من شهر ذى الحجة من كل عام تؤدى فريضـــة الحـــج بمكـــة المكرمة يجتمع فيها المسلمون من كل أرجاء الأرض فى مكان واحد عنـــد جبـــل عرفات فى ساحة محدودة لا يتجاوزونها مهما كان عددهم وإلا بطل حججهم وإذا تطأ أقدامهم هذا المكان المعين رددوا نداء "**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيـــك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**" بهذا النداء منذ الخروج للحـــج والوقـــوف بعرفات تتم الفريضة لان الحج عرفة يتساوى فى ذلك جميع الحجيج فى زى موحد للجميع لا فرق بين البشر الموجود هنالك وفى سلام تام بينهم مع التحلـــى بضبـــط النفس والسيطرة على قواها تجمعهم كلمة التوحيد فى هجرة لله الواحد فى تحـــرر كامل من كل زينة الدنيا عارى الرأس لا تميز لفرد على أخر .

ونجد فى مناسك الحج وشعائره اقوى شعور ممكن بروح الجماعة فـــالحج مؤتمر إسلامى ينعقد فى كل عام يشهده المسلمون مـــن جميـــع أرجـــاء الأرض مشارقها و مغاربها والمفروض أنه فرصة للتشاور فى مصالح المسلمين وللنظر فى المشاكل التى تواجه أمة الإسلام .

وقد فرض الحج مرة واحدة فى العمر لمن استطاع إليه سبيًلا فهو شـــعيرة اجتماعية فالمسلم يؤدى فريضته الدينية بين اخوته المسلمين مـــن مختلـــف بقـــاع الأرض قال الله تعالى :

"**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُـــوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَـيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَاأُولِي الْأَلْبَابِ(١٩٧)** "٠[البقرة]٠

فالحج ركن من الأركان المفروضة على من استطاع إليه سبيلًا وأن يكون له مال فائض عن حاجته يكفيه لأداء الفريضة وإعالة أهله وهو فى الحج فمن لا مال له ليس مفروضا عليه الحج ومن لا يقدر عليه صحيًا لا حج عليه أو لمن لا يقوى عليه لأى سبب من الأسباب فالقدرة المالية والصحية والإمكانية هى التى تلزم المسلم بأداء الفريضة وقد فرض مرة واحدة فى العمر و الرسول ﷺ لم يحج إلا مرة واحدة حتى لا يتمثل به المسلمون إذا كان قد حج عدة مرات واعتبروها سنة وسميت حجة الوداع ومات بعدما علم فيها الناس مناسك الحج الذى هو مظهر للتضامن بين المسلمين من أدنى الأرض إلى أقصاها وجماعتهم سواء كانوا من دول مختلفة أو أقليات من دول غير إسلامية فحين تؤدى الفريضة تجد كأن الأرض قد طويت و أصبحت كتلة واحدة تجمع شعوب العالم على اختلاف ما بينهم من الجنس والعرق واللغات تجمع بينهم فريضة الحج فى شكل وحدة واحدة تدل على الهوية الإسلامية ولا يوجد دين أخر له هذا المظهر الاجتماعى سوى الدين الإسلامى الذى يشد فيه الرحال مرة واحدة فى العمر وكل بلد له ميقات معين يجب أن يخلع زيه الذى اعتاده قبل دخوله مكة لا يتجاوزه وأن يحرم منه و ذلك بلبس أزار غير مخيط بشكل معين يتساوى فيه الجميع أيًا كانت منزلتهم أو أقدارهم أو مواقعهم فالكل عراة تماما بلا ملابس داخلية كما ولدتهم أمهاتهم أو يوم يموت يترك ما اعتاده من ملابس خلا الخرقة غير المخيطة التى تستر الإنسان ليشعر الجميع بالمساواة بين عباده فى مظهر موحد أمام بيت الله لا تفرقة بين غنيهم وفقيرهم كبيرهم وصغيرهم ومن هنا تختفى الأعراق والألوان ووسائل التفرقة بين خلق الله جميعًا وتذوب فالحج مدرسة لدرأ العنصرية يلغى الفوارق العرقية والطبقية، أما بالنسبة للنساء فيلزم كشفهن عن الوجه مع لبس ما يشاعون من الأزياء المحتشمة بلا زخرفة ولا زينة مع غطاء الرأس فالجميع تحرروا خارج نطاق الأنانية للحياة اليومية وأصبحوا فى نسيج واحد ضمن جماعة واحدة ذات بؤرة واحدة وتوجه واحد الغنى كالفقير، لا تفرقة بين عباده فى بيته المحرم تجدهم

فى طواف متناغم يشد الألباب فى بساطة وروحانية الكل سواسية يؤدى الشعائر فى تماثل كامل يشعرك بالقرب من الله.

بلا فوارق فى الطواف والصلاة والسعى عند مصلى إبراهيم وبئر زمـــزم، وتبدأ الشعائر بالتلبية "**لبيك اللهم لبيك**" فى نداء واحد من الجميع ولا نـــداء ســواه يرددونه منذ إحرامهم حتى ساعة فك الإحرام وتأدية المناســك، الكـل يخضــع لله ويدعوه ويتقرب منه، منظر يشد الانتباه وحدة متراصة متراحمـــة فـــى شـــعائرها البسيطة المجردة طوافًا أو قيامًا أو ركوعًا أو سجودًا فى مناجاة واحدة للإله الواحد يأخذون من ذلك وسيلة لوحدتهم الدينية والسياسية والاجتماعية أتوا من كـــل فـــج عميق وقد قال الله تعالى :

"وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُـــلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(٢٧)"٠[الحج]٠

ومنذ الرسالة الإسلامية يهرع الناس إلى البيت الحرام من كل فـــج عميـــق للطواف حول الكعبة بأشواطها السبع والسعى بين الصفـــا والمـــروة دون انقطـــاع والكل متساوون لا فرق بين رجل وامرأة، ولا بين أبيض وأســـود ولا أحمـــر ولا أصفر فى تجمع عالمى يشيع التواصل والوحدة والتكامل والتكـــافل "لِيَشْـــهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِـــنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ(٢٨)"٠[الحج]٠

وهذه الوحدة ذكرها القرآن فى اكثر من آية بقوله "هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي(٩٢)"٠[الأنبياء]٠

وفى سورة الأنعام الآية ١٥٣ "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٥٣)" .

ومن المناظر الجميلة التى تأخذ الألباب الطواف الدائم حول الكعبة دون انقطاع فى تواصل تام طوال العام لأداء العمرة قبل و بعد الحج طواف لا ينقطع أبدا ، فالمسلمون فى الحج مهما تباعدت أقطارهم وتفرقت بهم السبل كتلة متراحمة فى جماعة عالمية أساسها التوحيد فى مؤاخاة جماعية منذ بدء الرسالة وحتى يومنا هذا وستظل الأفئدة تهوى إلى بيت الله الحرام استجابة إلى نداء إبراهيم عليه السلام:
"رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(٣٧)" ٠[إبراهيم]٠

وهذا إعجاز من القرآن إذ لازالت الأفئدة تهوى إليهم من كل فج عميق ويرزقون من ثمرات الله والتى يعرفها العالم كله ويقيمون الصلاة وكان لازمًا وهم من آل إبراهيم أن يرسل الله لهم رسولا منهم يعلمهم الحكمة ويهديهم سواء السبيل بعد إن تفرقت بهم السبل فكان سيدنا محمد ﷺ خاتم المرسالين برسالته العالمية للناس كافة بإيقاع إيمانى يضبط حياة المسلم كل يوم خمس مرات فى صلاته وشهر فى كل سنة فى صيامه رمضان وكل سنة فى موسم الحج .
وقد عبر المرحوم الدكتور على شريعتى الفيلسوف الإيرانى عن ذلك بقوله :
"يشعر المرء حينما يطوف حول الكعبة ويقترب منها أنه كقناة صغيرة تندمج فى نهر كبير وتحملك الموجة فتفقد الصلة بالأرض وفجأة تطفو ويحملك الفيضان حينما تقترب من المركز يعتصرك ضغط الحشد وبقوة تمنح خلالها حياة جديدة فأنك الآن

جزء من الحشد . انك الآن الإنسان حى خالد . إن الكعبة هى شمس العالم يجذبـك وجهها فى مدارها. وتصبح جزء من النظام الكونى وبطوافك حـول (عـرش) الله تنس ذاتك ٠٠٠فقد تحولت إلى جزئ يذوب تدريجيا ويختفى٠٠٠٠ذلك هـو الحـب المطلق[١]".

الخلاصـــة :

فشعائر الإسلام وعباداته كلها تصب فى معانى واحدة مستقاة من مقـاصد الشريعة الإسلامية هدفها غرس عقيدة التوحيد فإذا تشربها الإنسان كـان نموذجـا إنسانيا سويا فى معاملاته و أدائه مع أسرته ورفقته من بنى الإنسان وعلاقاته مـع الآخرين وهذا ما تلمسه فى هذا التجمع العالمى السنوى وفى صـلاة الجماعـة أو الفردية الوحدة الكاملة فى الأخوة الإسلامية الإنسانية وخير ما نختم به هذا الفصـل قول الأستاذ عباس العقاد[٢]: " ٠٠٠٠٠ ولكن الناظر القريب قد يدرك شمول العقيدة الإسلامية من مراقبة أحوال المسلم فى معيشته وعبادته ويكفى أن يـرى المسـلم مستقلا بعبادته عن الهيكل والصنم والأيقونة والوثن ليعلم انه وحدة كاملة فى دينـه ويعلم من ثم كل ما يرغبه فى ذلك الدين أيام أن كان الدين حكرًا للكاهن ووقفًا على المعبد وعالة على الشعائر والمراسم مدى الحياة .

لقد ظهر الإسلام فى إبان دولة الكهانة والمراسم وواجه أناساً من الوثنين أو أهل الكتاب الذين صارت بهم تقاليد الجمود إلى حالة كحالة الوثنية فى تعظيم الصور والتماثيل والتعويل على المعبد والكاهن فى كل كبيرة وصغيرة من شعائر العبـادة . ولاح للناس فى القرن السابع للميلاد خاصة أن " المتدين " قطعة من المعبد لا تتـم على انفردها ولا تحسب لها ديانة أو شفاعة بمعزل عنه فالدين كله فى المعبد عنـد

---

(١) كتاب (الحج) للمرحوم الدكتور على شريعتى ٠

(٢) كتاب (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه)، ط نهضة مصر، ص ١٨، ص ١٩.

معيشتها الخاصة والعامة تثوب إلى المعبد لتتزود منه شيئا تتم به عقيدتها ولا تستغنى عنه مدى الحياة ، فلما ظهر الإسلام فى تلك الآونة ظهر الشمول فى عقيدته من نظرة واحدة ظهر أنه وحدة كاملة فى أمر دينه يصلى حيث يشاء ولا تتوقف له نجاة على مشيئة أحد من الكهان ، وهو مع الله فى كل مكان " فأينما تولوا فثم وجه الله " .

ويذهب المسلم إلى الحج فلا يذهب إليه ليغتنم من أحد بركة أو نعمة يضفيها عليه ولكنه يذهب إليه كما يذهب الألوف من إخوانه ويشتركون جميعًا فى شعائره على سنة المساواة بغير حاجة إلى الكهانة أو الكهان وقد يكون السدنة الذين يراهم مجاورين للكعبة خدامًا لها وله يدلونه حيث يطلب منهم الدلالة ويتركهم إن شاء فلا سبيل لأحد منهم عليه فإذا توسع قليّلا فى العلم بشعائر الحج علم أن الحج لا يفرض عليه زيارة قبر الرسول وان هذه الزيارة ليست من مناسك الدين وأنها تحية منه يؤديها من عنده غير ملزم، كما يؤدى التحية لكل رفيق عزيز محبوب لديه وإذا توسع قليّلا فى مكان ذلك الرسول من الدين قرأ من القرآن الكريم :

"قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(١١٠)".[الكهف].

وقرأ فيه "فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ(٤٨)".[الشورى].

وقرأ فيه "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(٥٤)".[النور].

وقرأ فيه "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ(٤٥)".[ق] .

وقرأ فيه "لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(٢٢)".[الغاشية].

وقرأ فيه "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢٨) ".[سبأ].

وقرأ فيه آيات لا تخرج فى وصف الرسالة عن معنى هذه الآيات .

ومن الأقوال العزبة المنصفة وما يؤيد استخلاصنا والفضل ما شهد به الأجنبى قول الأستاذ إسماعيل بلو: "أننى رجل متخصص فى الدراسات النظرية لعلوم الحضارة الاجتماعية وقد أدهشتنى النظم الاجتماعية التى قررها الإسلام وعلى الأخص الزكاة وتشريع المواريث وتحريم الربا وتحريم الحروب العدوانية وفريضة الحج و إباحة تعدد الزوجات فى الحدود المرسومة وشتان بين هذا الدين وبين مبدأ الزواج من واحدة الذى تؤمن به الشعوب الأوربية شكلا ولكن دون وفاء".

إن التقوى والصلاح والصلاة والصيام والزكاة والخلق الحسن والمعاملة الطيبة كلها فضائل ترضى الله ، والله ليس بحاجة لممارسة هذه الفضائل وانه لفى غنى عنها ولا يحتاج لشىء منها لذاته المعبودة ولا إلى أحد من الخلق وقال الله تعالى فى كتابه الكريم :

" وَمَــنْ جَــاهَدَ فَإِنَّمَــا يُجَــاهِدُ لِنَفْسِــهِ إِنَّ اللَّــهَ لَغَنِــيٌّ عَــنْ الْعَالَمِينَ(٦)" ٠[العنكبوت]٠

فالله حدد المنهج لصالح الخلق فيما بينهم وبعضهم البعض وجعلــه أســاس عبادة الله هو لصلاح الإنسان من خلال الطاعة بالعبادة و أدراك ان الله هو الأعلى الذى يثيب ويعاقب . والإسلام جعل التقوى والعمل الصالح أساس الثوب وقد قــال رسول الله ﷺ لرجل: "**انظر وجوه القوم ؟ فقال له النبى ما رأيت ؟ فقال الرجــل رأيت أبيض وأسود وأحمر : فقال الرسول إنك لا تفضلهم إلا بالتقوى والله غنــى عن العالمين فمن جاهد فلنفسه وعلى الله توكلنا وإليه ننيب**"٠

الفصل التاسع

حرية العقيدة في الإسلام

- القرآن وحرية العقيدة
- فقهاء الإسلام وحرية العقيدة
- تسامح الإسلام مع أهل الكتاب

القرآن وحرية العقيدة:

"إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُــــرْ بِالطَّــاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ(٢٥٦)" ٠[البقرة].

"قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١)لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢)وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَــــا أَعْبُدُ(٣)وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ(٤)وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٥)لَكُــــمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ(٦)" ٠[الكافرون].

"قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَـــنْ ضَـلَّ فَإِنَّمَـا يَضِـلُّ عَلَيْــهَا وَمَـا أَنَـا عَلَيْكُــمْ بِوَكِيلٍ(١٠٨)" ٠[يونس]٠

"وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَــا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُــهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا(٢٩)" ٠[الكهف]٠

"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّــاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(٩٩)" ٠[يونس]٠

"يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(٤٥)وَدَاعِيًا إِلَى اللَّــهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا(٤٦)" ٠[الأحزاب]٠

"مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ(٩٩)"٠[المائدة]٠

"فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(٢١)لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(٢٢)"٠[الغاشية]٠

" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(١٢٥)"٠[النحل]٠

"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(١١٨)"٠[هود]٠

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا(٩٤)"٠[النساء]٠

وفي الحديث:

"من آذى ذميًا يهوديًا أو نصرانيا كنت خصمه يوم القيامة .. فالملك يدوم على الكفر ولكن لا يدوم على الظلم" ٠

يروى ابن جرير نقلا عن ابن عباس أن رجلا من بنى سالم يقال له الحصين، وله ولدان نصرانيان وهو مسلم سأل الرسول ﷺ فيما إذا كان يجب عليه إكراه ولديه على اعتناق الإسلام، وأنه عرض عليهما الإسلام وهما يرفضان أى دين غير النصرانية فنزلت الآية الكريمة : **"لا إكراه فى الدين "** .

وعندما جاء رسل نجران النصارى المدينة ليفاوضوا النبى ﷺ منحـــــهم نصـــف مسجده ليؤدوا صلاتهم فيه.

ومرت جنازة أمام الرسول ﷺ فقام واقفاً تكريماً للميت، فقيل له أنها جنازة يهودى فقال: "**أليست هى نسمه**".

فقهاء الإسلام وحرية العقيدة

ويقال فى أسباب التنزيل لآية "**لا إكراه فى الدين**" سبب آخر غير حالـة أولاد الحصين وهو انه عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنفى بنى النضــير خارج المدينة لخيانتهم وغدرهم ، كان معهم بعض أطفال الأنصار الذين اصبحــوا يهود ، ذلك لأنه كان يحدث قبل الإسلام أن تنذر المرأة ابنها إذا امتــد بــه العمــر ليصبح يهوديا ، فشمل قرار النبى هؤلاء الأطفال وقد حــاول الآبــاء أن يكرهــوا الأبناء على الإسلام حتى لا يظل الأبناء يهودا فنزلت الآية ويقول ابن كثــير فــى تفسيرها: "لا تكرهوا أحد على اعتناق الإسلام، لان هذا الدين واضح كل الوضوح، وقضاياه واضحة مقنعة، ودعوته جليه لا خفاء فيها ولا لبس، وليس من الضرورى أن ترغم أحدا على الدخول فيه" .

فمن يرد الله أن يشرح صدره للحق فيرضى بالإسلام دينا بمحض اختيــاره ورضاه أما من ختم الله على قلبه فلا جدوى من محاولة إكراهه على الإسلام ويثبت التاريخ بما لا يقبل الشك أو التأويل أن النبى ﷺ لم يسل سيف فى حياته لارغــام أحد من الناس على الدخول فى دينه ، وقد أسلم أهل المدينة طوعًا واختياراً ".

يقول الإمام الزمخشرى :

"ترى الله نهى عن الإكراه والجبر فى مجال الإيمان والعقيدة وتركها لمحض اختيار الناس ورضاهم وهذه الآية تفسرها آية أخرى فى القرآن قال تعالى : " ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا " وقال مخاطبا رسوله **"ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين(٩٩)"**٠[يونس]٠

فالإسلام يترك الإيمان لاختيار الناس وقال تعالى:

"وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا(٢٩) "٠[الكهف]٠

وجعل الدعوة للدين وسيلة نشره الدعوة إلى الإسلام أساسها الحكمة والموعظة الحسنة حتى المجادلة يجب أن تتم بالتى هى أحسن (النحل ١٢٥) ولا تكون بالقتال الذى يتم لدفع الأذى وللدفاع عن النفس لا للعدوان مع احترام أهل العهد وأهل الذمة والمستأمنين وقد أمر الرسول بأن يقاتل من قاتله وأن يكف عن من لم يقاتله٠

وعمر – رضي الله عنه – كان له مملوكا نصرانيا فكان يعرض عليه الإسلام فيأبى وقال له لا إكراه فى الدين ولما حضرته الوفاة اعتقه وقال له: "اذهب حيث شئت" دون أن يلزمه بالإسلام لأن الإسلام دين قناعة واقتناع وإيمان وليس

القهر والسلطان ففى الحديث "**لأن يهدى الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**[1]".

فقد اسلم الناس إيمانًا بقول الإسلام واقتناعًا بصدقه وعبر عن ذلك الشاعر لامرتين :"أن النبى محمدا ﷺ قد أقام على أساس كتاب واحد صحيح كل حرف فيه قانون جنسية وروحية جديدة تنضوى تحت لوائها شعوب تتكلم لغات شتى وتتخذ من أجناس متنوعة".

وقد نوه المؤرخ مونتجمرى موات بالقيم الإسلامية فى مؤلفاته كذلك برتلو لويس فى كتاب – عالم الإسلام .

وقال غوستاف لويون :

"إن تسامح محمد مع اليهود والنصارى كان عظيمًا جدًا وأنه لم يذهب إلى مثله مؤسسو الديانات التى ظهرت قبله ؟ وقد سار خلفائه على سنته".

وقال روبرتسون :

"إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة على دينهم ، والتسامح مع أتباع الأديان الأخرى".

تسامح الإسلام مع أهل الكتاب

إن حرية العقيدة وهى مبدأ أساسي فى نشر الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنه وفى الجدال يجب أن يتسم بأسلوب لين حسن ليس به غلظ أو قهر، والدين يحث على احترام معتقدات الآخرين وقد جاء قوله تعالى :

---

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه).

"وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْـــمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَـانُوا يَعْمَلُونَ(١٠٨)" ٠[الأنعام]٠

فإلى هذا الحد نجد الإسلام ينهى عن سب الكفـــار وليـــس أهــل الكتـــاب والحكمة من ذلك إن هذا يدفعهم إلى سب الله عدوا ردا على ذلك و يعتبر الإســـلام هذا حقه٠ م ردا على معتقداتهم وهم لا يعلمون مدى جرمهم وان الله قد زين لكـــل إنسان عقيدته والحساب يؤجل إلى يوم البعث فيجب ألا يخوض المسلم فى ذلك مـــع الخائضين وما عليه إلا أن يغير الحديث إلى أمر آخر هذا هو الإسلام الحنيف ، لـم يطلب حمل السيف عليهم أو ضربهم أو حبسهم أو غيره وهذا هو خلق القرآن .

"وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُـــوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَـــعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٦٨)" ٠[الأنعام].

فالله جل جلاله لا يطلب منا الاعتداء على من يخوضون فـــى آياتـــه، ولا يأمرنا الاعتداء عليهم أو نهرهم إنما يأمرنا بأن نعرض عنهم و نبتعد حتى ينتقلـــوا إلى حديث غيره، ولا يقول لنا قاطعوهم أو دمروهم و إنما إعراض خفيف ثم اللقاء إذا عرجوا على حديث أخر ليس فيه مساس بآيات الله ٠

وهنالك عديد من الشواهد والوقائع التاريخية ما تدل على ذلك وتقطع كـــل شك بيقين وقد عبر القرآن عن المتقولين بقوله تعالى :

" وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّــــهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ(٣٦)"٠[يونس]٠

وفى العصر الحديث من يأتى بما يناقض ما فى الإسلام من قيم و أســـس جوهرية لبناءه ويقول بكل وقاحة وادعاء .

"المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها فهم لصوص وقتلة ومتـــأخرون وأن التبشير سيعمل على تمدينهم".

هذا قول أحد المبشرين الأمريكان ويدعى هنرى جب ويتاح له إعلام كبـير ليقول كلاما مرسلا لا يبنى على أسس علميه أو موضوعيه إنمـا يحتـوى علـى شتائم، أين هذا الموقف من موقف الرسول والصحابة من أهل الكتاب ؟ والشـواهد على ذلك متعددة والرسول ﷺ الذى أعطى لأهل ملة النصارى عهدا هو وثيقة من العهد النبوى يسير عليه الإسلام ٠

ولعل فى الوثيقة التى أصدرها النبى ﷺ إلى رهبان دير ســانت كـاترين كانت خير دليل على سماحة الإسلام وسمو مبادئه، لقد كانت رسالة محمد بن عبـد الله إلى رهبان الدير رسالة شامخة اشتهر أمرها فى الناس، وقد حـرص الرسـول على أن يملى رسالته على ملا من الصحابة والتابعين رغبة منه فى تـأكيد حسـن السياسة التى ألتزمها وأمر منه بأن يتبعوها فى علاقتهم مع أهل الكتـاب، وبـهذا كشف عن حقيقة الغاية التى تربط المسلمين بغيرهم من أتباع الرسالات السـماوية الآخرى٠

فالإسلام لم يمنع اتباع هذه الرسالات من حق ممارسة شعائرهم دون تدخل بل زاد على ذلك أن أعطى أهل الكتاب حق مباشرة التصرفات التى تسمح بها شرائعهم وعقيدتهم، حتى لو كانت تتعارض مع ما تقضى به الشريعة الإسلامية .

وقد نهج الخلفاء الراشدون على سنة نبينا بالنسبة النصارى عندما دعى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ليتسلم مفاتيح القدس من أسقف بيت المقدس صفرونيوس وتوقيع صلح أيليا وفيه يتجلى بوضوح هدف المسلمين العادل من الحرب ونباله المنتصر باسم الله وشريعته وكفالة الحريات الدينية والعامة وكفالة الحقوق الإنسانية للمغلوب وضمان حقوقه دون إكراهه على تغيير دينه وبدأ "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين، أهل أيليا الأمان أعطاهم أمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقض منه ولا من خيرتها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم و لا يسكن معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منها آمن وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية . ومن أحب من أهل ايليا أن يسير بنفسه وماله ويخلى بينهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وبيعهم حتى يبلغوا وتطهر القدس من اليهود ومنعهم من مساكنة النصارى فيها بناء على طلب النصارى".

وكان ذلك بناء على طلب النصارى حماية لأنفسهم من حقد اليهود ومقتهم .

وقد حان وقت الصلاة أثناء تفقد عمر – رضى الله عنه – لكنيسة القيامة فدعاه البطريرك للصلاة فى الكنيسة فرفض وخرج ليصلى بجوارها وقال حتى لا يأتى بعدى من المسلمين ويتعللون بصلاة عمر فى الكنيسة ويتخذونها مسجدا هكذا كان رجال الإسلام وتوفيرهم لأماكن العبادة لأتباع الرسالات السماوية الأخرى

وتعظيمها، وهذا ما لم يحدث فى التاريخ البشري إلا عندما عرف الإسلام بـــل إن التاريخ خير من يشهد علي أن اليهود والنصارى لم يرحموا أحدا ممن خالفوهم فـــي العقيدة ، بل اضطهاد النصارى بعضهم البعض لمجرد اختلاف المذهب فقط. فقـــد اضطهد الرومان الأقباط المصريين ليجبروهم على اتباع مذهبهم وفر البطريـــرك بنيامين والأقباط إلى الصحارى وتركوا بيوتهم وكان هذا حال أقباط مصر عند فتح مصر فأصدر عمرو بن العاص أمر للبطريرك بالآمان ودعاه للعودة بقوله :

"فليأت البطريرك الشيخ آمنا على نفسه، وعلى القبط الذين بأرض مصر والذين فى سواها لا ينالهم أذى ولا تخلو لهم ذمه".

ولما سمع البطريرك بذلك قال لقومه وأتباعه :

"عدت إلى بلدى الإسكندرية فوجدت فيها أمنا بعد حزن واطمئنانا بعد ابتـــلاء وقـــد صرف الله عنى اضطهاد الكفار وبأسهم ويعنى بذلك الرومان".

فالإسلام يحترم عقيدة الآخرين ويساوى فى دوله الإسلام فى الحقوق بيـــن جميع المواطنين ولقد اقتسم المسلمون وجميع من دخلوا فى دينهم أو دولتهم حقـــوق العيش وتساووا فى بيت المال المساند للعمل المشروع وحقوق الأمن بكفالة الدولـــة ونظمها وجيشها وخير ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تأصيل القواعـد العمرانية أبان ولايته من مجتمع يعتبر فيه الملكية الإلهية لكل مـــا فـــى الأرض أو عليها وأن الإنسان مستخلف به مصالح البشرية جمعاء إذ يقول عمر - رضـــي الله عنه - : **"ما من أحد إلا له حـــق فى هذا المال ، أعطه أو أنفقه وما إنا فيـــه إلا كأحدكم".**

و يقول **"والله إذا عثرت شاه فى العراق لسئل عمر عنها يوم القيامة".**

الفصل العاشر

الإنسان فى الإسلام

- الإنسان
- المساواة
- العدل الإسلامي وسيادة القانون

الإنسان

يقول فى الغرب وبعض مشايعيهم فى الشرق العربى أن حقـوق الإنسـان بدأت فى الغرب كآلاتي:

١)- (الماجنا كارتا) الذى صدر فى إنجلترا ١٢١٥ ٠

٢)- الميثاق الأمريكى عام ١٧٧٦ ٠

٣)- الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ٠

٤)- ميثاق حقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة ١٩٤٨

والحقيقة الأساسية لاحترام ذاتية الإنسان كإنسان مخلوق كانت من أسـس الدعوة الإسلامية واعتبرتها الشريعة الإسلامية من موجبات العبـادة وفرائضـها وتطبيقها فى العمل وعلى المسلم أن يحترمها ويحتذيها لأنها جزء من مكونات العبد المؤمن الصالح فكان ذلك فى القرن السابع الميلادي.أى قبل الثـورة الفرنسـية أو الميثاق الأمريكى بحوالى ألف عام تقريبا وقبل الإعلان العالمى لحقـوق الإنسـان بثلاثة عشر قرنًا.

وكان ميثاق الثورة الفرنسية (الحريـة/ الإخاء/ المساواة).

وقد خرجت الثورة على الميثاق فى ممارستها وكان الدم شعارها هـذا لـم يكن فى الإسلام أو تطبيقاته الإنسانية.وكانت حقوق الإنسـان خاصـة بـالمواطن الفرنسي وقد هاجمه كثير من سياسى ذلك العصر منهم اللـورد هيـوم، والكـاتب البريطانى ادمون بروك ندد بالإعلان ألف كتاب فى نقده ، وقال عنه اللورد هيوم : "إن المساواة التى جاء بها مستحيلة التحقيق" أما الإسلام فقد قال جوستاف لوبـون "إن تسامح محمد مع اليهود والنصارى كان عظيما جدا، وان لم يذهب إلـى مثلـه مؤسسو الديانات التى ظهرت قبله، وقد سار خلفاؤه على سنته" .

وقال روبرتسون :

"إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة على دينهم والتسامح مع اتباع الأديان الأخرى".

و قد ذكر المؤرخ و الفيلسوف الأمريكى درابر :

"من أن المسلمين الأولين فى عصر الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام : بل فرضوا إليهم من الأعمال الجسام، ورقوهم إلى المناصب الكبيرة فى الدولة حتى أن هارون الرشيد و ضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسينة[١] ".

وكما قال السير توماس ارنولد فى كتابه بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية :

"من أن الفتح الإسلامى قد جلب إلى قبط مصر حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان".

نزعة التعصب الدينى ليست من الإسلام الذى يقبل التعددية الدينية من الذين سماهم القرآن (أهل الكتاب) وهذا ما تقره الشريعة الإسلامية مستمدا من مبدأ المساواة بين المواطنين بما يكفل للجميع حرية العقيدة، وحرية الرأى، والحرية الشخصية، والحق فى إقامة الشعائر الدينية، وحماية أموالهم وأنفسهم وأعراضهم، وحرية النشاط فى الميدان الاقتصادى للجميع، واحترام حقوق الملكية وحق التقاضى: فأين هى التفرقة فى الإسلام بين مواطن و مواطن؟

أما الوقوف أمام تعبير عن الاعتزاز بأهل الكتاب وضرورة حمايتهم والتعامل معهم فكان زيادة فى التأكيد على حسن التعامل .

---

(١) نقلا عن كتاب **(الإسلام والنصرانية)**، للإمام محمد عبده، ص ١٥.

فكانوا فى ذمة الله ورسوله، ولا يؤخذ بأنهم فى منزلة أدنى لأن ذلك شذوذ فى العقيدة الإسلامية ، وإهدار لمبادئها السمحاء، فالأصل المساواة بلا تفرقة بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين .

فالأحكام الشرعية فى غير ميدان العقيدة و العبادات – أى المتعلقة بالمعاملات (قانون مدنى أو تجارى أو دستورى أو أدارى أو غيره) لا يشترط الإسلام لتحقيق المساواة فى التطبيق و إنما تأخذ بمبدأ المواطنة والتعبيرات الفقهية المفروض أن تتغير بتغير الزمان والمكان وما يحيط بها من الظروف، وهذه مسئولية أهل الفقه والاجتهاد فى إطار مقاصد الشريعة الإسلامية ومبادئها الأساسية، والتفرقة بين ما هو تشريعا عاما لا يجوز المساس به والخروج عليه، وما هو تشريع مؤقت زمانيا أو مكانيا وفقا لأحكام السنة النبوية التى صحت متنا وسندا .

وقد قررنا أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف من أن : "وضع غير المسلمين فى البلاد الإسلامية لم يكن يخضع عبر عصور التاريخ للاعتبارات الدينية فحسب بل كان يخضع كذلك للاعتبارات السياسية ، و أخصها مدى ما يبدونه من الولاء والصفاء للدولة".

ويعلق على ذلك المرحوم الدكتور عبد الحميد متولى [1] أستاذ القانون الدستورى بجامعة الإسكندرية بقوله :

"وأننا نعتقد أننا إذا نظرنا إلى هذه الاعتبارات السياسية فضلا عن تلك المبادئ الشرعية فإنه يصبح أمرا طبيعيا بل وحتميا أن ننتهى إلى الرأى بأن علينا أن

---

(١) كتاب (**بحوث إسلامية**) ألقيت فى الموسم الثقافى لجامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٧٩ الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية ص ٤٦ .

نحترم إخواننا المسيحيين مما كسبوه من الحقوق حقا، ولا أن نثير لهم نفسا أننا بذلك نقوى من روح الإخاء بين طائفتى الأمة بل ونزيدها، ونبعد عن طريق تطبيق الشرع الإسلامى أكبر عقبة بل ونزيلها".

فالإسلام شريعة مبنية ومؤسسة مقاصدها الشرعية على المساواة والعدالة والحرية والإخاء، فأهل الكتاب لهم ما لنا وعليهم ما علينا، فمن حقهم فى الدولة الإسلامية تمكينهم من شعائرهم والمحافظة على حياتهم من العدوان واحترام العقل وحماية أموالهم ونسلهم .

فالإسلام شريعة مبنية ومؤسسة مقاصدها الشرعية على المساواة بين البشر جميعا فى الحقوق والواجبات، ولا تجيز الاستعلاء أو الاستغلال بين الناس ومصدر ذلك كله مستمد من الكتاب والسنة. لان من مظاهر العبودية فى الإسلام حرية الإنسان والتى تؤدى إلى عبوديته لله وحده وتحرره من سلطان أى بشر أيا كان موقعه من الرسالة فلا كهنوت أو طائفة مقدسة تحول بين البشر وبين الله.

فالله رب الجميع الكل أمامه متساوين لا فرق فى ذلك كما قال رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع : "**أيها الناس! إن ربكم واحد وان أباكم واحدَ، كلكم لأدم وآدم من تراب. وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربي، ولا لأحمر على أبيض ولا لابيض على أحمر،فضل آلا بالتقوى آلا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. آلا فليبلغ الشاهد منكم الغائب**[1]".

---

(١) أخرجه (مسلم في صحيحه).

من الحديث قول الرسول ﷺ : "الراحمون يرحمهم الرحمن[1]"٠

"لا فضل لعربى على عجمى آلا بالتقوى "٠

"أن الله قد اذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بآبائهم لأن النـــاس مــن آدم وآدم من تراب وأكرمهم عند الله اتقاهم[2]"٠

الناس متساوون وكلهم من آدم لا تفضيل بين جماعـــة وغيرهـا لوحـدة العنصر الإنسانى و قد قال الله تعالى:

"يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبـــائل لتعـــارفوا إن أكرمكـــم عنـــد اللـــه أتقـــاكم إن اللـــه عليـــم خبير(١٣)"٠[الحجرات]٠

"يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منـــها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تتساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا(١)"٠[النساء]٠

وليس الفارق بين ما أتى به الإسلام وما نودى به مـــن مواثيـــق بخـــلاف الفارق الزمنى فهناك فارق أساسى هو أن ما قرره الإسلام هو تشريع وجزء مـــن العقيدة الإسلامية ومن مقومات التدين، أما ما قرره المجتمع الدولى فإنها توصيـلت وأمانى وقد جاءت آيات الله البينات والسنة النبوية قاطعة فى المساواة بين البشـــر وتكريمهم خير تكريم ومن ثم كان التوجيه بكلمة (يا أيها الناس) وهى موجهة إلـــى كل الناس على وجه البسيطة ودون تفرقة، ولم يقل أيها المؤمنون أو أيها المسلمون

---

(٢) أخرجه (أبو داود في سننه)٠

(٣) أخرجه (مسلم في صحيحه)٠

لأن توجيه الخطاب للإنسانية جمعاء ومن هذا كله يظهر لنا (الفتح العظيم الذى فتحه الإسلام فى تاريخ النظم الاجتماعية، إذ قرر أن الناس جميعا سواسية فى القيمة والإنسانية المشتركة، وأنه لا فضل لإنسان على آخر إلا بكفاءته وعمله وخلقه) وقد علق على ذلك الدكتور إدوارد غالى الذهبى فقال تحت عنوان "رفع شأن الإنسان لذاته لا لاعتقاده(١):

"إن الآيات التى تمجد الإنسان وتعلى مرتبته فوق كل المخلوقات، تتناول الإنسان لذاته لا لاعتقاده ، من حيث هو تكوين بشرى، وقبل أن يصبح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا أو بوذيا، وقبل أن يصبح أبيض أو أسود أو أصفر، وفى هذا الصدد يقول الأستاذ فهمى هو يدى : لا ليس صحيحا على الإطلاق أن تلك الحضارة القرآنية من نصيب المسلمين دون غيرهم كما يتصور البعض، ذلك أن النصوص القرآنية شديدة الوضوح فى هذه النقطة بالذات، فهى تارة تتحدث عن " الإنسان" وتارة تتحدث عن "بنى آدم" ومرات أخرى توجه الحديث إلى (الناس) وهذا التعميم لا تخفى دلالته على أى عقل منصف مدرك للغة الخطاب فى القرآن الكريم، التى تستخدم موازين للتعبير غاية فى الدقة ، تحسب بها متى يكون الخطاب للإنسان وللناس عامة، ومتى توجه الكلام للمؤمنين والمسلمين قبل غيرهم".

ثم ينقل عن الدكتور محمد عبد الله دراز قوله :

"كل إنسان له فى الإسلام قدسية الإنسان، انه فى حمى محمى و حرم محروم ، ولا يزال كذلك حتى يهتك هو حرمة نفسه ، وينزع بيده هذا الستر المضروب عليه ، بارتكاب جريمة ترفع عنه جانبا من تلك الحصانة ، وهو بعد ذلك برئ حتى تثبت جريمته، وهو بعد ثبوت جريمته لا يفقد حماية القانون كلها، لأن جنائيته تتقدر بقدرها، ولأن عقوبته لن تجاوز حدها، فان نزعت عنه الحجاب الذى فرقه هو، فلن تنزع عنه الحجب الأخرى بهذه الكرامة يحى الإسلام أعداءه كما يحمى أبناءه وأولياءه... هذه الكرامة التى كرم بها الإنسانية فى كل فرد من أفرادها ، هى

---

(١) كتاب (معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي)، ص ٢٠ وما بعدها.

الأساس الذى تقوم عليه العلاقات بين بنى "آدم " إن الإسلام يجعل للإنسان طبيعة مكرمة مستمدة من كونه " خليفة الله " وهذا التكريم مطلق ، لا يتقيد بجنس أو مكانة اجتماعية، إنما هو تكريم للإنسان بغض النظر عن دينه أو جنسه فهناك طبيعة خاصة يقترحها الإسلام للإنسان ، ومن هذه الطبيعة التى تحددت معالمها فى القرآن الكريم يستمد الإنسان حقوقه، فلا يصح أن يضطهد، أو يظلم أو تسلب حريته أو يفرق بينه وبين أخيه على أساس العرق أو اللون أو أى اعتبار آخر.

فخلاصة القول إن الله سبحانه وتعالى قد رفع شأن الإنسان كل إنسان فكرمه واستخلفه فى الأرض وحمله الأمانة".

فالإسلام يرفض الفوارق الطبقية أو الإقليمية أو العرقية أو القبلية ويدعو إلى الاخوة والتساوى وقد جاء الدين الإسلامى مستنكرا اضطهاد الجاهلية لفقراء البشر واحتقارهم ، وارسى دعائم التعويل على القيمة الإنسانية لهؤلاء البشر ولا شئ آخر، فالبشر كلهم عباد الله وخلقه متساوين فى جميع الحقوق وتكافؤ الفرص .. وحدد المبدأ العام وجعله من مقاصد الشريعة الإسلامية وغايتها تحقيقه بين البشر مستنده إلى مصدر مقدس.

فالإسلام يرفض التمييز على أساس اللون أو الجنس أو الجاه، وجاءت الشريعة الإسلامية لتمحو الآثار السيئة التى انتشرت فى الجاهلية فالعرب كانوا فى جاهليتهم يزدرون السود ويحتقرونهم و ينالون منهم والشواهد تدل على ذلك.

١)- عندما ظهرت الدعوة الإسلامية كان مؤذن الرسول ﷺ بلال الأسود، رفع الآذان خمس مرات فى اليوم داعيا **(الله اكبر الله اكبر. اشهد أن لا اله إلا الله)** عند فتح مكة .

٢)- روى أن أبا ذر تجادل مع أحد الزنوج وقال له: يا ابن السوداء ولما سمع ذلك الرسول، أنكره وقال لأبى ذر :" **أعيرته بأمه، انك امرؤ فيك جاهلية**[1]".

ومما قاله الرسول: "**طف الصاع، طف الصاع، ليس لابن البيضاء علـــى ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح**[2] "
وقدم أبو ذر والصق خده بالأرض، وقال للأسود " قم فطأ على خدى" .

٣)- كان عبادة بن الصامت أسود اللون، وكان رئيس الوفد الذى أرسله عمرو بـــن العاص لمفاوضة المقوقس عظيم القبط وضاق المقوقس بابن الصامت لســـواده وطلب أن يتكلم أحد غيره من الوفد. فردوا عليه: إن هذا أفضلنا رأيا وعلمـــا، وهو سيدنا وخيرنا، وقد أمره الأمير علينا فلا نخالف أمره فعجب المقوقـــس: كيف يكون الأسود أفضلهم فردوا عليه: إن الألوان ليست مما تقاس به الرجال، وأن الإسلام لا يعرف فى تقويم البشر إلا الخلق والمواهب الفاضلة.

٤)- لم يفرق الإسلام بين الغنى والفقير:" **تلك حدود الله ومن يطع اللـــه ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خـــالدين فيـــها وذلك الفوز العظيم(١٣)**".[النساء].

ومن ذلك أيضا حب الرسول ﷺ للفقراء وقوله: "**اتقوا الله فى ضعفائكم، إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**[3] ".
والمعنى هنا : ابحثوا عنى وسط الفقراء و ليس وسط السادة و الأكابر.

---

(١) أخرجه (البخاري في صحيحه) وفي (الأدب المفرد).
(٢) أخرجه (البخاري في الأدب المفرد).
(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/٢٩٥).

٥)- إن الله أمر صاحب الرسالة أن يعرف نفسه للناس :

"قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كـــان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحـــا ولـــا يشـــرك بعبـــادة ربـــه أحدا(١١٠)".[الكهف].

٦)- قال عمر بن الخطاب للناس يوما: ما قولكم لو أن أمير المؤمنين شاهد امـرأة على معصية وكان يقصد بذلك أتكفى شهادته أى أمير المؤمنين فى إقامة الحد عليها، فقال له على بن أبى طالب:" يأتى بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف شأنه فى ذلك شأن سائر المسلمين .

ثانيا:

إن الإسلام رسالة تستهدف إقامة العدل :

"لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِـــيزَانَ لِيَقُـــومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَـــمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(٢٥)".[الحديد].

"وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْـهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا(٨)".[النساء].[١]

(٢) الدكتور على عبد الواحد وفى (**المساواة فى الإسلام**) سلسلة اقرأ ص ١٨ .

المساواة:

يحتل مبدأ المساواة بين الناس مكانة هامة فى الشريعة الإسلامية و جاءت رسالة محمد ﷺ لتقضى على التمييز بين الناس قولاً وفعلاً، وليست هناك استثناءات بين الناس فى ظل مبدأ المساواة طبقًا للشريعة الإسلامية الغراء، إذ لا فرق بين حاكم ومحكوم وغنى وفقير ومن أحاديث الرسول ﷺ فى المساواة بين الغنى والفقير إطعام الخادم مما نطعم به وأن يكسى مما نكسى: وقد نقل عن أبا ذر رضى الله عنه أنه رؤى عليه حلة وعلى غلامه مثلها فلما سئل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "**هم إخوانكم وخولكم، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم، فإذا كلفتموهم فأعينوهم عليه**"۰

وفى السيرة النبوية العاطرة أن الرسول ﷺ خرج على جماعة من المسلمين فقاموا له تحية فقال لهم: "**لا تقوموا إلى كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا، ثم قال لهم إنما أنا عبد من عباد الله ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد**[١]"۰

وروى أن رجلا قام بين يديه فأخذته رعدة هيبة له فقال له: "**هون عليك يا أخى فانى لست بملك ولا جبار، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد من الخبز**[٢]"۰

---

(١) أخرجه (البخاري في الأدب المفرد)۰

(٢) أخرجه (البخاري في الأدب المفرد)۰

وروى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خطب قائلا: من ظلمه أبوه فليرفع ذلك إلى أقتص له منه، فقام عمرو بن العاص والى مصر فقال يا أمير المؤمنين لئن أدب رجل منا رجلا من أهل رعيته لبغض منه؟ قال عمر: كيف لا أقتص منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقتص من نفسه ٠

وفى المخزومية التى سرقت وثبتت عليها السرقة وخشيت قريش من إقامة حد السرقة عليها ولم يجرؤ أحد منهم على أن يكون شفيعا لها عند الرسول ﷺ ولجئوا إلى أسامه بن زيد محبوب الرسول ﷺ، فكلمه فيها فقال له الرسول ، مستنكرا : أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام وخطب فى الصحابة قائلا: "**يا أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**"٠

فالطبقات فى المجتمعات التى كانت قبل الإسلام أمر كان متعارف عليه سواء طبقة رجال الدين أو الأعيان أو رجال الحكم .

أما فى الإسلام فالناس جميعا متساوون من حيث القيم الإنسانية العامة فلا أشراف ولا نبلاء ولا طبقة عليا وطبقة دنيا. فقد احترم الإسلام آدمية البشر وجعلهم جميعا متساوون فى جميع الحقوق والواجبات فى الدولة الإسلامية.

وفى العصر الحالى نجد مجتمعات حديثة المعاملة غير متساوية بين المواطنين تبعا للون أو العرق أو الدين أو أصولهم ، وقد غرس الغرب دولة عنصرية فى وسطنا هى إسرائيل تمارس العنصرية بأبشع صورها فى مجتمعها وقوانينها، ومازالت أمريكا تمارس التقاليد العنصرية فى كل مناحى الحياة

١٩٦٨ والذى جعل التفرقة العنصرية أساس تجريم فى قانون اتحادى و مازالت المساكن المنفصلة لأبناء العناصر المختلفة تشكل النمط السائد فى الأحياء السكنية من نيويورك حتى كاليفورنيا، رغم أن السود والآقليات الأخرى قد خطو خطوات واسعة فى مجال حقوق الانتخابات وتولى الوظائف وما زالت المساكن التى يأوون إليها كل الناس موجودة فى مجتمعات يحكمها العرق [١].

إن الحق مصدره فى الإسلام الهى للحاكم والمحكوم يعلو فوق كل الحقوق لأنه ليس منحة من أحد أو لسلطة فهو حق الله وليس حق العباد فالأخوة الإنسانية هى تكريم من الخالق. للبشر "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**(٧٠)" ٠[الإسراء]٠

فالكرامة لكل مخلوق لمجرد كونه إنسان فهى واجبة التقديس سواء رجل أو امرأة وقد قال الإمام على – رضى الله عنه– : "الناس صنفان أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق"٠

العدل الإسلامى وسيادة القانون:

يطلق لفظ سيادة القانون فى الفكر الغربى ويعنى ذلك التزام الجميع حكاما ومحكومين بالقانون والناس جميعا أمامه سواء بلا تفرقة أو تنوع فى التطبيق. ولكن هذا القانون يضع البشر قواعده العامة ليحكم العلاقات بين الأفراد بعضهم البعض ولا يعنى ذلك تحقيق العدالة بين الناس إذ ربما لا يوفر هذا القانون للإنسان حقه العادل فى الحياة ، و إنما يعنى تطبيقه دون محاباة ٠

---

(١) كتاب الدكتور زناتى (**مدخل تاريخى لحقوق الإنسان**) ٠

هذا القانون يضع البشر قواعده العامة ليحكم العلاقات بين الأفراد بعضهم البعـــض ولا يعنى ذلك تحقيق العدالة بين الناس إذ ربما لا يوفر هذا القانون للإنسان حقـــه العادل فى الحياة ، و إنما يعنى تطبيقه دون محاباة ٠

أما العدل فهو أسمى من سيادة القانون وأعم وأشمل فقد يكون القانون ذاتــه ظالما طالما لا يحقق العدالة ، فالعدل اسم من أسماء الله فالمؤمن مطـــالب بحمـل أمانته نحو الكائنات إذ هو الخليفة فى الأرض مؤمن بالمساواة المطلقة بين الجنــس البشرى. والامتثال لأوامر الله و قوانينه التى بينها الله و هى ثمرة طبيعية لعبوديتــه وإيمانه بخالقه وهذا مظهر للعدالة والاتزان والموازنة بين النفس والمجتمع، فيعمـل لأن يحق الحق و لو كره الظالمون ٠

فالعدل فى الإسلام هو عدل فى الحكم و عدل فى الفعل و عدل فى القول **"ولـــا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيـــل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولـــو كان ذا قربى وبعهد اللـــه أوفـــوا ذلكـــم وصـــاكم بـــه لعلكـــم تذكرون(١٥٢)"**٠[الأنعام]٠

وقد تلازمت دعوة الإسلام إلى العدل بالنهى عن الظلم فى نفـــس الوقـــت وبين العواقب الوخيمة للظالمين **"وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا(٥٩)"**٠[الكهف]٠

" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون(٢٢٧)".[الشعراء].

وقد كان رسول الله ﷺ حريصا كل الحرص على التذكير فى أكثر من موقع بما للظلم من نتائج سيئة ، وذلك لكون السياسة العادلة من صلب الدين والسياسة الظالمة هى التى تلحق بمتخذيها العقاب فى الدنيا والآخرة، ومن هنا حذر الرسول من الظلم بوجه عام بقوله: **"اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"** فالعدل فى العرف الإسلامى ضرورة ضد الجور والظلم، فالعدل هو الحق وهما من أسماء الله الحسنى، ومجاوزة الحق حض على الظلم والجور.

فالعدل يرتبط فى الإسلام بفكرة العدالة فمن لا يفعل خيرا لا يستطيع أن يأمر به ، والحاكم لا يكون عدلا إذا كان ما يقوله عكس ما يأتيه :

"أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون(٤٤)".[البقرة].

"ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون(٢)كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون(٣)".[الصف٢].

فالمسلم العدل هو من تتساوى سرائره مع ما يعلنه وقد أكدت الآيات والأحاديث النبوية ذلك. فالعدل فى الإسلام هو عدل فى الحكم وعدل فى الفعل وعدل فى القول (الأنعام ١٥٢) فالعدالة الإسلامية لها ميزان واحد يطبق على جميع الناس وفى هذا يقول الله تعالى:

"يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا(١٣٥)".[النساء].

"يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون(٨)".[المائدة].

فهذه الآية تقرر إن الكفر لا يمنع إقامة العدل مع الكافر إذ أن العدل حق مقدس للغير عند المسلمين وأساس عقيدتهم وجزء من مكوناتها والذى يخرج عليه يعاقب لأن العدالة من التقوى.

فالعدل فى الإسلام لا ينظر فيه إلى لون أو دين أو طائفة فهو فريضة واجبة سواء كان الأمر تجاه مؤمن أو كافر صديق أو عدو. فالعدل واجب على الكافة تجاه الكافة و الظلم محرم على الجميع .

وفى الحديث القدسى :

"إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرم بينكم فلا تظلموا[١]" .

فالعدل الإسلامى يستظل به الجميع لافرق بين صديق أو عدو، قريب أو صديق مسلم أو غير مسلم يقول الله تعالى :

---

(١) أخرجه (أبو داود والترمذي).

"إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا(٥٨)".[النساء].

فالآية تقرر الحكم بين الناس بالعدل ولم يقل بين المسلمين أو المؤمنين ولكن التوجيه (الحكم بين الناس) فالإسلام يؤمن بالإنسانية وحق الإنسان أينما كان وأيا كان جنسه أو لونه أو عقيدته أو طائفته فالكل عنده سواء لأنه كرم الإنسان لما وهبه له ولأنه خليفته فهو أمام الله وفى العقيدة والدين لا خلاف بين مسلم وغير مسلم. فالله أوجب العدل ليس بين المسلمين وحدهم بل مع الأعداء وفى آية ٨ من سورة المائدة أكد ذلك و تعنى أن لا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم على أن تظلموهم بل التزموا العدل معهم، فالعدل شعار المسلم فى أفعاله و أقواله وتصرفاته **"ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون(١٥٢)"**.[الأنعام].

فالنصيحة يجب صدقها وعدلها، والإنصاف إذا سئلنا أو قلنا، والتعامل بين الناس بالعدل .

يقوم العدل فى الإسلام على سلامة العقيدة و الإيمان بها لأن الإسلام دين شامل فى حقوقه وواجباته يساوى بين الجميع فيها لا محاباة لقريب أو صديق .

فليس الأمر مجرد تقرير لمبدأ إنما كان محل تطبيق من رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ومن الأمثلة على ذلك.

١)- طبقه الرسول عندما شفع لديه فى امرأة من أشراف قريش ورفض الشفاعة وأقام عليها الحد .

٢)- سرق أحد الأنصار (طعمة بن أبيرق من بنى ظفر) درعا من جار له ثم خبأها عند رجل من اليهود وذهب صاحب الدرع إلى الأنصارى يطلبه، فحلف كاذبا انه لا علم له بها، ثم بالبحث عنها وجدها فى منزل اليهودى أخذها منه، وقال له اليهودى انه تسلمها من الأنصارى فشكا صاحب الدرع إلى الرسول ﷺ، وقدم إليه الأنصارى واليهودى ليحكم أيهما السارق؟ فحاول أهل الأنصارى استثارة الرسول ﷺ ضد اليهودى يثيرون عاطفته ضد اليهودى وحسن الظن بالأنصارى المسلم ، فعاتبه الله فى ذلك لأنهم حاولوا صرف الرسول عن الحق ولكن الله عصمه ومحص الأمر ودققه إلى أن انتهى لتبرئه اليهودى وكان عتاب الله للرسول لمجرد أنه مال بعض الشئ للمسلم فقال الله تعالى :

"أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما(١٠٥)واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما(١٠٦)ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما(١٠٧)يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا(١٠٨)".[النساء].

"ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا(١١٢)ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما(١١٣)" ٠[النساء]٠

٣)- شكا يهودى عليا إلى عمر – رضى الله عنهما – فلما مثلا بين يدى عمر خاطب سيدنا عمر سيدنا على وقال له قم يا أبا الحسن كعادته معه فى مخاطبته بكنايته تعظيما له فظهر الغضب على وجه على – رضي الله عنه – فقال له عمر – رضي الله عنه – : أكرهت أن يكون خصمك يهوديا وأن تقف أمامه فى القضاء .فرد عليه على قائلا : لا وقد غضبت لأنك لم تسوى بيننا خاطبته باسمه وخاطبتنى بكنيتى٠

٤)- وقصة عمر – رضي الله عنه – مع ابن عمرو بن العاص والى مصر عندما سابق أحد المصريين فسبقه المصرى فضربه بالسوط فاشتكى والد المصرى لعمر بالمدينة. فاستدعى عمر – رضى الله عنه – عمرو بن العاص وابنه إلى المدينة وأحلهم جميعا أمامه كمتخاصمين وقال المصرى أنه عندما سبق ابن عمرو بن العاص وضربه هذا توعدته بالشكوى إليك: قال اذهب فأنا ابن الأكرمين؟ وبعد أن حقق عمر الدعوى قال لعمرو بن العاص : "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" وناول الدرة المصرى وقال له: اضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك وبعد أن اقتص المصرى لنفسه طلب منه أن يضرب بها عمرو بن العاص ، فرفض المصرى مكتفيا أنه اقتص ممن ضربه ولكن عمر – رضى الله عنه – أراد عقاب الوالى لأن ابنه استغل نفوذ والده وعليه

مراقبة ذلك ومنعه كمسئول عن الولاية. أين هذا مما نراه الآن من أولاد الأكابر ؟

٥)- ثبت على رجل شرب الخمر فى ولاية أبو موسى الأشعرى ووقع الحد عليه وزاد على ذلك بأن حلق شعره وسود وجهه وطالب الناس بألا يجالسوه ولا يؤكلوه فاشتكاه الرجل لعمر - رضى الله عنه - فعوضه بمائتى درهم تعويضا وأرسل خطابا للوالى يحذره من تجاوز الحد المقرر للعقوبة وقال له: "لئن عدت لأسودن وجهك ولأطوفن بك فى الناس". وأمره أن ينادى فى الناس أن يجالسوه ويؤكلوه. والأمثلة على ذلك عديدة ونختم هذا المبحث بالآية الكريمة:

"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون(٩٠)".[النحل].

فالإسلام رسالة تستهدف إقامة العدل فى الحياة البشرية .

العدل الاجتماعى

وإذا تحدثنا عن العدل بوجه عام فإن الأمر فى الإسلام يستلزم أن ننساق إلى الحديث عن العدل الاجتماعى وهو فريضة مقننة فى الشريعة الإسلامية سواء بالصدقات أو الزكاة ووجوبها وبلا توسع فى هذا الموضوع لخروجه عن موضوع الكتاب فإننا نلقى بعض الضوء كإشعاع لمن يريد أن يستظل ببحث هذا الأمر فالعدل الاجتماعى أساس فى الإسلام واجب على المسلم بالعطاء حتى لا يثور الجياع و عبر عنه أبو ذر بقوله: "عجبت لرجل لا يجد قوت يومه لا يخرج على الناس شاهرا سيفه".

وقال على - رضى الله عنه- : "لو كان الفقر رجلا لقتلته".

وعلى هذا فرضت الزكاة وأصبح للسائل والمحروم حق معلوم فى أمــوال الأغنياء، وفي الحديث : "**وأيما أهل عرضه" مساحة أصبح منهم امرؤ جائع فقــد برئت منهم ذمة الله تعالى**[1]".

وقال ﷺ : "**من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله تعالى وبرئ الله تعالى منه**[2]".

وقال ﷺ : "**من اقتطع أرضا ظلما لقى الله عز وجل، يوم القيامـــة وهــو عليــه غضبان**[3]".

---

(١) أخرجه (أبو داود في سننه).

(٢) أخرجه (مسلم في صحيحه).

(٣) أخرجه (مسلم في صحيحه) و (أصحاب السنن).

الفصل الحادي عشر

حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية

- تعبير أهل الذمة
- الجزية في ذمة التاريخ
- المستأمن في الشريعة الإسلامية
- الغرب والتعصب

تعبير أهــــل الذمــــة

يمجد الدين الإسلامى الإنسان كخليفة لله فـــى أرضــه وتشــكل القيــم الأخلاقية ، وقواعد العدالة والمساواة ثوابت أساسية فى شريعة الله باعتبارها من مكونات العقيدة الإسلامية سواء للمسلمين أو غير المسلمين دون تفرقة بين البشر والآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهما مصدرا الشريعة الإســلامية تحضـــان المؤمن على ذلك وتؤكد أن غير المسلم فى الديار الإسلامية أنه فـــى ذمـــة الله ورسوله والحديث: **"من آذى ذميا فقد آذانى" "من ظلم معاهدا أو انتقص حقه أو كلفه فوق طاقته أو اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يـــوم القيامـــة" "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة"** وهذا يدلل على موقع أهـــل الذمـــة فـــى المجتمع فليس التعبير إنقاصا من حقوقهم وإنما التعبير عـــن مـــدى الحـــرص والمحافظة على كيانهم داخل المجتمع المسلم ومساواتهم الكاملة مـــع المســـلمين وبخاصة أهل الكتاب لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المســـلمين وقـــد عـــبرا الدكتور السيد الطويل عن ذلك بقوله[١] :

"هل هناك عز للمواطن أرفع من هذا المستوى الذى أمر به النبـــى صلـــى الله عليه وسلم فى مجال التعامل مع أهل الكتاب" .

ويقول الدكتور محمد بدر : "إن الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريـــم و الســـنة النبوية الشريفة تؤدى إلى القول بأن أهل الكتاب الذى يؤمنون بـــالله وملائكتـــه واليوم الأخر ويدينون بما فى كتابهم المنزل ، يكون لهم فى دولة الإسلام وضع لا يختلف عن وضع المسلمين إلا فى العبادات وفى تنوع دور العبادة لكل".

ومن المقارنات التى تنبه لها الأستاذ فهمى هويدى[٢]:

---

(١) نقلا عن الدكتور أد وارد الذهبى (**معالم غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى**).

(٢) فهمى هويدى (**مواطنون أدبيون**)، – دار الشروق

"إن كلمة الذمة لم تذكر فى القرآن سوى مرتين اثنتين فقط (سورة البقرة الآيتان ٨: ١٠) وقد ذكرت فى سياق الحديث عن تربص المشركين من قريش ، وكيف أنهم لو تمكنوا منهم فإنهم: لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة أى لا يترددون فى القضاء عليهم غير مراعين فى ذلك قرابة ولا عهد كما يقول ابن كثير والعهد المعنى فى هذه الآية هو صلح الحديبية المشهور .

فى غير هذين الموضوعين لا نجد فى نصوص القرآن أثر لتعبير أهل الذمة ، لا لصفة للذميين و إنما كانت إشارات البيان الإلهى إلى الآخرين تستخدم أوصافا أخرى لكل أهل الكتاب أو غيرهم من المشركين ويقرر أن هذا التعبير أصلا فى السنه النبوية فى مواضع مختلفة مثل الحديث الشريف "**من آذى ذميا فأنا خصمه**" ، وقوله – عليه السلام – فى خطبه الوداع "**أوصيكم بأهل ذمتى خيرًا**" وقد استعمل النبى هذه الكلمة (الذمة) فى معظم كتبه الموجهة إلى الأفراد والعشائر بأن كان يذكر فيها أنه يعطيهم (**ذمة الله ورسوله**) .

فاللفظ أيام الرسول ﷺ كان معناه ومدلوله أن لهم ذمه وعهدا ، لان ذمه الله ورسوله اقوى من أى شئ حتى لا يساء لهم أو تنتفى حقوقهم فى دوله الإسلام والدين حديث الوجود فقد يؤدى التعصب أو العصبية إلى الإساءة لهم أو انتقاض حقوقهم هذه هى الفلسفة التى أملت التعبير ولا تستند على نص قرآنى قاطع كما عبر عن ذلك الأستاذ فهمى هويدى المرجع السابق ص ١١١ وما بعدها إلى أن :

هذه الصيغة التى أطلقت على الآخرين على لسان رسول الله وعهده دخل تعبير أهل الذمة قاموس التخاطب مع غير المسلمين سواء فى الممارسات الواقعية أو فى كتب الفقه المختلفة .

ولكن هذا التعبير وان استخدم فى أحاديث النبى وعهوده إلا انه كان جزء من لغة الخطاب فى تعامل القبائل العربية قبل الإسلام اذ كانت عقود الذمة و الأمان هى صيغة التعارف التى تعارف عليها عرب الجاهلية ".

"أى أننا نقف فى حقيقة الأمر فى مواجهه صيغه لا تستند الى نص قرآنى واستخدامها فى السنه كان من قبيل الوصف لا التعريف الأمر الذى لا يصنفه فى أى من درجات الحكم الشرعى الملزم] . **إلى أن يقول صـ ١١٢ :**

" أننا فى محاولة تقييمنا لصيغة أهل الذمة وتحديد طبيعة موقع (الذميين) في المجتمع الإسلامى المعاصر نظل بحاجة دائمة إلى أن نستحضر التفرقة بين ما هو شرع أنزله الله وبلغة نبيه عليه السلام وبين ما هو فقه صنعه الفقهاء حسب رؤيتهم لظروف الزمان والمكان فالإسلام لا ينظر نظرة عداء لأتباع الرسالات السماوية وقسمة الناس على أساس أديانهم فلا يلغى الانتماء للوطن فالتفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح وهذا هو ما سار عليه الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده في عصور ازدهار الرسالة وقد تعددت شواهد التطبيق لهذه القواعد في عدالة تامة و مساواة كاملة فى سيادة شرع الله و أوامره و نواهيه .

هذا هو الإسلام ، كما يفهم من سياق مصادر (القرآن و السنة) مساواة بين الناس جميعا لا نفرق بين مسلم و غير مسلم فالمبادئ تطبق على الجميع بمساواة تامة كقول الرسول ﷺ : **"لهم ما لنا و عليهم ما علينا"** والشواهد على ذلك كثيرة :

١)- يتزوج المسلم الكتابية وحقوقها المدنية والدينية ويعايشها ولا يمنعها من ممارسه شعائرها الدينية وقد تزوج الرسول ﷺ من مارية القبطية المصرية[١].

٢)- الحوار معهم بالحسنى .

٣)- نصرف الزكاة لفقرائهم مع حقهم فى الضمان الاجتماعى و قد فرض سيدنا عمر لمن رآه يتسول من بيت مال المسلمين و قال لقد أخذنا منه شابًا فليس من العدل أن نهمله مسناً ٠

٤)- للكتابين مزوالة طقوس دينهم و بالأخص فى حياتهم المعيشية كالزواج والطلاق والميراث ٠

٥)- و المساواة أمام القضاء كقصة سيدنا على و اليهودى عندما تخاصما أمام سيدنا عمر ٠

٦)- إيمان المسلم برسالة موسى وعيسى فالإسلام هو الدين الوحيد الذى يؤمن بطهارة جميع الأنبياء دون تفرقة و مساواتهم بالنبى ﷺ .

٧)- وحدة الركائز الإيمانية و الأخلاقية و المثل وقوف الرسول ﷺ عندما مرت جنازة يهودى و قالوا له أنه يهودى فقال لهم روح أى لا تختلف روح المسلم عن روح أى إنسان ، وجاور الرسول يهوديا و سأل عنه عندما مرض رغم إيذائه للنبى .

٨)- أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أقباط مصر والتوصية بهم :

"إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لكم فيهم ذمه ورحما"٠

"الله فى أهل المدرة السوداء الحمر (الحد) الجعادل أصحاب الشعر المنكسر ، فان لهم نسبا وصهر"٠

(١) من قرية حقين إحدى قرى محافظة المنيا بصعيد مصر واسمها الآن الشيخ عبادة بن الصامت الصحابى الجليل رضى الله عنه ٠

٩)- اليهود و النصارى بين المسلمين منذ ظهور الإسلام يتعبدون علنا في معابدهم في البلاد الإسلامية حتى عصرنا الحالي في جو من التسامح لا يعرف العالم له مثيلا ، وقد كفل الإسلام لهم حفظ أموالهم و أنفسهم و أعراضهم و احترام أراءهم .

"قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين(٦٨)" .[المائدة].

"وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون(٤٧)".[المائدة].

١٠)- الديمقراطية تقرر سريان قانون الأغلبية على الأقلية ، و لكن الإسلام يقرر حق الأقلية في كثير من أحوالها تطبيق قانونها (بيع و شرب غير المسلم للخمر و أكل لحم الخنزير)

١١)- حلل الله أكل أهل الكتاب للمسلمين مساواة بينهم .

١٢)- من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، قال الرسول ﷺ فأنا خصيمه يوم القيامة .

١٣)- الجزية فرضت في البدء على أهل الكتاب و الزكاة على المسلمين وكلتهما كانت تؤدى لبيت المال و ما فرضت الجزية إلا لأنهم لم يحاربوا و يتحملوا المشاق أما إذا دخلوا الجندية تسقط عنهم و لا تفرض عليهم زكاة لأنها ليست في شريعتهم .

١٤)- موقف عمر بن عبد العزيز من كنيسة يوحنا بدمشق يفق و عهد النبـــــى وهو :

كان الوليد بن عبد الملك قد هدم جزء كبيرا من كنيسة يوحنا ليقم امتـداد المسجد الأموى وحين ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة شكا إليه نصارى دمشق ما حدث لكنيستهم و دخول جزء الجزء الذى هدم منا إلى المسجد ٠

فأمر عمر بن عبد العزيز بهدم الجزء الذى أدخل من الكنيسة فـــى المســجد و إعادة الأرض التى أقيمت عليها الكنيسة ٠

و أرسل علماء و فقهاء دمشق و فد منهم لإقناع أمير المؤمنين بـــالعدول عــن قراره فأبى إلا التنفيذ ٠

و لم يجد العلماء سبيّلا لإنقاذ المسجد سوى أن يفاوضوا رجـــال الكنيســـة فـــى دمشق و عقدوا معهم اتفاقًا يرضونه فتنازلوا عن الجزء المأخوذ من كنيســـتهم ، ثم ذهب وفد من الطرفين للخليفة و أخبروه بالاتفاق فحمد الله عليه و أقره ٠

و يرى كثير من الكتاب أن كلمة أهل الذمة يتعين مراجعتها و يعبر عـــن ذلك الأستاذ فهمى هويدى :

"أنه كان تعبير عن حالة " تعاهدية " تعارف عليها عرب الجاهلية فـــى تنظيـم علاقات القبائل و الأفراد ، استمر إلى ما بعد الإسلام ، صمن ما أخذ به تقـــاليد وأعراف"٠

ثم يقول : "إن معيار قسمة الناس على أساس دينهم ، يلغى قيمة الوطـــن الـــذى يجب أن يظل ملكا للجميع ، سواء الذين يدافعون فيه عـــن العقيـــدة أو الذيـــن يدافعون فيه عن التراب ، والذين يقولون بغير ذلك " يخـــاطبون عالمًـــا غـــير عالمنا، يكتبون كلامهم لنقرأه نحن فى النصف الثانى مـــن القـــرن العشـــرين ،

وأعينهم وفكرهم على دولة الإسلام الكبرى فى العصر الأموى و العباسى الأول".

ثم يستطرد قائلا : "إن اعتبار غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى مواطنين من الدرجة الأولى لن يضيف جديدا للوضع الراهن ، بعد أن سبق هذا الواقع تقريو الباحثين فى تقريره لتلك الحقيقة ، بينما أكثرهم لم يستطع أن ينقل عينيه عن الماضى ، ليرى خريطة الحاضر و متغيراته ، إن غير المسلمين صاروا شركاء أصليين فى أوطان المسلمين ، و لم تعد علاقاتهم بالمسلمين تتوقف على إجازة قبيلة لقبيلة أخرى ، أو خضوع من قبيلة لقبيلة أخرى ، الأمر الذى يجب أن يسقط معه على الفور و مهما كانت المبررات أى تصنيف لهم فى مربع الأجانب والغرباء ... إن ديار المسلمين ينبغى أن تظل ملكا للمسلمين و غير المسلمين ، بغير تسلط و لا أفضلية من أحد على أحد ، لأنه لا فضل لإنسان على إنسان إلا بتقواه و عمله الصالح ؛ و إذا كان ذلك هو معيار التفاضل بين الناس أمام الله سبحانه و تعالى ، فما بالكم بمعيار يتفاضل فيه الناس فيما بينهم".

و فى كتاب " التدين المنقوص " يقول الأستاذ فهمى هويدى : "أن أول وثيقة مكتوبة فى تاريخ الإسلام ، التى حررها النبى و هو يرسى أسس المجتمع الإسلامى فى المدينة ، التى عرفت باسم (الصحيفة) تضمنت نصا اعتبر اليهود و المسلمين " أمة و احدة " بحيث عوملوا كمواطنين فى الدولة الإسلامية الوليدة ، و لم يعاملوا كأجانب أو رعايا من الدرجة الثانية".

و يرى الأستاذ الدكتور مصطفى محمود عفيفى بحق : "أن النص فى الصحيفة على أن المسلمين و اليهود أمة واحدة قد سبق المواثيق و العالمية و الدساتير

الوطنية بقرون عدة فى مجال تطبيق مبدأ الحرية الدينية فى ظل ظرف الأمن و السلام الاجتماعى القائم على الوحدة الوطنية بين ذوى العقائد المختلفة [١]

ويقول فضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى : "وكان هذا العهد دستورا لأهل المدينة جميعا مسلمين و غير مسلمين ، لم يترك صغيرة و لا كبيرة تؤدى إلى الألفة و المحبة و التعاون إلا نص عليها و قررها ... و بهذا يكون النبى صلى الله عليه و سلم ، قد أقام وحدة وطنية داخل المدينة يعمل الجميع فى إطارها ، و يلتزمون بكل بنودها ، متمتعين بعدل الإسلام وسماحته : لكل منهم حقوق و عليه واجبات ، ومن وفى فله الوفاء ، ومن نقض العهد فعليه إثم ما نقض و عقاب ما جنى ...و إذا كان اليهود أقلية فى مجتمع المدينة فإن الإسلام جعل لهذه الأقلية حقوقا ، و جعل عليها واجبات ، و هذا شأن الحكم العادل الذى لا يعتدى على الضعيف و لا يظلمه و لا ينكر له حقا من حقوقه مادام يؤدى ما عليه من واجبات ، فالكل سواسية أمام القانون ، ومن يأثم على القانون فإنما إثمه على نفسه[٢]

ثم يضيف فضيلة الشيخ الشعراوى فى يوميات تالية قوله :

"إن اعتراف الصحيفة بجماعة المختلفين ثم و صفهم بالأمة الواحدة ، يؤكد أن الألفة بين الجماعات على أرض واحدة ، هى حجر الأساس فى بناء الوطن ، ومصباح الطريق إلى مستقبل قوى و عزيز لهذا الوطن ...و علينا أن نضرب الأمثال من تراثنا التاريخى و ميراثنا الدينى و أول هذه الأمثال " صحيفة المدينة " لعل العالم يفتح عينيه من جديد على ما يحمل الإسلام من فكر متقدم فى حقوق الإنسان ، و حقوق المواطنة ، و حرية التدين ، و إنكار التصفيات العرقية ، لأن

(١) مصطفى محمود عفيفى ص ١٧٥ نقلا عن كتاب الدكتور إدوارد غالى معاملة غير المسلمين

(١) محمد متولى الشعراوى – يوميات الأخبار – صحيفة الأخبار – ١٩٩٣/٧/٩

لكل إنسان حق الحياة الكريمة الوادعة التى يؤدى فيها واجباته و يأخذ حقوقه ... إن الإسلام هو صاحب مبدأ الوحدة الوطنية بين الأكثرية و الأقلية و بين المختلفين فى العقائد على السواء .... و من واجب الهيئة العامة للكتاب أن تذيع " صحيفة المدينة " و أن تنشرها بين الناس ، مع شروح وافية لها من أساتذة التاريخ و علماء الحضارة و الاجتماع و تقدمها للناس بسعر زهيد يكون فى متناول الجميع .... "(١)

وقد لا حظ البعض أنه برغم ما سجله القرآن الكريم من انتقادات لعقائد اليهود والنصارى ، فإن ذلك لم يحل دون الاعتراف باليهود فى الصحيفة أو فى دستور لمجتمع المدينة و لم يحل دون اعتبار الديانتين أهل كتاب " لهم ما لنا وعليهم ما علينا " (٢)

والجدير بالذكر أن الموقف العدائى الذى وقفه اليهود من الإسلام والمسلمين، وتحالفهم مع أعداء المسلمين، هو الذى أدى إلى تغير نظرة المسلمين إليهم .

وكتب الأستاذ الدكتور جمال الدين محمود: "كان المجتمع الإسلامى فى عهد النبوة يضم كل أهل الأديان السماوية النصارى و اليهود ، و كانت لهم فى العصور التالية مشاركة فعالة فى نمو المجتمع الإسلامى و تقدمه ، و شغل الكثير منهم مواقع علمية و فكرية بل و تنفيذية رفيعة أيضا ، و لم يعتبر اختلاف الدين مانعا من التعايش و التعاون فى ظل الإسلام بما يحقق معنى المواطنة التى تسوى بين المواطنين فى البلد الواحد" .

(١) محمد متولى الشعراوى – يوميات الأخبار – صحيفة الأخبار – ١٩٩٣/٧/١٦

(٢) فهمى هويدى – مقال " الفصل بين العقيدى و الحضارى " صحيفة الأهرام – ١٩٩٢/٩/١٥

ودموع التماسيح التى يذرفها البعض على الإساءات التى تحدث لمشاعر غـــير المسلمين ، تنطلق من بداية خاطئة فى أساســـها ، فـــهم يظنـــون أن المجتمـــع المصرى هو مجتمع المسلمين وحدهم، وأن غيرهم " فى حكم الضيف " الـــذى يجب إكرامه ، مع أن الحقيقة أن قبط مصر هم مثلنا " أصحاب البلـــد و أهلـــه وأبناؤه " لهم فى مصر ما لنا تمامًا، والمجتمع المصرى نسيج واحد منذ أكثر من ألف سنة لا يمكن تفرقة خيوطه أو تمييزها إلا بتمزق الثوب الواحـــد ... و لذلك يجب أن نخلى عقولنا ونفوسنا من حساسية لا مبرر لها . فالمصريون جميعـــا يستمدون حقوقهم و يتحملون واجباتهم بناء على " صفة المواطنة " التى تشـــمل الجميع و تسوى بينهم"(١)

ويؤكد الأستاذ خالد محمد خالد حق المواطنة لجميع المصرين بقوله : "هناك فقط وطن واحد لمواطنين أكفاء و متساوين .. فالمسلم مواطن ، وغير المسلم مواطن أيضا ، تجمع بينهم المواطنة مهما تباعد بينهما الأديان"(٢)

وخلاصة القول أن تعبير أهل الذمة لم يعد معبرا عن الواقع الراهن ، لأن جميع أبناءالدولة مواطنون ، يستمدون حقوقهم و يتحملون واجباتهم بناء على صفـــة المواطنة التى ترفض التمييز بسبب الجنس أو الأصـــل أو اللغـــة أو الديـــن أو العقيدة (مادة ٤٠) من الدستور .

الجزية في ذمة التاريخ:

من المواضيع التى يدور حولها نقاش طويل وتشوه صورتها، الجزيـــة التى تفرض على أهل الذمة وانحرف بها المغرضون عن حقيقتها رغم ضآلـــة

---

(١) جمال الدين محمود – مقال قبط مصر .. هم أبناء هـــذا البلـــد – صحيفـــة الأخبـــار – ١٩٩٢/٦/٢٤

(٢) خالد محمد خالد – قصتى مع الحياة – صحيفة الوفد – ١٩٩٢/١١/١٩ .

قيمتها ونسب البعض دخول الناس فى الإسلام تهربا من الجزية مع أن الجزية قيمتها لا تشكل فى أى زمان أو مكان عبء على أى شخص إذ لم يتجاوز فى أى فترة من فترات التاريخ دينارا واحد على الشخص مع وجود إعفاءات منها لأشخاص عديدة فهى لا تفرض إلا على الأصحاء من الرجال الذين يمكنهم حمل السلاح فلا تفرض على الأطفال أو النساء أو العجزة أو رجال الدين ، فهى ليست ضريبة دينيه إنما كانت ضريبة دفاع لمن لا ينخرط فى الجيش دفاعا عن الديار وتجب مدة واحدة فى السنة من العقلاء ولا تؤخذ من صبى أو امرأة أو راهب ولا من ذى حاجة أو شيخ أو فقير ٠

والأفراد البالغين من الذكور وحدهم وتجبى من أهل الكتاب ومن لهم شبة كتاب كالمجوس دون غيرهم .

والجزية الآن تشبه سهم المؤلفة قلوبهم الذى أوقف سيدنا عمر الدفع لهم بعد أن قويت شوكة الإسلام فقد كانت الدولة فى الماضى تحصل على الجزية ومن الطريف أن للعرب أو الموالى أو أهل الذمة مروا فى ظروف الإسلام التاريخية فى معارج مختلفة كمواقف سياسية منها .

١ – موقف الأمويون من قريش والعرب والموالى

٢ – موقف العباسيون من كسرة العرب والاستعاضة بالموالى .

وقد جاء عن ذلك فى كتاب (وعاظ السلاطين) للدكتور على الدروى:

"كانت الحركة العباسية عبارة عن حركة موالى للانتقام من العرب و القضاء على دولتهم ، وتشير كثير من الدلائل التاريخية إلى أن الدولة العباسية أسست على بغض العرب ٠و قد حدث فى عهد هذه الدولة رد فعل عنيف ضد العروبة و انتشرت الشعوبية آنذاك انتشارا فظيعا ودفع العرب فى عهد بنى العباس إلى الصحراء يرعون الإبل من جديد"٠

وقد أرسل إبراهيم الإمام زعيم الدعوة العباسية إلى وكيله أبـــى مســلم يقول له : "إن استطعت ألا تدع بخرسان أحد يتكلم بالعربية إلا قتلته فـــافعل أو أيما غلام بلغ خمسة أشبار نتهمه فاقتله"٠
وقد كتب عنها توماس أرنولد فى كتابه : الدعوة إلى الإسلام. "وقـــد فرضــت الجزية على القادرين من الذكور مقابل الخدمة" "العسكرية التى كانوا يطـــالبوا بأدائها لو كانوا دخلوا الإسلام" "ومن الواضح أن أية جماعة كانت مسيحية تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت فى خدمة جيـــش المســلمين" وفـــى معنـــى التخفيف الشديد فى الأعباء الضريبية تجاه الدولة العربية الإسلامية قول بتلر فى كتابه (فتح العرب لمصر) حول هذا الآية: "لقد كانت ضرائب الروم من غـــير شك فوق الطاقة وكانت تجرى بين الناس على غير عدل ، على أن وطأة هـــذه الضرائب خفت بعد فتح العرب . كما أن التفرقة بين الناس فى أمرهـــا أزيلـــت وقد كانت الخدمات التى ينهض بها اقتصاد الدولة الإسلامية فى مجتمعها المؤمن محكوم بأحكام القرآن ، فقد كانت موجهة للناس جميعا لأنهم سواسية فى الحقوق متكافلون فى الواجبات" ٠فالتفسيرات الفقهية المتزمتة خرجت بعهد الذمة عـــن مقاصده ومراميه واستغل الذين يعملون على تشويه صورة الإسلام هـــذا فـــى محاولة للانتقاص مما جاء فيه من حقوق إنسانية متكاملة فكـــرم الإنســـان فـــى الأرض ومن ثم فالأمر يحتاج إلى الرأى السديد وتنقية هذه الشوائب وقد عـــبر عن ذلك الدكتور إدوارد غالى فى كتابه السابق الإشارة إليـــه يقـــول فـــى ص ١٢٩تحت عنوان سقوط الجزية بزوال علتها قوله: "وترتيبا علـــى ذلـــك فـــإن الرأى المتفق عليه بين الفقهاء هو أن الجزية تسقط عن الذمى إذا ما حارب فـــى صفوف المسلمين" "وجاء بهامش الكتاب ٤ ذكر المراجع التى استقى منها هـــذا الرأى ــ وهبه الزحيلى ص٤٠٣ ــ محمد شـــوقى التنجـــرى ص٩٩ ــ فـــهى هويدى ص١٤٤ ــ يوسف القرضاوى ص ٣٥ " ٠ولما كان الواقع الراهن هـــو

أن جميع أبناء الوطن من مسلمين وغير مسلمين يشتركون صفا واحدا فى الدفاع عن ترابه ، فإن موضوع الجزية لم يعد واردا فى المجتمع الإسلامى الحديث على اعتبار أن العلة الأساسية التى بنى عليها الحكم الشرعى لم يعد لها وجود •

وقد حلت المواطنة بعد الالتحام بين المواطنين جميعا دون تفرقة واختلطت الدماء دفاعا عن الوطن .

و فى تاريخنا المعاصر كان هنالك ضريبة الدفاع للمواطنين حتى سنه ١٩٤٧ وهى التى سميت (البدلية) وكان من يدفعها يعفى من التجنيد ولا ينخرط فى عداد القوات المسلحة مسلما كان أو نصرانيا أو يهوديا وقد كانت الدولة تعفى من هم من أصل عربى من الانخراط فى الجيش المصرى . ومن خير ما كتب فى هذا الموضوع ما كتبه الدكتور محمد سليم العوا فى جريدة الوفد بتاريخ ١٩٩٧/٤/١٨ فالمساواة بين المواطنين هى ثمة الحقيقة لمن يفهم الإسلام ومبادئه والحقوق والواجبات المستمدة من القرآن و السنة وروى عن المنصور أنه كان له خادم عربى ولم يكن يدرى بعروبته فلما علم بذلك طرده وقال : "أما أنك نعم الغلام . ولكن لا يدخل قصرى عربى يخدم حرمى أخرج عافاك الله فاذهب حيث شئت".

واستمر الحال على هذه السياسة حتى بادت دولة العرب. وإذا تمعنا فى أمر الجزية فإننا نجدها للدفاع عن الذميين لحماية أموالهم وأنفسهم وأرضهم وضمان حرية معتقاداتهم ولمسئولية الدولة عن عجزتهم و مساكينهم، فالمسلم يدفع زكاة ماله أضعافا مضاعفة أكبر فى قيمتها من الجزية بمسافة كبيرة ولا تقارن بها ، لكن عدالة الشريعة لا تفرض زكاة على من لا يسلم فالأمر واضح و قاطع فى دلالته على عدالة شريعة الإسلام ولا يجادل فى ذلك إلا متقول مغرض عمى قلبه بالحقد والالتواء وسوء قصد السبيل . فالجزية كانت لمن لا

يدفع الزكاة من أهل الكتاب ، و الزكاة تفرض على المسلم بمجرد دخوله الإسلام فليست الجزية أو الزكاة عقوبة فلا مفاضلة بين المسلم و غيره فى تحمل عـبء الدفاع أو المساهمة بالمال أيًا كان مسماه ورعاية الوطن و الرأى المتفق عليـه بين الفقهاء قديما أن الجزية تسقط عن الذمـى إذا مـا حـارب فـى صفـوف المسلمين، ومن ثم و الكل سواء فى الدفاع عن الوطن فلم تصبح للجزية محـل فى الحديث أو القول فى المجتمع الإسلامى و الكلام عنها من نافلة القـول و لا يراد بها إلا الفتنة و إثارة النفوس و شحنها لتفتيت الأمة للنيل منها .

المستأمن في الشريعة الإسلامية:

الإسلام دين عالمي ينشد التعاون والتعامل مع سائر القوى .

"يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَـائِلَ لِتَعَـارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُـمْ عِنْـدَ اللَّـهِ أَتْقَـاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيـمٌ خَبِيرٌ(١٣)" .[الحجرات].

فالتعارف بين الشعوب ضرورة من ضرورات الحياة لم يغفلها الإسلام بل حـث عليها لقضاء حاجات الناس تجارة / سياسة / علم . ويترتب على ذلك الانتقـال والتنقل والإقامة فى دولة غير دولة المقيم ومن أجل ذلك شرع فى الإسلام (عقد الأمـان) للتيسـير علـى النـاس لدعـم السـلم والآمـن " **لِإِيلَـافِ قُرَيْشٍ(١)"** .[قريش]..

فعقد الأمان وسيلة من وسائل دعم السلم و الأمن بيـن رعايـا الـدول وتبادل المنافع العلمية والاقتصادية بين الناس دون الإضرار بمصالح الدولـة أو الإخلال بالأمن بين المواطنين.

وعقد الأمان : المؤمن والمستأمن، والمستأمن هو من يدخل دار غيره مسلما كان أو غير مسلم والمستأمن فى دار الإسلام بمجرد عقده عقد الأمان تجب له حقوق وتلزمه واجبات وهذه الحقوق نوعان :

١)- حقوق عامة مثل الحق فى دخول الدار وحق فى الحماية داخلها وحق فى حرية العقيدة والرأى والتعليم وحرمة المكان وحق القضاء وحق الخروج من الدولة (التمتع بالمرافق)

٢)- شئون خاصة أى الالتزام بما ينشأ بين الأفراد من علاقات أسرية أو مالية .

الغرب والتعصب:

وإذا تطرقنا إلى الدول الغربية و أمريكا نجد أن التفرقة العنصرية وأن الواقع الحقيقى للحقوق التى يتشدقون بها لا يتمتع بها الجميع على قدم المساواة" فلم تسمح إنجلترا الملكية المقيدة أو فرنسا الثورية أو الديمقراطية الأمريكية بإعطاء حق متساوى لكل شخص يعيش فى ظلال سلطة دولها وأن لم يكن لطلائع التنوير الغربى إلا أن تنتقد بشدة قرار البابا قبل قرون باعتبار الهنود الحمر كائنات لا أرواح لها وبالتالى حق المسيحى فى قتلها فقد ربط قانون ٢٢ ديسمبر سنه ١٧٨٩ فى فرنسا الحقوق السياسية بما يدفعه المواطن من ضرائب ولم تعط الولايات المتحدة الأمريكية حق التصويت لأصحاب البشرة السوداء قبل ستينات القرن العشرين ! الأمر الذى يقودنا إلى اعتبار المواطنة شكلَ آخر منحصر لحرمان أشخاص معينين فى مجتمع من حقوق تمنح لمن تشملهم كلمه المواطن] (١)

---

(١) نقلا عن كتاب (**المواطنة فى التاريخ العربى الإسلامى**) د. هيثم مناع – مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان .

أما ما جاء بصحيفة يثرب منذ بدء الرسالة الإسلامية منـــــها وحذفــت أساس العقدية ولم تستثنى المقيمين على ارض المدينة من حقوقهم الإنسانية وقـد سبقت هذه الصحيفة كل ما نراه فى هذا العصر مع الأخذ فى الحسبان الفـــارق الزمنى بين سنه ٦٢٢ ميلادية وبين القرن٢١ الميلادى ومازال صدى الجماعات الرافضة المتطرفة فى المجتمع العربى المتجنسين من المهاجرين إلـــى الــدول الغربية تجد لها أذانا صاغية، بل وقوى عديدة تناقص كل مواثيـــق حقــوق الإنسان •

الفصل الثاني عشر

الاقليات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية

- المعني بالأقليات الإسلامية
- فقه المهجر أو الأقلية
- الأقلية الإسلامية وأهميتها

تعيش الأقليات الدينية فى المجتمعات الإسلامية، على قدم المساواة مع المسلمين دون تفريق بين مسلم وغير ومسلم في إطار العدالة المطلقة واحترام حقوق الإنسان لأنها فروض ملزمة تكون عقيدة المسلم ، ومن ثواب الشريعة مقاصدها الشرعية .وهذا الذى يتمتع به غير المسلم فى المجتمع الإسلامى ، لا تخول المجتمعات غير الإسلامية وبالأخص الأوربية للمسلمين فى دولها بعض الحقوق الإنسانية المتعارف عليها على نحو يليق بمجتمعات معاصرة تدعى حضارتها بما وفرته من حقوق الإنسان ولكنها حقوق ذات معيار مزدوج تتسم بالعنصرية عند التطبيق وتعانى منه الأقلية وبالأخص الأقلية المسلمة ذلك الاضطهاد الذى يقابل سبات عميق من جانب الدول الإسلامية المتفرجة ، فلا يجدوا منها عونا يليق بمن يؤمنون بالعقيدة الإسلامية فهم بين فكى الرحى بين الاضطهاد و السكوت الإسلامى مع أن من عناصر الجهاد هو دعم الداعية والدعاة ونشر الدين بالحكمة والموعظة الحسنة ومساعدة المؤلفة قلوبهم ، فما بالنا واغتيال عقيدة الإسلام ومحاولة اقتلاعها من المهاجرين المسلمين فى بعض الدول الغربية وبدعم من الحكومات باعتبار العقيدة الإسلامية الخطر الأخضر الذى يجب مقاومته بعد انتصارهم على الخطر الأحمر (الشيوعية) ، فماذا فعل المسلمون مما يحاك لهم وسط الأقليات الإسلامية فى شتى دول العالم .

لقد نفذ الغرب على وجه الدقة مقولة (دمروا الإسلام و أبيدوا أهله) وهذا ما نشاهده فى كذبهم الذى يكررونه ليلا ونهارا ، وهذا على سبيل المثال انطونى ناتنج يقول :"منذ أن جمع محمد رسول الله ﷺ أنصاره فى مطلع القرن السابع الميلادى وبدأ أولى خطوات الانتشار الإسلامى فإن على العالم الغربى أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة تواجهنا" .وهذا اسقيان يومان يقول:"إن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى من الإسلام ولهذا الخوف أسباب منها إن الإسلام منذ ظهر بمكة ، لم يضعف عدديا ، بل إن اتباعه يزدادون باستمرار ، كما أن هذا الدين من أركانه الجهاد" .

وهذا هو " سالا زار " يصرح فى مؤتمر صحفى قائلا: "إن الخطر الحقيقى على حضارتنا هو الذى يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم. فلما سأله أحد الصحفيين قائلا : لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم و نزاعاتهم ! .أجاب قائلا : اخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافاتهم إلينا".

وهذا أحد المسئوليين بوزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ يقول : "ليست الشيوعية خطرا على أوربا فيما يبدو لى ، أن الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الإسلامى".

وهذا هانوتو وزير خارجية فرنسا الأسبق يقول: "رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها ، فإن الخطر لا يزال موجودا، من انتفاض المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التى أنزلناها بهم ، لأن همهم لم تخمد بعد" .

وهذا غاردنر يقول: "إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس ، إنما كانت لتدمير الإسلام ، فلا يزال نزعهم من الإسلام قائما ، ولا يزال بعضهم يحذر جموعهم ، ولا يزال قادتهم يستحثونهم على تدمير الإسلام و أبادة أهله" .

هذا ريتشارد نيكسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية يصرح فى كتابه " الفرصة السانحة " قائلا : "إن العالم الإسلامى يشكل واحدا من أكبر المتحديات لسياسة للولايات المتحدة الأمريكية الخارجية فى القرن الحادى والعشرين كما يصرخ فى جموع أعداء الإسلام قائلا : يحذر بعض المراقبين من إن الإسلام سوف يصبح قوة " جيوبولميتكية " متطرفة وانه مع التزايد السكانى و الإمكانات المادية المتاحة : سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة .....الخ" .وقد جرت مذابح للمسلمين فى البوسنة والهرسك ثم كوسوفو ومن قبل اضطهادهم فى يوغسلافيا تحت حكم تيتو صديق العرب وعدو المسلمين فى يوغسلافيا من قبل والمذابح مازالت مستمرة هناك والمقابر الجماعية شاهدة على ذلك والمسلسل مستمر والعالم الإسلامى فى غفلة وثبات لم يستيقظ للآن بمباركة

من الدولة الغربية وسكوت إسلامى فى حرب العقيدة التى يخوضونها وباستعراض الأقليات الإسلامية فى الدول المختلفة فى أسيا وأفريقيا وفى أوربا وأمريكا نجد أن الجاليات فى كل منهم لا تتمتع فى الغالبية العظمى بحقوقها السياسية كاملة بل تحارب فيهم السلوك الإسلامى الصحيح ، حتى إننا نجد فرنسا الدولة العلمانية تحارب المسلمات إذا لبست الحجاب وتترك اليهود يمارسون حقوقهم كاملة فى كل مكان إذ تعرف اليهودية عادة تغطية الرأس ، عادة متبعة لدى المتدينين و المتدينات من اليهود و ل تزال المرأة اليهودية حريصة على دينها تغطى شعرها ، و لا يزال اليهودى الحريص على دينه يحضر إلى جانبه هارفارد و على رأسه الطاقية التى تغطى قمة رأسه فلماذا إذا لا ينبغى للمسلمة أن تغطى رأسها أو شعرها؟! أما إذا أقدم المسلم على اتخاذ موقف إسلامى يحارب ويقاوم لأن العداء للإسلام متأصل فى نفوسهم الشريرة فالصليبية المعاصرة وهى امتداد للصليبية الغابرة والتى تخلت عن جوهر المسيحية الحقيقى مازالت تمارس الحقد والتعصب على كل ما هو إسلامى وقد قال الكاتب النمساوى ليوبولدنايس الذى أسلم :"فيما يتعلق بالإسلام ، لا تجد موقف الأوروبى إلا فى موقف كره فى غير مبالاة كما هو الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات ، بل هو كره عميق الجذور ويقوم فى الأكثر على حدود من التعصب الشديد وهذا الكره ليس عقليا فقط ولكن يصطبغ بصبغة عاطفية قوية"

"لا حصرا لأن التفرقة يجد الآن المرء فى أوروبا الغربية مئات الجوامع الصغيرة ، و لكن فى الشقق أو المياه الصناعية المهجورة . و إذا أراد المسلمون بناء جامعا مناسبا بمنارة عالية ، فتوقع معركة قانونية سواء كان ذلك فى ليون أو إسين ، و قد وجدوا فجاءة أن مدخنة مصنع أكثر جمالا من منارة على الطراز التركى ، بل يجادلهم أحدهم أن المساجد لا تناسب العمارة و المناظر الطبيعية فى أوروبا ، (هل لذلك يتم تدميرها بانتظام ومثابرة فى البوسنة)

و فى النهاية يضطر المسلمون للقتال على كل متر ترتفعه المنارة – و يا له من سخف مضحك فعليهم إن بعدوا أن تلك المنارة لن يستعملها المؤذن حتى لا يزعج السكون و الهدوء • وبالطبع هنا مقارنة مع أجراس الكنائس التى يمكنها أن تدق فى أى وقت ، حتى فى ساعات الصباح المبكر •

قد يكون النداء للصلاة مقبولا إذا استبدل بقول الأذان بقول: بيم بام – بيم بام كما اقترح الكاريكتورى الهولندى !

"إذا أراد المجتمع اليهودى فى أوروبا أن يذبح طبقا لتقاليده ، فبكل تأكيد لا غبار فى ذلك ، ولكن إذا أراد المجتمع المسلم الكبير نفس الشئ فبكل تأكيد تعوقه كثير من الحجج القانونية ، وتنكر عليه حقه فى الحصول على اللحم الحلال • حتى فى المجتمع العلمى ، هناك معيارمزدوج خصوصا فى الولايات المتحدة" (١)

فالإسلام عندهم هو الدين الوحيد الذى يشمله العنف و الصلف والمراجعة ، لعداوة تاريخية خلقها الأوربيون ضد الإسلام ، و أصبحت إدانة الإسلام جزء لا يتجزأ من العقلية الأوربية و شكلت الافتراءات الصليبية تلك العقلية و نزعت منها روح التسامح و التعاون و قبول معتقدات الآخرين •

وجدير بنا أن نذكر أن بعض البلاد الأوربية يمارس فيها المسلمون شعائرهم بكل حرية كالسويد والنمسا وبعض ولايات فى ألمانيا وفى إنجلترا وبدرجة أقل فى دول أخرى ولكن يجب على الدول الإسلامية أن تتخذ موقفا موحدا من الأقليات الإسلامية فى جميع أنحاء العالم وتوحد الجهود مع الحد من الهجرات الإسلامية ، حرصا على الخبرات و الأيدى العاملة ، وتوطيد علاقة الوطن الأم بالمهاجرين من خلال القارات و القنصليات العربية الإسلامية و رعاية شئون المسلمين من الناحية الرسمية للحفاظ على هويتهم الإسلامية وعلى الأجيال

(١) نقلا عن كتاب الإسلام عام ٢٠٠٠ د. مراد عام ٢٠٠٠ ترجمة عادل المعامل مكتبة الشروق •

التالية التى تولد وتنشأ فى الغربة وتتعرض للضياع مما يتطلب إيجاد قنوات اتصال دائمة مع المهاجرين عن طريق الدعوة والتوعية والتعليم و مدهم بكل ما يربطهم بالإسلام مع التصدى لجميع الحملات الإعلامية الموجهة ضد الإسلام بالرد عليها و تفنيدها بعد أن بلغت شأنًا كبيرًا بمساندة صهيونية أثمة تقوض الإسلام وتحاربه بكل الوسائل المتاحة ويجب أن تتكاتف المنظمات الإسلامية العالمية وتتوحد بدلا من أن تتناثر لتمارس دورها فى إيجاد الوسائل الكفيلة بالحفاظ على الهوية الإسلامية المقيمة فى الوطن الغريب وأن تجمع هذه المنظمات فى تنظيم موحد بعيدًا عن الخلافات المذهبية والعرقية والسياسة ومن خلال استراتيجية إعلامية تقوم على أساس علمى وحقائق موضوعية لبسط وعى من المفاهيم الإسلامية الصحيحة بين الجاليات الإسلامية ولجذب آخرين للإسلام لخلق جماعات مؤثرة ورحم الله بن مسعود القائل : "لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم ، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها" .

المعنى بالأقليات الإسلامية:

يشكل الإسلام وفقًا للإحصائيات ثانى الرسالات السماوية عددًا فى العالم، وأكثر من خمس سكان العالم والنصرانية تزيد فى العدد عن الإسلام بنسبة قليلة. ونعنى بالأقليات الإسلامية تلك الدول التى يشكل غالبية سكانها أتباع ديانة أخرى غير الإسلام كالهند أو التى يخضع فيها المسلمون و إن شكلوا أغلبية لحكم غير إسلامى كأثيوبيا وإريتريا نيجريا وفى أغلب هذه الدول فإن الإحصاءات مضلة فيما يتعلق بعدد المسلمين بها و ينتشر المسلمون فى جميع أنحاء العالم و بالأخص دخل الإسلام أوروبا و أمريكا بكثافة عددية أصبحت ملحوظة و ينقسم العالم و بالنسبة للأقليات الإسلامية إلى دول ذات أقليات

إسلامية كبيرة مثل بعض الدول الإفريقية و الهند و الصين وروسيا ويوغسلافيا والفليبين والكاميرون وأخرى أقليات صغيرة نسبيًا ، أما أوروبا فيبلغ عدد المسلمين فيها أكثر من عشرة ملايين غالبيتهم فى فرنسا و ألمانيا و إنجلترا كما أن هناك دول ما زالت تدين بالإسلام فى البلقان (مقدونيا – ألبانيا – البوسنة و الهرسك) هذا ما يؤدى إلى الصراع الدائم و العنصرى فى هذه الدول و الذى استعر فى البوسنة و الهرسك و كوسوفوا و البقية تأتى لأنها جزر فى وسط أوروبا المسيحية .

فالإسلام طريقة للحياة و ليس مجرد دين إنما هو طريقة شاملة للحياة ، و تختلف فى أمور متعددة عن الديانات الأخرى (أداء الصلاة – صلاة الجمعة – العيدين) فكيف يعيش المسلم حياة إسلامية فى بلد غير مسلم و يمكنه المحافظة على دينه و سلوكياته و قيمه المستمدة من عقيدته الدينية هذه هى المواجهة الحقيقة لهذه الأقليات فى المهجر أو للمسلمين من أهل البلاد الذين أقبلوا على الإسلام وتركوا ديانتهم فهذه الأقلية فى حاجة توثيق الصلات بين المسلمين فى ديار الإسلام وبين إخوان العقيدة المتفرقين فى أماكن شتى يجب ألا يتركوا لمواجهة المستقبل وحدهم فى حاجة إلى مساندة الحكومات و الشعوب الإسلامية حتى لا يذوبوا فى المجتمع الأكبر لعجزهم عن مواجهة الازدواج الثقافى و يخضعوا لمؤثرات الثقافة الغربية .

فقه المهجر أو الأقلية:

كتب تراثنا من الفقه فى العصور الأولى للمسلمين فى دول أظلها الإسلام و الذى اعتنقته غالبية الشعوب التى انضوت تحت رايته ، و إذا هاجر البعض إلى بلاد لا تدين غالبيتها بالإسلام ، بل و دخل أقوام فى كافة أنحاء العالم من إفريقيا أو أسيا أو أوروبا ثم أمريكا فى الإسلام فأصبح معنا البريطانى

المسلم ، والفرنسي المسلم والأمريكى المسلم و الألمانى المسلم من كافة الملـــل والعرق ؛ وهؤلاء قلة فى مجتمعاتهم فأصبحت الضرورة الحتمية هى مواجهـــة هذه الظاهرة الجديدة بالحقائق الدينية وانتهاج أسلوب يتفــق و المجتمــع الــذى يعيشون فيه دون الخروج على الأصول الدينية و لعل أصدق ما يعبر عن ذلـــك ما كتبه الدكتور حسان حتحوت وهو طبيب مصرى عاش فى المهجر و لم يفقـد صلته بدينه ، بل يقوم بالدعوة للإسلام جزاه الله على عمله و يعمل على نشــر العقيدة الصحيحة و ألف فى ذلك الكتب و من بينها كتابه " رسالة إلـــى العقــل العربى المسلم " و الذى يقول فى مقدمته ص ١٩ و ما بعدها :

"دلتنى زياراتى على أن الإسلام فى أمريكا فرصـــة حقيقــة و تاريخيــة ، إن ضيعناها فهى شيمتنا و ما أكثر ما ضيعنا • و إن انتهزناها فربما أفضى ذلـــك إلى منعطف تاريخى يفيد أمريكا و يفيد العـــالم و يفيــد المســلمين و قضايــا المسلمين.

و أفضل خدمة للإنسان فى أمريكا هو أن يعيشه بإخلاص و حسن عرضه علــى الناس .وأحببت أمريكا و إن كان بها فسادا كبيرا على مستوى الأخلاق وعلـــى مستوى السياسة . لكنها تتيح قسطا من الحرية فى خدمة الإسلام لا يتوافر فـــى أكثر بلاد المسلمين . و حيث تكون الحرية (حرية الصلاح و الفساد) فالإسلام هو الرابح على المدى البعيد ، و حين تغيب الحرية فالإسلام أول خاسر و هـــو الخاسر الوحيد .

و أطالع الإسلام على خريطة العالم فأطلع ما يسر و ما يسوء . و أتأمل أحـــوال المنتسبين إلى الإسلام فأجد فيهم من يخدم الإسلام و أجد منهم من يؤذيه]

ثم ننتقل إلى قوله فى الصحيفة ٥٧ من الكتاب :

"والحاجة ماسة كذلك إلى كتابة فقه الأقلية . إن الفقه كتب و المسلمون أغلبية فى بلادهم . وكانت الدنيا مقسمة إلى دار إسلام ودار حرب .. و اليوم تعيش كتـــل

كبيرة من المسلمين مواطنين فى دول غير إسلامية و يشكلون فيها أقليات فـــى ظل أوضاع و أعراف و قوانين مختلفة عما فى بلاد المسلين و أول ما يتبـــادر لذهن القارئ العربى أن هؤلاء يعيشون فى الغربة ، و إنهم فى مهجر ، و هـــى فكرة ساذجة غير صحيحة فكما إن هناك العربى المسلم فهناك الأمريكى المســلم والبريطانى المسلم ، هو مواطن فى بلده لا يشعر أنه غريب أو ضيف إلى حيـن . وتطرح المواطنة لهذه البلاد ألف سؤال و سؤال حول اجتـــهاد المســلم فـــى التوفيق بين دينه ومعيشته ، وهى أسئلة لا أظن علماء المشرق يملكون الإجابـــة عنها ، لأن الحكم على الشئ – مرة أخرى – فرع عن تصوره ، فإن أفتوا فقد أفتوا عما لا يعرفون . وهى غلطة يقع فيها كثير من العلماء ومن العامة . و إذا كان أهل مكة أدرى بشعابها فلعل أهل لوس انجليس أيضا أدرى بشعابها كذلك . أو غيرها من البلاد ".

وهو قول صادق من رجل مجرب عاش الإسلام داخل وخارج البـــلاد الإسلامية و شغله الإسلام فكان داعية لدين و نحن فى ديارنا قاعدين نتناطح فى صغائر و لا نهتم بالدعوة و الدعاة و لا المنتمين الجدد و لا المهاجرين الذيـــن نترك بعضهم فريسة سهلة للمغريات المادية فلابد من مدهم بما يوفق بين دينـــهم ومعيشتهم ووجوب توثيق الصلات بيننا و بينهم و هم إخوان فى العقيدة مبعثرين فى أماكن شتى لا يجوز تركهم ليواجهوا المستقبل وحدهم و كفى ما نراه مـــن مذابح مألوفة بين مسلمى الفليبين و الهند و البوسنة و الهرسك والبلقان أصـــاب الأقلية المسلمة و أمام أنظارنا نجد حرب الإبادة أو التنصير تشق عليهم .

فالأمر يحتاج إلى جهود الحكومات و جهود الشعوب الإسلامية ، فبعض المراكز الإسلامية فى الخارج صورنا لها خلافاتنا ففقدت المصداقية .

الأقلية الإسلامية وأهميتها:

الإسلام بدء ينتشر فى أوروبا على الأخص و فى أمريكا وعلينا أن نستشعر مدى ما يفرق ذلك من التزامات و ليس هذا القول كلاما مرسلا و إنما هى الحقيقة المؤكدة و ليس أدل عليها من قول وارد بقلم الدكتور مراد هوفمان فى كتابه الطريق إلى مكة :

"تتضاءل كل الاتصالات الألمانية – الإسلامية السابقة – و تكاد تفقد بريقها ورونقها و أهميتها ، و ربما يكون عليها أن تتوارى ، بالقياس إلى الاتصالات الجارية فى الوقت الحاضر من حيث نوعها و كثافتها . فالمرء لا يلتقى اليوم بالإسلام فى ألمانيا من قبيل الصدفة من حين إلى أخر ، على نحو ما جدث لجوته عام ١٨١٤ م فى صورة جنود روس من باشكريستان ، و إنما يكاد يلتقى به فى كل خطوة يخطوها فاليوم يعيش بيننا حوالى مليونى مسلم . و نفس الوضع يجده المرء فى إنجلترا ، و فى فرنسا و فى بلجيكا ، وفى هولندا . ويجرى اليوم بناء مساجد هائلة فى كل مكان : فى باريس و لندن ، ورما ، وفيينا ، و زغرب ، وقرطبة ، وحتى فى مانهايم و فورتهايام .

تعتنق الإسلام اليوم أعداد متزايدة من الأوربيون فى جميع بلدان أوروبا . وأصبح اعتناق الإسلام يمثل فى الآونة الأخيرة ظاهرة ، بعد أن كان من قبل حالات فردية ، كما فى حالة محمد أسد (ليوبولد فايس) ، أو الصوفى فريزوف شون . و اليوم يجتذب الإسلام شخصيات من كل المجالات ، فتعتنقه و تتحول إليه . ففى مجال الموسيقى البوب : يوسف إسلام (كات ستيفنس) و فى مجال الرقص : موريس بيجار ، و فى مجال الرياضة محمد على كلاى (كاسيوس كلاى) و فى مجال السياسة رجاء(روجيه) جارودى . و فى ألمانيا إنطلق الإسلام ٥٠ ألف من السكان من أصول ألمانية .

يطرح هذا التطور مجموعة من الأسئلة ، هى :

- إلى أى من الطبقات ، ينتمى هؤلاء الذين تحولوا إلى الدين الإسلامى ؟

- ما دوافعهم ؟
- ما صورة تنظيمهم ؟
- ما موقف الحكومة من الاعتراف بهم ؟
- ما المشكلات التى تواجههم فيما يختص بالمدارس، والطعام، والعطلات، والصوم وبناء المساجد ، ومراسم الدفن ؟
- هل يستطيع المرء أن يعيش كمسلم فى ألمانيا ، و يمارس حياته بشكل طبيعى ؟

ومن هنا يطرح السؤال كيف نعاون هؤلاء الذين تحولوا إلى الدين الإسلامى أو من هاجروا بدينهم إلى بلاد لا تدين بالإسلام و يعتقد بوريك بضرورة أن يحمل مسلمون ألمان شعلة الإسلام فى ألمانيا ، فالإسلام تزاوج على مر التاريخ مع مختلف الحضارات :

العربية ، والفارسية ، والهندية ، والإندونيسية ، والتركية وحضارة البربر فلماذا لا يكون هنالك (إسلام ذو ملامح أوربية) يعبر عن هذا الرأى المسلم الفرنسى جون كارتيحنى بقوله : "الإسلام الحقيقى تجده فى المنفى"

و يقول محمد أسد فى أخريات حياته : "إن الشرق يعج بأعداد غفيرة من المسلمين و لكن بالقليل جدا جدا من الإسلام ، و إن بالغرب الكثير من الإسلام ، و لكن بالقليل جدا من المسلمين ، فعلينا من الأن أن نضع خطة متكاملة لنأخذ بيد تلك الأقليات كأسلوب من أساليب الدعوة التى يحتمها علينا الإسلام كفرض كفاية و فى هذا الصدد وضع مؤتمر المجلس الإسلامى العالمى المنعقد فى لندن مجموعة من التوصيات الهامة التى تعتبر بحق أفضل تلخيص للنقاط السابقة هذه التوصيات هى :

١)- إنشاء هيئة متخصصة للتعليم الإسلامى تكون مهمتها وضع الخطط المناسبة و البرامج التعليمية اللازمة لمدارس الجاليات الإسلامية و إقامة

مدارس نموذجية و رسم منهاجها و تحديد مقرراتها و كتبها و اختيار معلميها و إعدادهم لكى يتلقى فيها أبناء الجاليات الإسلامية تعليمهم فى جو تربوى إسلامى مأمون .

٢)- المحافظة على أطفال المسلمين فى أوربا و حماية فطرهم من التشويه و الانحراف و ذلك بإقامة رياض أطفال خاصة تكون مهمتها رعاية الطفولة علميا وسلوكيا ونفسيا واجتماعيا وتكوين شخصيتهم بما يتناسب وتعليم ديننا الحنيف .

٣)- ربط أبناء الأقليات و الجاليات الإسلامية هناك بدينهم و عقيدتهم و حمايتهم من الذوبان فى المجتمعات غير الإسلامية و ذلك من خلال تفريغ عدد من الدعاة المؤهلين للقيام بالدعوة بينهم ، و إنشاء نوادى ثقافية و اجتماعية ورياضية تستوعب طاقات الشباب و توجهها توجيها إسلاميا صحيحا .

٤)- تشجيع التعليم باللغة العربية لأبناء المسلمين المقيمين فى أوروبا لأنها – أى اللغة العربية– لغة القرآن الكريم و لغة التراث الإسلامى الأصيل ، و عن طريقها تفهم النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية .

٥)- توفير الفرصة للراغبين من أبناء الجاليات الإسلامية فى أوربا لمواصلة دراساتهم الإسلامية فى جامعات و معاهد الدول الإسلامية .

٦)- الاهتمام بالقرآن الكريم تلاوة و حفظا ودراسة وفهما وذلك بتشجيع أطفال المسلمين هناك عى تعلمهم من خلال المدارس والحلقات القرآنية .

٧)- إنشاء مركز أوروبى للعناية بالقرآن الكريم و بعلومه و يقوم بتخريج أئمة يحفظونه من أبناء الجاليات الإسلامية و يعقد دورات مفيدة للحفظ والتلاوة والتجويد و يشرف على المدارس القرآنية القائمة .

٨)- العناية بالمرأة المسلمة والحرص على تكوينها التكوين العلمى و الخلقى السليم ليحميها من التأثر بالمجتمعات غير الإسلامية ، و يؤهلها لتربية أبناءها التربية الإسلامية الصحيحة .

٩)- الاهتمام بإعداد الدعاة الأكفاء المؤهلين علميا و عمليا و إقامة دورات تدريبية لرفع مستواهم ، حتى يتمكنوا من تقديم دعوتهم بأسلوب يناسب روح العصر و يعى متطلباته .

١٠)- العناية بترجمة الكتب و الرسائل العلمية المفيدة بلغات الشعوب الإسلامية المختلفة لتسهم فى تعريف المسلمين من أبناء الجاليات و الأقليات الإسلامية بدينهم ، و فى زيادة وعيهم و تبصيرهم بأمور عقيدتهم .

١١)- دعوة الهيئات و المؤسسات الإسلامية و علماء الأمة و مفكريها إلى الاجتهاد فى كشف حقائق الفرق الضالة و العقائد الفاسدة و المذاهب المنحرفة كالقاديانية و غيرها و بيان زيفها و انحرافها ، و ذلك حماية لعقائد أبناء المسلمين هناك من الزيغ و الضلال .

١٢)- العمل على إيجاد هيئة شرعية متخصصة فى كل بلد يكون أعضاؤها من أهل العلم و الفضل و الصلاح و التقوى و الخبرة فى شئون الجاليات فى الغرب لتقوم بدراسة ما يواجهه من مشكلات شرعية ، و تلتمس الحلول

المناسبة لها على ضوء الكتاب والسنة ، و تصدر موسوعة فقهية مختصرة باللغات الأجنبية تشتمل على ما يهم المسلم معرفته فى حياته .

١٣)- دعوة المجلس الإسلامى العالمى بلندن والمجالس الإسلامية الأخرى فى الغرب للتعرف على المشكلات التربوية و الاجتماعية و الاقتصادية و غيرها التى تواجه أفراد الجاليات الإسلامية ، و تقصى أسبابها ، و العمل على إيجاد الحلول المناسبة لها .

١٤)- دعوة المجلس الإسلامى العالمى و المجالس الإسلامية الأخرى إلى الاهتمام بدراسة تاريخ الوجود الإسلامى فى أوروبا و ذلك بتكليف مجموعة من المتخصصين للبحث و الكشف عن جذور الوجود الإسلامى وتقديم أبحاث و دراسات دقيقة موثقة حول ذلك .

١٥)- إنشاء مركز لرصد كل ما ينشر فى وسائل الإعلام الغربية من أكاذيب بقصد تشويه الإسلام و التنفير منه ، و القيام بتفنيدها و الرد عليها رد علميا موضوعيا يجلى صورة الإسلام المشرقة و يعرف بحقائقه الناصعة و ذلك بكل الوسائل و الأساليب الممكنة .

١٦)- ترجمة الأبحاث المقدمة عن أفراد الجاليات الإسلامية فى أوروبا إلى اللغات الأوربية و محاولة نشرها حتى يستفيد أبناء الجاليات منها هنالك ، بالإضافة إلى الأوروبيون أنفسهم .

١٧)- يجب على جميع أفراد الجاليات الإسلامية هناك التعاون على البر و التقوى و التنسيق العام فيما بينهم فى كل أمر له علاقة بوجودهم حاضرا

و مستقبلا ، و البعد عن كل مظاهر الخلاف و النزاع لما فى ذلـــك مـــن تشتيت الجهود و تمزيق للصف و إضعاف للعمل بالإضافة إلى إنه يعطى انطباعًا سيئا يشوه صورة الإسلام و المسلمين لدى الغرب ٠

١٨)- دعوة الهيئات و المؤسسات و الجمعيات الخيرية الإسلامية إلى التنســيق فيما بينهم لتوحيد الجهود و تجويد الأداء حتى تكون النتائج أكثر فاعلية و أقوى تأثيرا .

١٩)- مناشدة الحكومات الإسلامية الاهتمـــام بقضايـــا الجاليـــات و الأقليـــات الإسلامية ، والتعاون معهم و توثيق الصلة بهم و تقديم كل أنواع الدعـــم و المساندة لهم وذلك فى ظل هذه التحديات التى تواجههم .

٢٠)- مطالبة الهيئات و المؤسسات الحكومية و الأهلية فـــى الغـــرب بتنفيـــذ القرارات و القوانين الصادرة لصالح المسلمين فى كافة المجالات .

٢١)- تشجيع قيام المؤسسات الاقتصادية و الشركات و البنوك الإسلامية فـــى الدول المختلفة التى بها أقليات و جاليات إسلامية .

٢٢)- دعوة أثرياء المسلمين و محبى الخير و الإحسان إلى دعـــم المؤسســـات الإسلامية القائمة ، وذلك حتى يتسنى لها القيام بتنفيذ مشروعاتها الخيريـــة و استكمال خططها فى كل ما هو من شأنه خدمة أبناء الأقليات هنـــاك و تحسين أوضاعهم .

٢٣)- دعوة المجالس و المؤسسات الإسلامية إلى الاهتمـــام بالمـــهجرين مـــن أوروبا من أوروبا و خاصة من البوسنة و الهرسك لمواجهة ما يمكـن أن يتعرضوا له من هجمات تنصيرية و أخرى إباديـــة تســتهدف الأولـــى عقيدتهم و دينهم ، فى حين تستهدف الثانية اقتلاعهم من جذورهم .

"تم بعون وجميل توفيقه"

المراجع

١. كتاب (محمد ﷺ) للسيدة كارين ارمسترونج .

٢. كتاب الإسلام والغرب بين التعاون و المواجهة (جراهام للروبان ليسر) .

٣. كتاب النظرية السياسية الإسلامية فى حقوق الإنسان الشرعية (للدكتور محمد أحمد عبد الغنى و الدكتور سامح صالح الوكيل)

٤. كتاب ما يقال عن الإسلام (عباس العقاد)

٥. كتاب العقيدة الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة

٦. محمد الرسالة والرسول (الدكتور نظمى لوقا)

٧. كتاب حقائق الإسلام و أباطيل خصومه (عباس العقاد)

٨. كتاب الدكتور عبد الوهاب المسيري من هو اليهودي ١٩٩٧ .

٩. كتاب الدكتور أحمد شلبي .

١٠. كتاب الإسلام والنصرانية لشيخ الإسلام ابن تيميه .

١١. كتاب الدكتور موريس بوكاي القران الكريم والتوراة والإنجيل والعلم .

١٢. النظم الإسلامية في إدارة الدولة السياسية وسياسة

المجتمع (الدكتور محمد كاظم مكمـــادار الزهـــراء بيروت الطبعة الأولى سنة١٩٩١) .

١٣. كتاب بنو إسرائيل فى القرآن و السنة (د. محمد سيد طنطاوى)

١٤. توفيق الحكيم مقدمة مختارة تفسير القرطبـــي الهيئـــة العامة للكتاب ١٩٩٧

١٥. كتاب يوميات ألمانى مسلم – مراد هوفمـــان مركـــز الأهرام للترجمة والنشر .

١٦. كتاب النصرانية للشيخ محمد ابو زهرة سـنة ١٩٦٦م .

١٧. التفسير الوسيط للقـــرآن الكريـم (المجلـد الثـالث و الأربعون) مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

١٨. كتاب الرسائل النبوية (علي يوسف السبكي) الطبعة الأولي .

١٩. الأهرام ١٩٩٦/١٢/١٧ أحمد بهجت .

٢٠. مقال منشور للأستاذ فهمي هويدي بجريدة الأهـــرام ١٩٩٠/١٠/١٤ .

٢١. كتاب المسلم للسيدة تفاريس وادي

٢٢. كتاب السلطة (د. محمد معروف الدواليبى)

٢٣. كتاب محمد رسول الله هكذا بشرت الأناجيل

٢٤. كتاب الأقباط فى مصر و المغرب (رجب البنا)

٢٥. كتاب الاختراق الصهيونى للمسيحيين (القس اكـــرم لمعى)
٢٦. كتاب محمد رسول الله (بشرى زخارى مخائيل)
٢٧. الإنسان فى القرآن الكريم (عباس العقاد)
٢٨. دراسات فى الفقه الإسـلامى (د. إبراهيـم زيـدان الكيلانى)
٢٩. قطوف فى أدب النبوة (للشيخ احمد حسن الباقورى)
٣٠. كتاب الشـرق الأوسـط فـى العصـر الإسـلامى (فيشـــــر)
٣١. حرية الإنسان فى ظل عبوديتــه (د. محمـد سـيد الطوخى)
٣٢. الدعوة الإسلامية فى العهد المكى
٣٣. كتاب الدكتور على شريعتى
٣٤. كتاب بهذا ألقى الله (د. حسان حتحوت)
٣٥. كتاب التفسير الميسر للقـرآن الكريـم (د. أحمـد شلبى)
٣٦. القرآن و الإنسان (د. بنت الشاطئ)
٣٧. نظام الحياة فى الإسلام (أبو الأعلى المودودى)
٣٨. جريدة الأهرام فى ١٩٩٦/١/٦
٣٩. الغزو الفكرى و التيارات المعادية للإسلام (د. عبـد الحميد متولى)

٤٠. قضايا و إشكاليات التصوف (عبد الكريم قاسم سعيد)
٤١. كتاب تاريخ الفكر العربى
٤٢. مستقبل الإسلام خارج أرضه (الشيخ محمد الغزالى)
٤٣. الصحوة الإسلامية بين الجمود و التطرف (د. يوسف القرضاوى)
٤٤. الإسلام كبديل (مراد هوفمان)
٤٥. قراءة فى عقل مسلم (د. حسان حتحوت)

٤٦. بحوث إسلامية ألقيت فى الموسم الثقافى بجامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٧٩
٤٧. المساواة فى الإسلام (د. على عبد الواحد وافى)
٤٨. مدخل تاريخى لحقوق الإنسان (الدكتور الزناتى)
٤٩. السيرة (ابن هشام)
٥٠. النظام السياسى للدولة الإسلامية (د. محمد سليم العوا)
٥١. أول دستور مكتوب فى العالم (محمد حميد الله)
٥٢. الرسالة الخالدة (عبد الرحمن عزام)
٥٣. معالم غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى (د. ادوارد الذهبى)

٢٥. كتاب الاختراق الصهيونى للمسيحيين (القس اكـــرم لمعى)
٢٦. كتاب محمد رسول الله (بشرى زخارى مخائيل)
٢٧. الإنسان فى القرآن الكريم (عباس العقاد)
٢٨. دراسات فى الفقه الإســلامى (د. إبراهيـم زيـدان الكيلانى)
٢٩. قطوف فى أدب النبوة (للشيخ احمد حسن الباقورى)
٣٠. كتاب الشـــرق الأوســط فــى العصــر الإســلامى (فيشـــــر)
٣١. حرية الإنسان فى ظل عبوديتـــه (د. محمــد ســيد الطوخى)
٣٢. الدعوة الإسلامية فى العهد المكى
٣٣. كتاب الدكتور على شريعتى
٣٤. كتاب بهذا ألقى الله (د. حسان حتحوت)
٣٥. كتاب التفسير الميسر للقــرآن الكريـــم (د. أحمــد شلبى)
٣٦. القرآن و الإنسان (د. بنت الشاطئ)
٣٧. نظام الحياة فى الإسلام (أبو الأعلى المودودى)
٣٨. جريدة الأهرام فى ١٩٩٦/١/٦
٣٩. الغزو الفكرى و التيارات المعادية للإسلام (د. عبــد الحميد متولى)

٤٠. قضايا و إشكاليات التصوف (عبد الكريم قاسم سعيد)
٤١. كتاب تاريخ الفكر العربى
٤٢. مستقبل الإسلام خارج أرضه (الشيخ محمد الغزالى)
٤٣. الصحوة الإسلامية بين الجمود و التطرف (د. يوسف القرضاوى)
٤٤. الإسلام كبديل (مراد هوفمان)
٤٥. قراءة فى عقل مسلم (د. حسان حتحوت)

٤٦. بحوث إسلامية ألقيت فى الموسم الثقافى بجامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٧٩
٤٧. المساواة فى الإسلام (د. على عبد الواحد وافى)
٤٨. مدخل تاريخى لحقوق الإنسان (الدكتور الزناتى)
٤٩. السيرة (ابن هشام)
٥٠. النظام السياسى للدولة الإسلامية (د. محمد سليم العوا)
٥١. أول دستور مكتوب فى العالم (محمد حميد الله)
٥٢. الرسالة الخالدة (عبد الرحمن عزام)
٥٣. معالم غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى (د. ادوارد الذهبى)

٥٤. مواطنون أدبيون (فهمى هويدى)

٥٥. مصطفى محمود عفيفى نقلا عن الدكتور إدوارد غالى معاملة غير المسلمين

٥٦. محمد متولى الشعراوى - يوميات الأخبار

٥٧. مقال الفصل بين العقيدى و الحضارى - صحيفة الأهرام (فهمى هويدى)

٥٨. مقال قبط مصر هم أبناء هذا البلد - صحيفة الأخبار (جمال الدين محمود)

٥٩. قصتى مع الحياة - صحيفة الوفد (خالد محمد خالد)

٦٠. كتاب المواطنة فى التاريخ العربى

٦١. الإسلام عام ٢٠٠٠ (مراد هوفمان)

فهرس الكتاب

الفصل السابع (الإسلام والرسالات الأخرى)

الفصل الثامن (أركان الإسلام)

الفصل التاسع

الفصل العاشر (الإنسان فى الإسلام)

دار ابن لقمان للعلوم النافعة

طبع • نشر • توزيع

١ شارع السعادة - خالد بن الوليد - الوفاء والأمل - مشعل - الهرم

ت : ٣٨٢٧٣٩٣

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
١٩٩٩/٣٨١٨

مطبعة الحسين الإسلامية
٢٥ ح المدرسة خلف الجامع الأزهر
ت / ٥١٠٦٧٢٤ ـ القاهرة